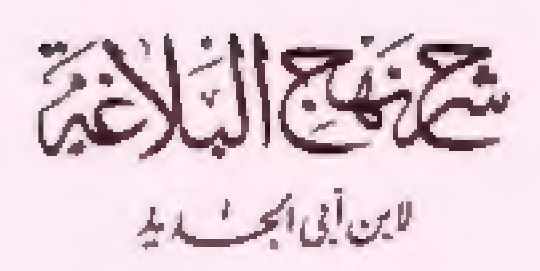


لابن أبي الحديد

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



بتحقيق

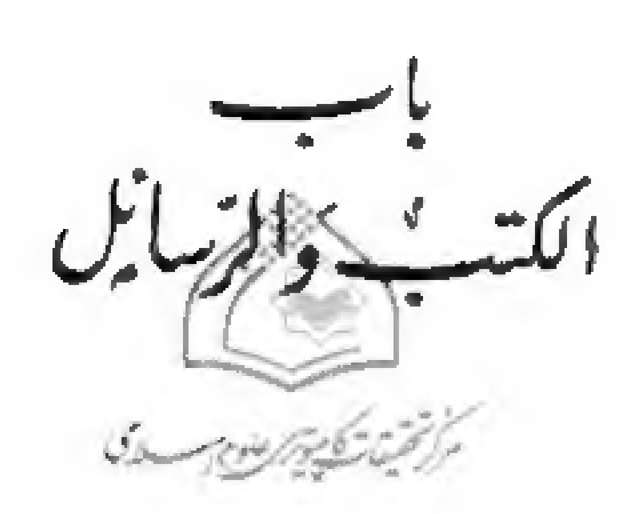
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الرابع عشر

مؤسسة اسماعيليان
للطباعة والنشر والتوزيع
قم ايران - تلفون ٢٥٢٣٣



باب الكتب والرسائل





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد العدل

الأصل :

باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام ورسائله إلى أعدائه وأوليائه[1] بلاده، ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله ووصاياه لأهله وأصحابه

الشرح :

لما فرغ من إيراد المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكلامه الجارى مجرى الخطب من المواعظ والزواجر ، شرع فى إيراد باب من مختار كلامه عليه السلام ، وهو ما كان جاريا مجرى الرسائل والكتب ، ويدخل فى ذلك العهود والوصايا . وقد أورد فى هذا الباب ماهو بالباب الأول أشبه، نحو كلامه عليه السلام لشريح القاضى لما اشترى دارا ، وكلامه لشريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام .

وسمى ما يكتب للولاة عهدا اشتقاقا من قولهم : عهدت إلى فلان ، أى أوصيته .

(١) ا : « وأمراء بلاده » .

(١)

الأَصْلُ :

من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة :

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ . أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ .

إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ ، وَأُقِلُّ[1] عِتَابَهُ ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ . وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ قَتَلُوهُ ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ ، وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا ، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ . إِنْ شَاءَ اللهُ .

* * *

الشَّرْحُ :

قوله : « جبهة الأنصار » ؛ يمكن أن يريدَ جماعة الأنصار ، فإنّ الجبهة في اللغة الجماعة ، ويمكن أن يريد به سادة الأنصار وأشرافهم ، لأنّ جبهة الإنسان أعلى أعضائه ، وليس يريد بالأنصار هاهنا بني قَيْلة[2] ، بل الأنصار هاهنا الأعوان .

---

(١) مخطوطة النهج : « فأقل » .   (٢) هي قيلة أم الأوس والخزرج .

قوله عليه السلام : « وسَنام العرب » ؛ أى أهل الرفعة والعلوّ منهم ، لأنّ السّنام أعلى أعضاء البعير .

قوله عليه السلام : « أكثر استعتابه وأقلّ عتابه » ، الاستعتاب: طلب العُتبى ، وهى الرّضا ، قال : كنت أكثر طلبَ رضاه ، وأقل عتابه وتعنيفه على الأمور ، وأمّا طلحة والزبير فكانا شديدَيْن عليه .

والوجيف : سير سريع ، وهذا مَثَلٌ للمشمرين[1] فى الطعن عليه ، حتى إنّ السّير السريع أبطأ ما يسيران فى أمره ، والحُداء العنيف أرفق مايحرّضان به عليه .

ودار الهجرة : المدينة .

وقوله : «قد قلعت بأهلها وقلعوا بها» ، الباء هاهنا زائدة فى أحد الموضعين ، وهو الأول ، وبمعنى « من » فى الثانى ، يقول : فارقت أهلها وفارقوها ، ومنه قولهم : «هذا منزل قلعة» أى ليس بمستوطن .

وجاشت : اضطربت . والمِرْجل : القِدْر .

ومن لطايف الكلام قوله عليه السلام : «فكنت رجلا من المهاجرين » ،فإنّ فى ذلك من التخلّص والتبرّى مالا يخفى على المتأمّل،ألا ترى أنّه لم يبق عليه فى ذلك حجّة لطاعن ، حيث كان قد جعل نفسه كواحدٍ من عُرْض المهاجرين ، الذين بنفرٍ يسير منهم انعقدت خلافة أبى بكر ، وهم أهل الحلّ والعقد ، وإنما كان الإجماع حجّةً لدخولهم فيه .

ومن لطيف الكلام أيضا قوله : « فأتيح له قوم فقتلوه » ، ولم يقل : « أتاح الله له قوما» ، ولا قال : « أتاح له الشيطان قوماً » ، وجعل الأمر مبهما .

وقد ذكر أنّ خط الرضىّ رحمه الله « مستكرِهين » بكسر الراء ، والفتح أحسن وأصوب ، وإن كان قد جاء : استكرهتُ الشىء بمعنى كرهته .

---

(١) ا : « وهذا مثل فى العرب المشمر فى الطعن عليه » .

وقال الراونديّ : المراد بدار الهجرة هاهنا الكوفة التي هاجر أمير المؤمنين عليه السلام إليها ، وليس بصحيح ، بل المراد المدينة ،وسياق الكلام يقتضي ذلك ، ولأنّه كان حين كتب هذا الكتاب إلى أهل الكوفة بعيداً عنهم ، فكيف يكتب إليهم يخبرهم عن أنفسهم .

* * *

[أخبار عليّ عند مسيره إلى البصرة ، ورسله إلى أهل الكوفة]

وروى محمّد بن إسحاق عن عمّه عبد الرحمن بن يسار القرشيّ ، قال : لمّا نزل عليّ عليه السلام الرَّبذة متوجّهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمّد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن أبي بكر الصديق ، وكتب إليهم هذا الكتاب ، وزاد في آخره :

فحسبي بكم إخواناً ، وللدين أنصاراً ، فـ ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

وروى أبو مخنف ، قال : حدّثني الصَّقعب ، قال : سمعتُ عبد الله بن جُنادة يحدّث أنّ عليا عليه السلام لمّا نزل الرَّبذة بعث هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص إلى أبي موسى الأشعريّ ، وهو الأمير يومئذ على الكوفة ، لينفر إليه النّاس ، وكتب إليه معه :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس . أمّا بعد ، فإنّي قد بعثت إليك هاشم بن عُتبة لتشخص إليّ مَنْ قِبلَك من المسلمين ليتوجّهوا إلى قوم نكثوا بيعتي ، وقتلوا شيعتي ، وأحدثوا في الإسلام هذا الحدَث العظيم ، فاشخص بالنّاس إليّ معه حين يقدم عليك ، فإني لم أولّك المصر الذي أنت فيه ، ولم أقرّك عليه إلّا لتكون من أعواني على الحقّ ، وأنصاري على هذا الأمر ، والسّلام .

---

(١) سورة التوبة ٤١ .

فأما رواية محمد بن إسحاق فإنه قال : لما قدم محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر الكوفة ، استنفرا[1] الناس ، فدخل قومٌ منهم على أبي موسى ليلاً ، فقالوا له : أشِرْ علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى عليّ عليه السلام ، فقال : أمّا سبيلُ الآخرة فالزموا بيوتكم ، وأمّا سبيلُ الدنيا فاشخصوا معهما . فمنع بذلك أهلَ الكوفة من الخروج . وبلغ ذلك المحمدين ، فأغلظا لأبي موسى ، فقال أبو موسى : والله إنّ بيعة عثمان لفي عنق عليّ وعنقي وأعناقكما ، ولو أردنا قتالاً ما كنّا لنبدأ بأحدٍ قبل قتلة عثمان . فخرجا من عنده ، فلحقا بعليّ عليه السلام ، فأخبراه الخبر .

وأمّا رواية أبي مخنف ؛ فإنه قال : إنّ هاشم بن عُتْبة لما قدم الكوفة ، دعا أبو موسى السّائبَ بن مالك الأشعريّ ، فاستشاره ، فقال : اتبع ما كتب به إليك . فأبى ذلك ، وحبس الكتاب ، وبعث إلى هاشم يتوعّده ويخوّفه .

قال السائب : فأتيتُ هاشماً فأخبرتُه برأي أبي موسى ، فكتب إلى عليّ عليه السلام :

لعبد الله عليّ أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة . أمّا بعدُ يا أميرَ المؤمنين ؛ فإني قدمت بكتابك على امرئٍ مشاقّ بعيد الوُدّ ، ظاهر الغلّ والشنآن ، فتهدّدني بالسجن ، وخوّفني بالقتل ، وقد كتبتُ إليك هذا الكتاب مع المحلّ بن خليفة ، أخي طيّئ ، وهو من شيعتك وأنصارك ، وعنده علمُ ما قِبَلنا ، فاسأله عمّا بدا لك ، واكتب إليّ برأيك والسلام .

قال : فلما قدم المحلّ بكتاب هاشم على عليّ عليه السلام سلّم عليه ، ثم قال : الحمدُ لله الذي أدّى الحقّ إلى أهله ، ووضعه موضعه ؛ فكره ذلك قوم قد والله كرهوا نبوّة محمد صلى الله عليه وآله ، ثم بارزوه وجاهدوه ، فردّ الله عليهم كيدَهم في نحورهم ، وجعل دائرة السّوْء عليهم . والله يا أميرَ المؤمنين لنجاهدنّهم معك في كلّ موطن ؛ حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته ، إذ صاروا أعداءً لهم بعده .

(١) ا : « واستنفرا » ، وما أثبته من ب .

فرحّب به عليّ عليه السلام ، وقال له خيراً ، ثم أجلسه إلى جانبه ، وقرأ كتاب هاشم ، وسأله عن الناس وعن أبي موسى ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أثق به ولا آمنه على خلافك ، إن وجد مَنْ يساعده على ذلك . فقال عليّ عليه السلام : والله ما كان عندي بمؤتمن ولا ناصح ، ولقد أردت عزله فأتاني الأشتر ، فسألني أن أقره ، وذكر أنّ أهل الكوفة به راضون فأقررته .

* * *

وروى أبو مخنف ، قال : وبعث عليّ عليه السلام من الربذة بعد وصول المحلّ بن خليفة ، (١ أخي طيّ ١) ، عبدَ الله بن عباس ومحمدَ بن أبي بكر إلى أبي موسى ؛ وكتب معهما :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، أمّا بعد يا بن الحائك ، يا عاض أير أبيه ، فوالله إني كنت لأرى أن بُعدك من هذا الأمر الذي لم يجعلك الله له أهلاً ، ولا جعل لك فيه نصيباً ، سيمنعك من ردّ أمري والانتزاء (٢) عليّ ، وقد بعثت إليك ابنَ عباس وابنَ أبي بكر فخلّهما والمصر وأهله ، واعتزل عملنا مذءوما مدحوراً . فإن فعلت وإلّا فإنّي قد أمرتهما أن ينابذاك على سواء ، إنّ الله لا يهدي كيدَ الخائنين . فإذا ظهرا عليك قطّعاك إرباً إرباً ، والسلام على مَنْ شكر النعمة ، ووفّى بالبيعة ، وعمل برجاء العاقبة .

قال أبو مخنف : فلمّا أبطأ ابنُ عباس وابنُ أبي بكر عن عليّ عليه السلام ، ولم يدرِ ما صنعا ، رحل عن الربذة إلى ذي قار فنزلها ، فلمّا نزل ذا قار ، بعث إلى الكوفة الحسنَ ابنَه عليه السلام ، وعمّارَ بن ياسر وزيد بن صُوحان ، وقيسَ بن سعد بن عُبادة ، ومعهم كتاب إلى أهل الكوفة . فأقبلوا حتى كانوا بالقادسيّة ، فتلقّاهم الناس ، فلما دخلوا الكوفة قرءوا كتاب عليّ ، وهو :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين ، إلى مَنْ بالكوفة من المسلمين .

(١ – ١) ساقط من ب (٢) الانتزاء : التوثب

أمّا بعدُ ؛ فإني خرجت مخرجي هذا إمّا ظالما، وإمّا مظلوما، وإما باغيا ، وإما مبغيًّا عليّ، فأنشد الله رجلاً بلغه كتابي هذا إلا نفر إليّ ، فإن كنتُ مظلوما أعانني ، وإن كنت ظالما استعتبني . والسلام .

قال : أبو مخنف : حدّثني موسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع الحسن وعمّار بن ياسر من ذي قار ، حتى نزلنا القادسيّة ، فنزل الحسن وعمّار ، ونزلنا معهما ، فاحتبى عمّارٌ بحمائل سيفه ، ثم جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم ، ثم سمعتهُ يقول : ما تركت في نفسي حزّة أهمّ إليّ من ألاّ نكون نبشنا عثمان من قبره ، ثم أحرقناه بالنار .

قال : ولمّا دخل الحسن وعمّار الكوفة ، اجتمع إليهما الناس ، فقام الحسن ، فاستنفر النّاس ، فحمد الله وصلّى على رسوله ، ثم قال : أيها الناس ، إنّا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنّة رسوله ، وإلى أفقه مَنْ تفقّه من المسلمين ، وأعدلِ مَنْ تعدّلون ، وأفضل من تفضّلون ، وأوفى من تبايعون ، مَنْ لم يُعيه القرآن ، ولم تجهلْه السنّة ، ولم تقعد به السابقة ، إلى مَنْ قرّبه الله تعالى إلى[1] رسوله قرابتين : قرابة الدين وقرابة الرّحِم ، إلى مَن سبق النّاس إلى كلّ مأثرة ، إلى مَنْ كفى الله به رسوله والنّاس متخاذلون ؛ فقرب منه وهم متباعدون ، وصلّى معه وهم مشركون ، وقاتل معه وهم منهزمون ، وبارز معه وهم محجمون ، وصدّقه وهم يكذّبون ، إلى مَنْ لم تردّ له رواية ولا تكافأ له سابقة ، وهو يسألكم النصر ، ويدعوكم إلى الحقّ ، ويأمركم بالمسير إليه ، لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعتَه ، وقتلوا أهلَ الصلاح من أصحابه ، ومثّلوا بعمّاله ، وانتهبوا بيت ماله ، فاشخصوا إليه رحمكم الله ، فمروا بالمعروف وانهَوْا عن المنكر ، واحضُروا بما يحضر به الصالحون[2] .

قال أبو مخنف : حدثني جابر بن يزيد ، قال : حدثني تميم بن حذيم الناجي ، قال : قدم علينا

---

(١) ا : « ورسوله » .

(٢) تاريخ الطبرى . .

الحسنُ بن علي عليه السلام وعمّار بن ياسر، يستنفران النّاس إلى عليّ عليه السلام، ومعهما
كتابه، فلما فرغ عامر من قراءة كتابه، قام الحسن — وهو فتىً حَدَث، والله إني لأرثي له من حداثة سنّه
وصعوبة مقامه — فرماه النّاسُ بأبصارهم وهم يقولون: اللهمّ سدّد منطق ابن بنت نبيّنا! فوضع
يده على عمود يتساند إليه، وكان عليلاً من شكوى به، فقال: الحمدُ لله العزيز الجبّار، الواحد
القهّار، الكبير المتعال، ﴿سواءٌ منكم من أسَرَّ القول ومَنْ جهر به ومَنْ هو مستخفٍ
باللّيل وساربٌ بالنهار﴾. أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النّعماء، وعلى ما أحببنا وكرهنا
من شدّة ورخاء. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله،
امتنّ علينا بنبوّته، واختصّه برسالته، وأنزل عليه وحيه، واصطفاه على جميع خَلْقه،
وأرسله إلى الإنس والجنّ، حين عُبِدت الأوثان وأُطيع الشيطان، وجُحِد الرحمن، فصلّى
الله عليه وعلى آله وجزاه أفضل ما جزى المسلمين. أمّا بعد فإني لا أقول لكم إلّا
ما تعرفون، إن أميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب — أرشدَ الله أمرَه، وأعزّ نصره — بعثني
إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله، وإن كان في
عاجل ذلك ما تكرهون، فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله. ولقد علمتم أنّ عليًّا صلّى مع
رسول الله صلى الله عليه وآله وحدَه، وإنه يومَ صَدّق به لفي عاشرة من سنّه، ثم شهد مع
رسول الله صلى الله عليه وآله جميعَ مشاهده. وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله
وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم، ولم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه،
حتى غمّضه بيده وغسله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء،
ثم أدخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعِداته، وغير ذلك من أموره، كلّ ذلك من منّ
الله عليه. ثم والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهِيم عند وُرودها،
فبايعوه طائعين، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدَثٍ أحدثه، ولا خلافٍ أتاه، حسداً
له وبغياً عليه. فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجدّ والصبر والاستعانة بالله،

والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين ، عصمنا الله وإياكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته ، وألهمنا وإياكم تقواه ، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه . وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

ثم مضى إلى الرَّحبة فهيأ منزلا لأبيه أمير المؤمنين .

قال جابر : فقلت لتميم : كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه ؟ فقال : ولما سقط عني من قوله أكثر ، ولقد حفظت بعض ما سمعت .

* * *

قال : ولمّا نزل علي عليه السلام ذا قار ، كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر : أمّا بعد ، فإني أخبرك أنّ عليًّا قد نزل ذا قار ، وأقام بها مرعوبًا خائفًا لما بلغه من عُدّتنا وجماعتنا ، فهو بمنزلة الأشقر : إن تقدم عُقِر ، وإن تأخر نُحِر . فدعت حفصة جواريَ لها يتغنّين ويضربن بالدفوف ، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن : ما الخبر ما الخبر ، عليٌّ في السفر ، كالفرس الأشقر ، إن تقدم عُقِر ، وإن تأخر نُحِر .

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء

فبلغ أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السلام ، فلبست جلابيبها ، ودخلت عليهن في نسوة متنكّرات ، ثم أسفرت عن وجهها ، فلما عرفتها حفصة خجلت ، واسترجعت ، فقالت أم كلثوم : لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم ، لقد تظاهرتما على أخيه من قبل ، فأنزل الله فيكما ما أنزل !

فقالت حفصة : كُفّي رحمكِ الله ، وأمرتْ بالكتاب فمُزّق ، واستغفرت الله .

قال أبو مخنف : روى هذا جرير بن يزيد ، عن الحكم ، ورواه الحسن بن دينار ، عن الحسن البصري .

وذكر الواقديّ مثل ذلك ، وذكر المدائنيّ أيضا مثله ، قال : فقال سهلُ بن حُنيف في ذلك هذه الأشعار :

عَذَرْنَا الرِّجَالَ بِحَرْبِ الرِّجَالِ ... فَمَا لِلنِّسَاءِ وَمَا لِلسِّبَابِ!

أمَا حَسْبُنَا مَا أتَيْنَا بِهِ ؟ ... لَكِ الخَيْرُ مِنْ هَتْكِ ذَاكَ الحِجَابِ

ومَخرجُها اليومَ مِنْ بيتِها ... يُعَرِّفُها الذَّنْبَ نَبْحُ الكِلابِ

إلى أن أتانا كتابٌ لها ... مشومٌ، فيا قُبحَ ذاكَ الكتابِ!

قال: حدثنا الكلبي، عن أبي صالح أن عليا عليه السلام: لما نزل ذا قار في قلة من عسكره، صعد الزبير منبر البصرة، فقال: ألا أحد فارس أسير منهم إلى علي، فأبيّته بياتا، وأصبّحه صباحا، قبل أن يأتيه المدد! فلم يجبه أحد، فنزل واجما، وقال: هذه والله الفتنة التي كنا نحدّث بها! فقال له بعض مواليه: رحمك الله يا أبا عبد الله! تسميها فتنة ثم تقاتل فيها! فقال: ويحك! والله إنا لنُبصر ثم لا نَصبر. فاسترجع المولى ثم خرج في الليل فارا إلى علي عليه السلام، فأخبره، فقال: اللهم عليك به!

* * *

قال أبو مخنف: ولما فرغ الحسن بن علي عليه السلام من خطبته، قام بعده عمار، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، ثم قال: أيها الناس، أخو نبيكم وابن عمه يستنفركم لنصر دين الله، وقد بلاكم الله بحق دينكم، وحرمة أمكم، فحق دينكم أوجب، وحرمته أعظم. أيها الناس، عليكم بإمام لا يؤدَّب، وفقيه لا يعلَّم، وصاحب بأس لا ينكل، وذي سابقة في الإسلام ليست لأحد، وإنكم لو قد حضرتموه بيّن لكم أمركم إن شاء الله.

قال: فلما سمع أبو موسى خطبة الحسن وعمار، قام فصعد المنبر، وقال: الحمدُ لله الذي أكرمنا بمحمد، فجمعنا بعد الفُرقة، وجعلنا إخوانا متحابين بعد العداوة، وحرّم علينا دماءنا وأموالنا، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[1].

(١) سورة البقرة ١٨٨

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾ (١) . فاتّقوا الله عباد الله ، وضعوا أسلحتكم ، وكفّوا عن قتل إخوانكم .

أمّا بعد يا أهلَ الكوفة ، إن تطيعوا الله باديا ، وتطيعوني ثانيا ، تكونوا جُرثومةً من جراثيم العرب ، يأوِي إليكم المضطر ، ويأمَنُ فيكم الخائف . إنّ عليا إنّما يستنفِرُكم لجهاد أمّكم عائشة وطلحة والزُّبير حواريّ رسول الله ومَنْ معهم من المسلمين ، وأنا أعلم بهذه الفِتَن أنّها إذا أقبلت شبّهت ، وإذا أدبرت أسفرت ، إنّي أخاف عليكم أن يلتقي غارّان منكم فيقتتلا ثم يتركا كالأحلاس الملقاة بنجوةٍ من الأرض ، ثم يبقى رِجْرِجة (٢) من النّاس ، لا يأمُرُون بالمعروف ، ولا ينهون عن منكر . إنها قد جاءتكم فتنة كافرةٌ لا يدرى من أين تؤتى ! تترك الحليم حيران ! كأنّي أسمعُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله بالأمس يذكر الفِتَن ، فيقول : « أنت فيها نائماً خيرٌ منك قاعدا ، وأنت فيها جالساً خير منك قائما ، وأنت فيها قائماً خيرٌ منك ساعياً » . فثلُّموا سيوفكم وانصِلوا (٣) وقصّفوا رماحكم ، سهامَكم ، وقطّعوا أوتارَكم ، وخلُّوا قريشاً ترتُقْ فتقها ، وترأبْ صدْعها ، فإن فعلتْ فلأنفسها ما فعلت ، وإن أبت فعلى أنفسها ما جَنَتْ ، سمنُها في أديمها . استنصحوني ولا تستغشّوني ، وأطيعوني ولا تعصوني ، يتبيّن لكم رشدُكم ، ويَصْلَى هذه الفتنة مَنْ جناها .

فقام إليه عمّار بن ياسر ، فقال : أنت سمعتَ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك ! قال : نعم هذه يدي بما قلت ، فقال : إن كنت صادقاً فإنما عناك بذلك وحدك ، واتّخذ عليك الحجّة ، فالزم بيتك ولا تدخلنّ في الفتنة ، أما إنّي أشهدُ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر عليًّا بقتال الناكثين ، وسمّى له فيهم مَنْ سمّى ، وأمره بقتال القاسطين ، وإن شئت لأقيمنّ لك شهودا يشهدونَ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) سورة النساء ٩٣ (٢) الرجرجة : البقية ، وأصلها في الماء .
(٣) أنصل السهم : أزال عنه النصل .

إنما نهاك وحدك ، وحذرك من الدخول فى الفتنة . ثم قال له : أعطنى يدك على ما سمعت ، فمدّ إليه يده ، فقال له عمّار : غلب الله مَنْ غالبه وجاهده ! ثم جذبه فنزل عن المنبر .

* * *

وروى محمد بن جرير الطبرى فى " التاريخ " قال : لما أتى عليًّا عليه السلام الخبرُ وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير ، وأنهم قد توجّهوا نحو العراق ، خرج يُبادر[1] ، وهو يرجو أن يدركهم ويردّهم ، فلما انتهى إلى الرّبذة أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا ، فأقام بالرّبذة أيامًا ، وأتاه عنهم أنهم يريدون البصرة ، فسُرَّ بذلك ، وقال : إن أهل الكوفة أشدُّ لى حبًّا ، وفيهم رؤساء العرب وأعلامهم ، فكتب إليهم : إنى قد اخترتكم على الأمصار ، وإنى بالأثر[2] .

* * *

قال أبو جعفر محمد بن جرير رحمه الله : كتب علىٌّ عليه السلام من الرّبذة إلى أهل الكوفة : أما بعد ، فإنى قد اخترتُكم ، وآثرت النزولَ بين أظهركم ، لما أعرف من مودّتكم وحبّكم لله ورسوله ، فمن جاءنى ونصرنى فقد أجاب الحقّ ، وقضى الذى عليه .

قال أبو جعفر : فأوّلُ مَنْ بعثه علىٌّ عليه السلام من الرّبذة إلى الكوفة محمد بن أبى بكر ومحمد بن جعفر ، فجاء أهلُ الكوفة إلى أبى موسى ، وهو الأمير عليهم ليستشيروه[3] فى الخروج إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال لهم : أمّا سبيلُ الآخرة فأنْ تقعدُوا وأمّا سبيلُ الدنيا فأن تخرجُوا .

وبلغ المحمدَيْن قولُ أبى موسى الأشعرىّ ، فأتياه وأغلظا له ، فأغلظ لهما ، وقال :

---

(١) تاريخ الطبرى : يبادرهم
(٢) تاريخ الطبرى ١ : ٣١٠٦
(٣) ب : « يستشيرونه » .

لا يحلّ لك القتال مع علىّ حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلّا قتل حيث كان .

وقالت أخت علىّ بن عدىّ ، من بنى عبد العزّى بن عبد شمس ، وكان أخوها علىّ ابن عدىّ من شيعة على عليه السلام ، وفى جملة عسكره :

لاهُمّ فاعقِرْ بعلىّ جَمَلَهْ ولا تبارِكْ فى بعيرٍ حَمَلَهْ

* ألا علىّ بن عدىّ ليس لَهْ[1] *

قال أبو جعفر : ثم أجمع علىّ عليه السلام على المسير من الرَّبذة إلى البصرة ، فقام إليه رفاعة بن رافع ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أىّ شىء تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ قال : أمّا الذى نريد وننوى فإصلاح ؛ إن قبلوا منّا وأجابوا إليه ، قال : فإن لم يقبلوا ، قال : ندعوهم ونعطيهم من الحقّ ما نرجو أن يرضَوْا به[2] ، قال فإن لم يرضوا ، قال : ندَعُهم ما تركونا ؛ قال : فإن لم يتركونا ، قال : نمتنع منهم ، قال : فنعم إذا .

وقام الحجّاج بن غَزِيّة الأنصارىّ ، فقال : والله يا أميرَ المؤمنين لأرضينّك بالفعل ، كما أرضيتنى منذ اليوم بالقول . ثم قال :

دَرَاكِها دَرَاكِها قَبْلَ الفَوْتْ وانفرْ بنا واسمُ بِنا نحوَ الصَّوتْ

* لا وألتْ نفسى إن خفتُ الموتْ *

والله لننصرنّ الله عزّ وجلّ كما سمّانا أنصارا .

قال أبو جعفر رحمه الله : وسار علىّ عليه السلام نحو البَصْرة ، ورايتُه مع ابنه محمّد ابن الحنفيّة ، وعلى ميمنته عبدُ الله بن عباس ، وعلى ميسرته عُمَر بن أبى سلمة ، وعلىّ عليه السلام فى القلب على ناقة حمراء ، يقودُ فرسًا كُمَيْتا[3] . فتلقّاه بفَيْدٍ غلامٌ من

(١) تاريخ الطبرى ١ : ٣١٣٩ ، مع تصرف واختصار .
(٢) الطبرى : « ونعطيهم الحق ونصبر » .
(٣) الكميت من الخيل : الذى خالط حمرته قنوء ؛ أى سواد غير خالص .

بني سعد بن ثعلبة ، يدعى مُرّة ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قيل : هـذا أمير المؤمنين ، فقال : سَفْرةٌ قانية ، فيها دماء من نفوس فانية . فسمعها عليّ عليه السلام فدعاه ، فقال : ما اسمُك؟ قال: مُرّة ،قال:أمرّ الله عيشك! أكاهن سائر اليوم؟ قال: بل عائف، فخلّى سبيله، ونزل بفيْد فأتته أسدٌ وطيّئ ، فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : الزموا قراركم ، ففي المهاجرين كفاية .

وقدِم رجلٌ من الكوفة فَيْداً ، فأتى عليا عليه السلام ، فقال له : من الرّجل ؟ قال : عامر بن مطرّف ، قال : الليثي ؟ قال : الشّيْباني ، قال : أخبرني عمّ وراءك ؟ قال : إن أردت الصّلح فأبو موسى صاحبُك ، وإن أردتَ القتال فأبو موسى ليس لك بصاحب. فقال عليه السلام : ما أريد إلّا الصلح إلّا أن يُردّ علينا[1]

قال أبو جعفر : وقدم عليه عثمان بن حُنَيف ، وقد نتف طلحة والزبير شعرَ رأسه ولحيته وحاجبيه ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، بعثتني ذا لحية ، وجئتك أمرد ، فقال : أصبت خيرا وأجرا . ثم قال : أيّها النّاس ، إنّ طلحة والزّبير بايعاني ، ثم نكثا بيعتي ، وألّبا عليّ النّاس ، ومن العجَب انقيادهم لأبي بكر وعمر وخلافهما عليّ ، والله إنّهما ليعلمان أنّي لستُ بدونهما[2] . اللهمّ فاحلُل ما عَقَدا ، ولا تبرم ما أحْكما في أنفسهما ، وأرِهما المساءة فيما قد عملا[3] .

قال أبو جعفر : وعاد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر إلى عليّ عليه السلام ، فلقياه وقد انتهى إلى ذي قار ، فأخبراه الخبر ، فقال عليّ عليه السلام لعبد الله بن العباس : اذهب أنت إلى الكوفة ، فادعُ أبا موسى إلى الطاعة ، وحَذّره من العصيان والخلاف ، واستنفِر النّاس . فذهب عبد الله بن عباس حتى قدِم الكوفة ، فلقيَ أبا موسى ، واجتمع الرؤساء من أهل الكوفة ، فقام أبو موسى فخطبهم ، وقال : إنّ أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم صحبُوه في مواطن كثيرة ، فهم أعلم بالله ممّن لم يصحبْه ، وإنّ لكم عليّ حقّاً ،

---

(١) تاريخ الطبري ١ : ٣١٤١ — ٣١٤٣ (٢) الطبري : « بدون رجل » .
(٣) تاريخ الطبري ١ : ٣١٤٣ ، ٣١٤٤ .

وأنا مؤدّيه إليكم ، أمرٌ ألا تستخفّوا بسلطان الله ، وألّا تجترئوا [على الله] وأن تأخذوا كلّ مَن قدم عليكم من أهل المدينة في هذا الأمر ، فتردّوه إلى المدينة ، حتى تجتمع الأمّة على إمام ترتضي به ؛ إنها فتنة صمّاء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جُرثومةً من جراثيم العرب ، أغمِدوا سيوفكم ، وانصلوا أسنّتكم ، واقطعوا أوتار قسيّكم ، حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجليَ هذه الفتنة .

قال أبو جعفر رحمه الله : فرجع ابن عبّاس إلى عليّ عليه السلام ، فأخبره ، فدعا الحسنَ ابنه عليه السلام وعمّار بن ياسر ، وأرسلهما إلى الكوفة ، فلمّا قدماها كان أوّل مَن أتاهما مسروق بن الأجدع ، فسلّم عليهما ، وأقبل على عمّار ، فقال : يا أبا اليقظان ، علامَ قتلتم أمير المؤمنين ؟ قال : على شتم أعراضنا ، وضرب أبشارنا قال : فوالله ما عاقبتم بمثل ماعوقبتم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين . ثم خرج أبو موسى فلقيَ الحسن عليه السلام فضمّه إليه ، وقال لعمّار : يا أبا اليقظان ، أعدوتَ فيمَن عدا على أمير المؤمنين[1] ، وأحللت نفسك مع الفجّار ؟ قال : لم أفعل ، ولِمَ تسوءني ؟ فقطع عليهما الحسن ، وقال لأبي موسى : يا أبا موسى ، لم تثبّطُ الناس عنّا ، فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ، ومامثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، قال أبو موسى : صدقت بأبي وأمّي ! ولكنّ المستشار مؤتمن ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ستكونُ فتنة[2] .. » وذكر تمام الحديث . فغضب عمار وساءه ذلك ، وقال : أيّها الناس ، إنما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ذلك له خاصّة ، وقام رجل من بني تميم فقال لعمّار : اسكت أيّها العبد ! أنت أمسِ مع الغوغاء ، وتسافه أميرنا اليوم ! وثار زيد بن صُوحان وطبقته ، فانتصروا لعمّار ، وجعل أبو موسى يكفّ الناس ويردعُهم عن الفتنة . ثم انطلق حتى صعد المنبر ، وأقبل زيد بن صُوحان ومعه كتاب من عائشة إليه خاصّة ، وكتاب منها إلى أهل الكوفة عامّة ، تثبّطهم عن نُصرة

---

(١) الطبري : « أعدوت فيمن عدا » .

(٢) بقية الحديث : « القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب » .

عليّ ، وتأمرهم بلزوم الأرض ، وقال : أيّها الناس ، انظروا إلى هذه ، أُمِرَتْ أن تقرّ في بيتها ، وأُمِرنا نحن أن نقاتل ، حتى لا تكون فتنة ، فأمرتنا بما أُمِرَتْ به ، وركبت ما أُمِرْنا به ، فقام إليه شَبَث بن رِبْعِيّ فقال له : وما أنت وذاك أيها العُمانيّ الأحمق ! سرقْتَ أمس بجَلُولاء ، فقطعكَ الله ، وتسبّ أم المؤمنين ! فقام زيد ، وشال يدَه المقطوعة وأومأ بيده إلى أبي موسى وهو على المنبر ، وقال له : ياعبدَ الله بن قَيْس ، أتردّ الفرات عن أمواجه ! دَعْ عنك مالست تدركه ، ثم قرأ : ﴿ الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ... ﴾[1] الآيتين ، ثم نادى : سيرُوا إلى أمير المؤمنين وصراط سيّد المرسلين ، وانفِرُوا إليه أجمعين . وقام الحسن بن عليّ عليه السلام ، فقال : أيّها الناس ، أجيبوا دعوةَ إمامكم ، وسيرُوا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر مَنْ ينفر إليه ، والله لأن يليه أولُو النّهى أمثلُ في العاجلة ، وخيرٌ في العاقبة ، فأجيبوا دعوتَنا ، وأعينونا على أمرنا ؛ أصلحكم الله !

وقام عبد خير فقال : ياأبا موسى ، أخبرْني عن هذين الرجلين ، ألم يبايعا عليا ؟ قال : بلى ، قال : أفأحدَث عليّ حدثا يحلّ به نقض بيعته . قال : لا أدرى ، قال : لا دَرَيت ولا أتيت ! إذا كنت لا تدرى فنحن تاركوك حتى تدرى . أخبرني . هل تعلم أحداً خارجا عن هذه الفرق الأربع : عليّ بظهر الكوفة، وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية بالشام، وفرقة رابعة بالحجاز قعود لا يجبى بهم فَيْء ، ولا يقاتَل بهم عدو ! فقال أبو موسى : أولئك خيرُ الناس ، قال عبد خير : اسكت ياأبا موسى ، فقد غلب عليك غشُّك[2] .

* * *

قال أبو جعفر : وأتت الأخبار عليًّا عليه السلام باختلاف الناس بالكوفة ، فقال للأشتر : أنت شفعتَ في أبي موسى أن أُقِرّه على الكوفة ، فاذهب فأصلِحْ ماأفسدتَ ،

---

(١) سورة العنكبوت ١ ـ ٣ (٢) تاريخ الطبري ١ : ٣١٤٦ ـ ٣١٤٢ مع تصرف واختصار .

فقام الأشتر، فشخص نحو الكوفة، فأقبل حتى دخلها والناس فى المسجد الأعظم، فجعل لايمرّ بقبيلة إلّا دعاهم، وقال: اتبعونى إلى القصر، حتى وصل القصر، فاقتحمه وأبوموسى يومئذ يخطب النّاس على المنبر، ويثبّطهم، وعمار يخاطبه، والحسن عليه السلام يقول: اعتزل عملنا وتنحّ عن منبرنا، لا أمّ لك!

قال أبو جعفر: فروى أبو مريم الثقفى، قال: والله إنّى لفى المسجد يومئذ إذ دخل علينا غلمان أبى موسى يشتدّون ويبادرون[1] أبا موسى: أيّها الأمير، هذا الأشتر قدجاء، فدخل القصر، فضربنا وأخرجنا. فنزل أبو موسى من المنبر، وجاء حتى دخل القصر، فصاح به الأشتر: اخرُج من قصرنا لا أمّ لك، أخرج الله نفسك! فوالله إنّك لمن المنافقين قديماً. قال: أجّلنى هذه العشيّة، قال: قد أجّلتك، ولا تبيتنّ فى القصر [الليلة][2]. ودخل النّاسُ ينتهبون متاعَ أبى موسى، فمنعهم الأشتر، وقال: إنّى قد أخرجتُه وعزلتُه عنكم، فكفّ الناس حينئذ عنه[3].

* * *

قال أبو جعفر: فروى الشعبى، عن أبى الطُّفيل، قال: قال على عليه السلام: يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجلٌ واحد، فوالله لقعدت على نَجَفة[4] ذى قار، فأحصيتهم واحدا واحدا، فما زادوا رجلًا، ولا نقصوا رجلًا[5].

* * *

[فصل فى نسب عائشة وأخبارها]

وينبغى أن نذكر فى هذا الموضع طرفا من نسب عائشة وأخبارها، ومايقوله أصحابنا المتكلّمون فيها، جريًا على عادتنا فى ذكر مثل ذلك كلّما مررنا بذكر أحد من الصحابة.

---

(١) الطبرى: «يبادون». (٢) من الطبرى (٣) تاريخ الطبرى ١: ٣١٥٣، ٣١٥٤
(٤) فى الأصول: «لجفة»، والصواب ما أثبته من الطبرى. والنجفة: المكان المشرف على ماحوله من الأرض. (٥) تاريخ الطبرى ١: ٣١٧٣، ٣١٧٤.

أمّا نسبُها ، فإنها ابنةُ أبي بكر ، وقد ذكرنا نسبه فيما تقدم ، وأمّها أم رُومان ابنة عامر بن عُوَيمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أذينة بن سُبيع بن دُهمان بن الحارث بن تميم بن مالك بن كنانة . تزوجها رسولُ الله صلى الله عليه وآله بمكّة قبل الهجرة بسنتين — وقيل بثلاث — وهي بنت ست سنين — وقيل بنت سبع سنين — وبنى عليها بالمدينة وهي بنت تسع ، لم يختلفوا في ذلك .

وكانت تذكر لجبير بن مطعم ، وتسمّى له ، وورد في الأخبار الصّحيحة أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله أُرِيَ عائشة في المنام في سَرَقَةِ حرير ، متوفّى خديجة رضي الله عنها ، فقال : إن يكن هذا من عند الله يُمضِه ! فتزوجها بعد موت خديجة بثلاث سنين ، وتزوجها في شوّال ، وأعرس بها بالمدينة في شوّال ، على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجره إلى المدينة[١] .

وقال ابن عبد البرّ في كتاب « الاستيعاب » : كانت عائشة تحبّ أن تدخل النساء من أهلها وأحبّتها في شوال على أزواجهن ، وتقول : هل كان في نسائه أحظى عنده منّي وقد نكحني وبنى عليّ في شوال[١] !

قلت : قرئ هذا الكلام على بعض الناس ، فقال : كيف رأت الحال بينها وبين أحمائها وأهل بيت زوجها !

وروى أبو عمر بن عبد البرّ ، في الكتاب المذكور : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله تُوفّيَ عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة ، فكان سنّها معه تسع سنين ، ولم ينكح بكرًا غيرها ، واستأذنتْ رسول الله صلى الله عليه وآله في الكُنية ، فقال لها : اكتني بابنك عبدالله بن الزّبير — يعني ابن أختها — فكانت كنيتُها أم عبد الله ، وكانت فقيهةً عالمة بالفرائض والشّعر والطبّ[١] .

---

(١) الاستيعاب ٤٧٤

وروى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله ، قال : « فضلُ عائشة على النساء كفضل الثّريد على الطعام » ، وأصحابنا يحملون لفظة النّساء في هذا الخبر على زوجاته ، لأنّ فاطمة عليها السلام عندهم أفضلُ منها ، لقوله صلى الله عليه وآله : « إنّها سيّدة نساء العالمين » .

وقذفت بصفوان بن المعطل السُّلَمىّ في سنة ستّ ، منصرَفَ رسول الله صلى الله عليه وآله من غزاة بني المصطلق ـ وكانت معه ـ فقال فيهما أهل الإفك ما قالوا ، ونزل القرآن ببراءتها .

وقوم من الشّيعة زعموا أنّ الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها ، وإنما أنزلت في مارِيَة القبطيّة ، وما قذفت به مع الأسود القبطىّ . وجحدهم لإنزال ذلك في عائشة جحدٌ لما يعلم ضرورة من الأخبار المتواترة ، ثم كان من أمرها وأمر حفصة وما جرى لهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الأمر الّذى أسرّه على إحداهما ما قد نطق الكتاب العزيز به . واعتزل رسول الله صلى الله عليه وآله نساءه كلهنّ ، واعتزلهن معهنّ ثم صالحهنّ ، وطلّق حفصة ثم راجعها ؛ وجرت بين عائشة وفاطمة بلاغات ، وحديث يُوغر الصّدور ، فتولّد بين عائشة وبين علىّ عليه السلام نوع ضغينة ، وانضمّ إلى ذلك إشارته على رسول الله صلى الله عليه وآله في قصّة الإفك بضرب الجارية وتقريرها ، وقوله : « إنّ النّساء كثير » .

ثم جرى حديث صلاة أبي بكر بالنّاس ، فزعم الشّيعة أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله لم يأمر بذلك ، وأنّه إنّما صلّى بالناس عن أمر عائشة ابنته ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج متحاملًا وهو مثقل ، فنحّاه عن المحراب . وزعم معظم المحدّثين أن ذلك كان عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله . وقوله ثم اختلفوا ، فمنهم من قال : نحّاه وصلّى هُوَ بالناس ، ومنهم من قال : بل ائتمّ بأبي بكر كسائر الناس ، ومنهم

من قال : كان النـاس يصلّون بصلاة أبى بكر ، وأبو بكر يصلّى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم كان منها فى أمر عثمان ، وتضريب النّاس عليه ، ماقد ذكرناه فى مواضعه ، ثم تلا ذلك يوم الجمل .

* * *

واختلف المتكلمون فى حالها وحال مَنْ حضر واقعة الجمل ، فقالت الإماميّة : كَفَر أصحابُ الجمل كلُّهم ؛ الرؤساء والأتباع . وقال قوم من الحشْويّة والعـامّة : اجتهدوا فلا إثم عليهم ، ولا نحـكم بخطئهم ولابخطأ علىّ عليه السلام وأصحابه .

وقال قوم من هؤلاء : بل نقول : أصحاب الجمل أخطئوا ، ولـكنه خطأ مغفور ، وكخطأ المجتهـد فى بعض مسائل الفروع عند مَنْ قال بالأشبـه ؛ وإلى هـذا القول يذهب أكثر الأشعريّة .

وقال أصحابنا المعتزلة : كلّ أهلِ الجمل هالـكون إلّا مَنْ ثبتت توبته منهم ، قالوا : وعائشة ممّن ثبتت توبتهـا ، وكذلك طلحة والزبير ، أمّا عائشة فإنّها اعترفت لعلىّ عليه السلام يوم الجمل بالخطأ ، وسألته العفوَ ، وقد تواترت الرواية عنها بإظهار الندم ، وأنّها كانت تقول : ليتَه كان لى من رسول الله صلى الله عليه وآله بنون عشرة ، كلّهم مثل عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ــ وثـكلتُهم ــ ولم يكن يومُ الجمل ! وأنّها كانت تقول : ليتنى مِتّ قبل يوم الجمل ، وأنّها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكى حتى تبل خمارها . وأمّا الزبير فرجع عن الحرب معترفا بالخطأ لمّا أذكره علىّ عليه السلام ما أذكره . وأمّا طلحة فإنّه مرّ به ــ وهو صريع ــ فارس ، فقال له : قف ، فوقف ، قال : من أىّ الفريقين أنت ؟ قال : من أصحابِ أمـير المؤمنين ، قال : أقعدنى ، فأقعده ، فقال : امدُدْ يدَك أبايعك لأمير المؤمنين ، فبايعه .

وقال شيوخنا : ليس لقائل أن يقول : مايروى من أخبار الآحاد بتوبتهم لايعارض ماعلم قطعا من معصيتهم . قالوا : لأن التوبة إنما يحكم بها المكلف على غالب الظن فى جميع المواضع ، لا على القطع ، ألا ترى أنا نجوز أن يكون من أظهر التوبة منافقا وكاذبا ، فبان أن المرجع فى قبولها فى كل موضع إنما هو إلى الظن ، فجاز أن يعارض ماعلم من معصيتهم بما يظن من توبتهم .

(٢)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة :

وَجَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

* * *

الشرح :

موضع قوله : « من أهل مصر » نصب على التمييز ، ويجوز أن يكون حالا .

فإن قلت : كيف يكون تمييزا وتقديره . وجزاكم الله متصدّين أحسن ما يجزى المطيع ؟ والتمييز لا يكون إلا جامداً ، وهذا مشتقّ !

قلت : إنهم أجازوا كونَ التمييز مشتقا في نحو قولهم : « ما أنت جارةً » ، وقولهم : « ياسيّداً ما أنت من سيّد » .

وما ، يجوز أن تكون مصدرية ، أي أحسن جزاء العاملين ، ويجوز أن تكون بمعنى الذى ، ويكون قد حذف العائد إلى الموصول ، وتقديره أحسن الذى يجزى به العاملين .

(٣)

الأصلُ :

ومن كتاب له عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه

ورُوِيَ أنَّ شُرَيْحَ بن الحارث قاضيَ أميرِ المؤمنين عليه السلام اشترى على عَهْدِهِ داراً بثمانينَ ديناراً ؛ فبلغه ذلك ، فاستدعى شُرَيْحاً ، وقال له : بَلَغَنِي أنَّكَ ابتعتَ داراً بثمانين ديناراً ، وكتبتَ لها كتاباً ، وأشهدتَ فيه شُهُوداً . فقال له شُرَيْحٌ : قد كان ذلك يا أميرَ المؤمنين ، قال : فنظر إليه نظرَ المُغْضَبِ ، ثمَّ قال له :

يا شُرَيْحُ ، أمَا إنّه سيأتيك مَنْ لا ينظُرُ في كتابك ، ولا يَسألك عن بَيِّنَتِكَ ، حتّى يُخْرِجَكَ منها شاخصاً ، ويُسْلِمَكَ إلى قبرِكَ خالصاً . فانظرْ يا شُرَيْحُ لا تكونُ ابتعتَ هذه الدّارَ من غيرِ مالِكَ ، أوْ نقدتَ الثّمنَ من غيرِ حلالِكَ ؛ فإذا أنتَ قد خَسِرْتَ دارَ الدُّنيا ودارَ الآخرة .

أمَا إنَّكَ لو كُنْتَ أتيتَني عند شرائكَ ما اشتريتَ ، لَكَتَبْتُ لكَ كتاباً على هذه النُّسْخَةِ ، فلم ترغبْ في شراءِ هذه الدّارِ بالدّرهم[1] فما فوقُ ، والنُّسخةُ هذه :

« هذا ما اشترى عبدٌ ذليلٌ ، مِنْ مَيِّتٍ قد أُزْعِجَ للرَّحيلِ . اشترى منهُ داراً مِنْ دارِ الغُرورِ ، مِنْ جانبِ الفانين ، وخِطَّةِ الهالكين . وتجمعُ هذه الدّارَ حُدُودٌ أربعةٌ : الحدُّ الأوّلُ ينتهي إلى دواعي الآفاتِ ، والحدُّ الثّاني ينتهي إلى دواعي المُصيباتِ ؛ والحدُّ الثّالثُ ينتهي إلى الهوى المُرْدِي ، والحدُّ الرّابعُ ينتهي إلى الشّيطانِ المُغْوِي . وفيه يُشْرَعُ بابُ هذه الدّارِ . اشترى هذا المُغْتَرُّ بالأمَلِ ، مِنْ هذا

(١) مخطوطة النهج : « بدرهم » .

الْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ هَـذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ ؛ فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ . فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ ـ إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ ، ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .

شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى ، وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا » .

* * *

الشَّرْحُ :

[نسب شريح وذكر بعض أخباره]

هو شُرَيح بن الحارث بن المنتجع بن معاوية بن جَهْم بن ثَوْر بن عُفَير[1] بن عدىّ ابن الحارث بن مُرّة بن أُدد الكِندىّ ؛ وقيل إنه حليف لكِندة من بنى الرائش .

وقال ابنُ الكلبىّ : ليس اسم أبيه الحارث ، وإنما هو شريح بن معاوية ابن ثَوْر .

وقال قوم : هو شريح بن هانئ .

وقال قوم : هو شريح بن شَراحيل . والصحيح أنّه شريح بن الحارث ، ويكنى أبا أميّة . استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة ، فلم يزل قاضيا ستّين سنة ، لم يتعطّل فيها إلا ثلاث سنين فى فِتْنة ابن الزّبير ؛ امتنع فيها من القضاء ، ثم استعفى الحجاجَ من

(١) ب : « عفر » ، والصواب ما أثبته من الاستيعاب .

العمل فأعفاه ، فلزم منزله إلى أن مات ، وعُمّر عمراً طويلا ، قيل : إنه عاش مائة سنة وثمانيا وستين ، وقيل مائة سنة ، وتوفّى سنة سبع وثمانين .

وكان خفيف الرّوح ، مزّاحا ، فقدم إليه رجلان فأقرّ أحدهما بما ادّعى به خصمه ، وهو لا يعلم فقضى عليه ، فقال لشريح : مَنْ شهد عندك بهذا ؟ قال : ابن أخت خالك .

وقيل : إنه جاءته امرأة تشكى وتتظلم على خصمها ، فبارقت لها حتى قال له إنسان كان بحضرته : ألا تنظر أيّها القاضي إلى بكائها ! فقال : إنّ إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون .

وأقرّ على عليه السلام شُرَيحاً على القضاء ، مع مخالفته له فى مسائل كثيرة من الفقه مذكورة فى كتب الفقهاء .

واستأذنه شُرَيح وغيره من قضاة عثمان فى القضاء أوّل ما وقعت الفُرقة ، فقال : اقضوا كما كنتم تقضون حتى تكون للنّاس جماعة ، أو أموت كما مات أصحابى

وسخط علىٌّ عليه السلام مرّة عليه فطرده عن الكوفة ولم يعزله عن القضاء ، وأمره بالمقام بانقيا - وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنها اليهود - فأقام بها مدّة ، حتى رضى عنه وأعاده إلى الكوفة .

وقال أبو عمر بن عبد البرّ فى كتاب " الاستيعاب " : أدرك شُرَيح الجاهليّة ، ولا يعدّ من الصحابة ، بل من التابعين ، وكان شاعرا محسنا ، وكان سِناطاً لا شعر فى وجهه [1] .

* * *

قوله عليه السلام : « وخِطّة الدنكين » بكسر الخاء ، وهى الأرض التى يختطها الإنسان ،

(١) الاستيعاب ٦٩٠ ، وذكر أنه توفى سنة سبع وثمانين وعاش وهو ابن مائة سنة ؛ وولى القضاء ستين سنة من زمن عمر إلى زمن عبد الملك بن مروان .

أى يُعْلِم عليهـا علامة بالخطّ ليعمرها ؛ ومنه خطط الكوفة والبصرة .

وزخرف البناء ، أى ذهّب جدرانه بزُخرف ، وهو الذهب .

ونجّد : فرش المنزل بالوسائد ، والنجّاد : الذى يعالج الفرش والوسائد ويخيطهما ، والتنجيد : التزيين بذلك ، ويجوز أن يريد بقوله : « نجّد » رفع وعلا ، من النَّجْـد ، وهو المرتفع من الأرض .

واعتقد : جعل لنفسه عُقْدة كالضَّيْعة أو الذخيرة من المال الصامت .

« وإشخاصُهم » مرفوع بالابتداء وخبره الجار المجرور المقدّم ، وهو قوله : « فصل مبلغ أجسام الملوك » ، وموضع الاستحسان من هذا الفصل — وإن كان كله حسناً — أمران :

أحدُهما : أنّه عليه السلام نظر إليه نظر مغضب ، إنكارا لابتياعه داراً بثمانين دينارا ، وهذا يدلّ على زهد شديد فى الدنيا واستكثار للقليل منها ، ونسبه هذا المشترى إلى الإسراف ، وخوف من أن يكون ابتاعها بمال حرام .

الثانى : أنه أملى عليه كتابا زهديًا وعظيا ، مماثلا لكتب الشُّروط التى تكتب فى ابتياع الأملاك . فإنهم يكتبون : « هذا ما اشترى فلان من فلان ، اشترى منه دارا من شارع كذا وخطة كذا ، ويجمع هذه الدار حدود أربعة ، الحدّ منها ينتهى إلى دار فلان ، وحدٌّ آخر ينتهى إلى ملك فلان ، وحدّ آخر ينتهى إلى ما كان يعرف بفلان ، وهو الآن معروف بفلان ، وحدٌّ آخر ينتهى إلى كذا . ومنه شروع باب هذه الدار وطريقها : « اشترى هذا المشترى المذكور من البائع المذكور جميع الدار المذكورة بثمن مبلغه كذا وكذا دينارا ، أودرها ؛ فما أدرك المشترى المذكور من درك فرجوع به على من يُوجب الشرع الرجوع به عليه » . ثم تكتب الشهود فى آخر الكتاب . شهد فلان ابن فلان بذلك ، وشهد فلان ابن فلان به أيضاً ؛ وهذا يدلُّ على أنّ الشروط المكتوبة الآن قد كانت

في زمن الصحابة تكتب مثلها أو نحوها ؛ إلا أن ما سمعنا عن أحد منهم أنه نقل صيغة الشرط الفقهي إلى معنى آخر كما قد نقله هو عليه السلام ، ولا عزو فما زال سبّاقًا إلى العجائب والغرائب !

فإن قلت : لم جعل الشيطان للنوى في الحدّ الرابع ؟

قلت : ليقول : وفيه يشرع باب هذه الدار ، لأنه إذا كان الحدّ إليه ينتهي كان أسهل لدعوته إليها ودخول أتباعه وأوليائه من أهل الشيطنة والضلال .

(٤)

الأصْـلُ :

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه :

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ ، فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ ، عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ ؛ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ .

•••

الشَّـرْحُ :

انهد : أي انهض . وتقاعس ، أي أبطأ وتأخر .

والمتكاره : الذي يخرج إلى الجهاد من غير نية وبصيرة ، وإنما يخرج كارها مرتابا ، ومثل قوله عليه السلام : « فإن المتكاره مغيبه خير من مشهده ، وقعوده أغنى من نهوضه » قوله تعالى : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة ٤٧ .

(٥)

الأصْلُ :

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس ، وهو عامل آذربيجان :

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ ، وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ . وَالسَّلَامُ .

* * *

الشَّرْحُ :

قد ذكرنا نسب أشعث بن قيس فيما تقدم .

وأذربيجان : اسم أعجمي غير مصروف ، الألف مقصورة ، والذال ساكنة . قال حبيب :

وأذربيجان اختيال ، بعد ما ... كانت معرّس عبرة ونكال[1]

وقال الشماخ :

تذكّرتها وهناً وقد حال دونها ... قُرَى أذْرَبيجانَ المسالحُ والجالُ

والنّسبة إليه أذْرِيّ بسكون الذال ، هكذا القياس ، ولكن المرويّ عن أبي بكر في الكلام الذي قاله عند موته : « ولتألمُنّ النوم على الصوف الأذَرِيّ » بفتح الذال .

والطُّعمة بضم الطاء المهملة : المأكلة ، ويقال : فلان خبيث الطعمة ، أي رديء الكسب ، والطِّعمة بالكسر هيئة التطعّم ، يقول : إن عملك لم يسوّغه الشرع ، والوالي من قِبَلي إياه ؛

(١) ديوانه ٢٦٠ .

ولا جعله لك أكلاً ؛ ولكنه أمانة فى يدك وعملك للمسلمين ، وفوقك سلطان أنت له رعية فليس لك أن تفتات فى الرعية الذين تحت يدك ، يقال : افتات فلان على فلان ، إذا فعل بغير إذنه ماسبيله أن يستأذنه فيه ، وأصله من الفَوْت وهو السَّبْق ، كأنه سبقه إلى ذلك الأمر .

وقوله : « ولا تخاطرْ إلاّ بوثيقةٍ » ، أى لا تُقدِم على أمرٍ مَخوفٍ فيما يتعلق بالمال الذى تتولاّه إلا بعد أن تتوثّق لنفسك ، يقال : أخذ فلان بالوثيقة فى أمره ، أى احتاط .

ثم قال له : « ولعلّى لا أكون شرّ ولاتك » ، وهو كلام يطيّب به نفسه ويسكّن به جأشه ، لأنّ فى أوّل الكلام إيحاشا له ، إذ كانت ألفاظه تدلّ على أنه لم يره أمينا على المال ، فاستدرك ذلك بالكلمة الأخيرة ، أى ربّما تحمد خلافتى وولايتى عليك ، وتصادف منّى إحسانا إليك ، أى عسى ألا يكون شكرك لمَن ومَنْ قبله أكثر من شكرك لى ، وهذا من باب وعدك الحق ، وتسميه العرب أمنيّة

وأول هـذا الكتاب

« من عبد الله علىّ أميرِ المؤمنين إلى الأشعث بن قيس . أمّا بعدُ ، فلولا هَنات وهَنات كانت منك ، كنت المقدّم فى هذا الأمر قبل الناس ، ولعلّ أمرا كان يحمل بعضه بعضا إن اتّقيت الله عزّ وجلّ ، وقد كان من بيعة النّاس إيّاى ماقد علمت ، وكان من أمر طلحة والزبير ماقد بلغكَ ، فخرجت إليهما ، فأبلغت فى الدّعاء ، وأحسنت فى البقيّة ، وإن عملك ليس لك بطعمة ... » ، إلى آخر الكلام ، وهذا الكتاب كتبه إلى الأشعث ابن قيس ، بعد انقضاء الجمل .

(٦)

الأصلُ :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلهِ رِضاً ، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى .

وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ ، لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى ؛ فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ ! وَالسَّلَامُ .

* * *

الشرحُ :

قد تقدّم ذكرُ هذا الكلام في أثناء اقتصاص مراسلة أمير المؤمنين عليه السلام معاويةَ بجرير بن عبد الله البجليّ ، وقد ذكره أرباب السّيرة كلُّهم ، وأورده شيوخنا المتكلّمون في كتبهم احتجاجاً على صحة الاختيار ، وكونه طريقاً إلى الإمامة ، وأول الكتاب :

« أما بعد ، فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، لأنه بايعني القومُ الّذين بايعوا ... » ، إلى آخر الفصل .

والمشهور المروىّ : « فإن خرج من أمرهم خارجٌ بطعن أو رغبة » ، أى رغبة عن ذلك الإمام الذى وقع الاختيار له .

والمروىّ بعد قوله : « ولّاه الله ما تولّى » : « وأصلاه جهنّم وساءت مصيرا . وإنّ طلحة والزُّبيرَ بايعانى ثم نقضا بيعتى ، فكان نقضهما كردّتهما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون . فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإنّ أحبّ الأمور إلىّ فيك العافية ، إلّا أن تتعرّض للبلاء ، فإن تعرّضتَ له قاتلتك ، واستعنت بالله عليك ، وقد أكثرتَ فى قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل الناسُ فيه ، ثم حاكم القوم إلىّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله ، فأمّا تلك التى تريدها فخدعة الصبىّ عن اللبن . ولعمرى يامعاوية إن نظرت بعقلك . . . » إلى آخر الكلام .

وبعده : « واعلم أنّك من الطُّلقاء الذين لا تحلّ لهم الخلافة ، ولا تعترض فيهم الشورى ، وقد أرسلتُ إليك جريرَ بن عبد الله البجلىّ ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايع ولا قوة إلا بالله » .

واعلم أنّ هذا الفصل دالّ بصريحه على كون الاختيار طريقا إلى الإمامة كما يذكره أصحابنا المتكلّمون ، لأنه احتجّ على معاوية ببيعة أهل الحلّ والعقد له ، ولم يراعِ فى ذلك إجماعَ المسلمين كلّهم ، وقياسه على بيعة أهل الحلّ والعقد لأبى بكر ، فإنه ما رُوعِى فيها إجماع المسلمين ، لأنّ سعد بن عُبادة لم يبايعْ ، ولا أحدٌ من أهل بيته وولده ، ولأنّ عليًّا وبنى هاشم ومَنِ انضوى إليهم لم يبايعوا فى مبدأ الأمر ، وامتنعوا ؛ ولم يتوقّف المسلمون فى تصحيح إمامة أبى بكر وتنفيذ أحكامه على بيعتهم ، وهذا دليل على صحة الاختيار وكونه طريقا إلى الإمامة ، وأنّه لا يقدح فى إمامته عليه السلام امتناعُ معاوية من البيعة وأهل الشام ؛ فأما الإماميّة فتحملُ هذا الكتابَ منه عليه السلام على التقيّة ، وتقول : إنّه ما كان يمكنه

أن يصرح لمعاوية في مكتوبه بباطن الحال، ويقول له: أنا منصوص علىّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعهود إلى المسلمين أن أكون خليفةً فيهم بلا فصل، فيكون في ذلك طعن على الأئمة المتقدّمين، وتفسد حاله مع الذين بايعوه من أهل المدينة؛ وهذا القول من الإماميّة دعوى لو عضدّها دليل لوجب أن يقال بها، ويُصار إليها؛ ولكن لا دليل لهم على ما يذهبون إليه من الأصول التي تسوقهم إلى حمل هذا الكلام على التقيّة.

فأما قوله عليه السلام: «وقد أكثرتَ في قَتَلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله»، فيجب أن نذكر في شرحه ما يقوله المتكلمون في هذه الواقعة.

قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله: هذا الكلام حق وصواب، لأن أولياء الدم يجب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته، ثم يرفعوا خصومهم إليه، فإن حكم بالحقّ استديمت إمامته، وإن حادّ عن الحق انفسخت خلافته، وأولياء عثمان الذين هم بنوه لم يبايعوا عليًّا عليه السلام، ولا دخلوا تحت طاعته ثَمّ، وكذلك معاوية ابنُ عمّ عثمان لم يبايع ولا أطاع؛ فمطالبتهم له بأن يقتصّ لهم من قتل عثمان قبل بيعتهم إياه وطاعتهم له ظلم منهم وعدوان.

فإن قلت: هب أنّ القصاص من قتلة عثمان موقوفٌ على ما ذكره عليه السلام؛ أما كان يجبُ عليه لا من طريق القصاص أن ينهى عن المنكر! وأنتم تذهبون إلى أنّ النهي عن المنكر واجب على مَنْ هو سُوقة، فكيف على الإمام الأعظم!

قلت: هذا غير وارد هاهنا، لأنّ النهي عن المنكر إنما يجب قبل وقوع المنكر، لكيلا يقع، فإذا وقع المنكر، فأيّ نهي يكونُ عنه! وقد نهى عليّ عليه السلام أهلَ مصر وغيرَهم عن قتل عثمان قبل قتله مرارا، ونابذهم بيده ولسانه وبأولاده فلم يغن

شيئاً ، وتمالم الأمر حتى قُتِل ؛ ولا يجب بعد القتل إلّا القصاص ، فإذا امتنع أولياء الدم من طاعة الإمام لم يجب عليه أن يقتصّ من القاتلين ، لأنّ القصاص حقّهم ، وقد سقط بعصيهم على الإمام وخروجهم عن طاعته . وقد قلنا نحن فيما تقدّم : إنّ القصاص إنّما يجب على مَنْ باشر القتل ؛ والذين باشروا قتل عثمان قُتِلوا يوم قتل عثمان في دار عثمان، والذين كان معاوية يطالبهم بدم عثمان لم يباشروا القتل ، وإنّما كثّروا السّواد وحصروا عثمان في الدار ، وأجلبوا عليه وشتموه وتوعّدوه ، ومنهم مَنْ تسوّر عليه داره ولم ينزل إليه ، ومنهم مَنْ نزل فحضر محضر قتله ولم يشرك فيه ، وكلّ هؤلاء لا يجب عليهم القصاص في الشّرع .

* * *



[جرير بن عبد الله البجليّ عند معاوية]

وقد ذكرنا فيما تقدّم شرح حال جرير بن عبد الله البجليّ في إرسال عليّ عليه السلام إيّاه إلى معاوية مستقصى . وذكر الزبير بن بكّار في "الموفّقيات" أنّ عليا عليه السلام لما بعث جريرا إلى معاوية ، خرج وهو لا يرى أحداً قد سبقه إليه ، قال . فقدمت على معاوية فوجدته يخطب الناس وهم حوله يبكون حول قميص عثمان وهو معلّق على رُمح مخضوب بالدّم ؛ وعليه أصابع زوجته نائلة بنت الفَرافصة مقطوعة ، فدفعت إليه كتاب عليّ عليه السلام ، وكان معي في الطريق رجلٌ يسير بسيري ، ويقيم بمقامي ، فتمثّل بين يديه في تلك الحال وأنشده :

إنّ بني عمّك عبدِ المطّلبْ ... هُمْ قتلوا شيخَكُمُ غيرَ كَذِبْ

* وأنت أولى الناس بالوثْب فثِبْ *

وقد ذكرنا تمامَ هذه الأبيات فيما تقدم .

قال ثم دفع إليه كتابا من الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط؛ وهو أخو عثمان لأمه، كتبه مع هذا الرجل من الكوفة سرا أوله :

* مُعَاوِيَ إنَّ الْمُلْكَ قد جُبَّ غَارِبُهْ *

الأبيات التي ذكرنا فيما تقدم .

قال : فقال لي معاوية : أَقِمْ فإنَّ الناس قد نفروا عند قتل عثمان حتى يسكنوا. فأقمت أربعة أشهر ، ثم جاءه كتاب آخر من الوليد بن عُقْبة ، أوله :

ألا أبلغْ معـــاويةَ بنَ حَرْبٍ فإنكَ من أخي ثقةٍ مُلِيمُ[1]
قطعتَ الدهرَ كالسَّدِمِ المعـنَّى تهـدِر في دمشقَ ولا تَرِيمُ[2]
وإنك والـكتابَ إلى عـــليٍّ كدابغـةٍ وقد حَلِمَ الأديمُ[3]
فلو كنتَ القتيــلَ وكان حيًّا لشمَّرَ لا ألفُّ ولا سَئُومُ[4]

قال : فلما جاءه هذا الكتاب وصل بين طُومارين[5] أبيضين ، ثم طواهما وكتب عنوانهما .

---

(١) مليم : من وقع منه ما يلام عليه .

(٢) السدم في الأصل : الفحل يرغب عن ضرابه ، فيحال بينه وبين الألّاف ؛ والبيت في اللسان ١٥ : ١٧٦

(٣) يقول : أنت تسعى في إصلاح أمر ثم تفسده كالمرأة التي تدبغ الأديم الحلم الذي وقعت فيه الحلمة (وهي دودة) فتثقبه وتفسده فلا ينتفع به . وقد وردت الأبيات في اللسان (حلم) ، وذكر بعدها :

لكَ الوَيْلاتُ أَقْحِمْهَا عليهم فخيرُ الطالبي التِّرَةِ الغَشُومُ
فقومُكَ بالمدينةِ قد تَرَدَّوْا فهُمْ صَرْعَى كأنَّهُمُ الهشيمُ

(٤) رواية هذا البيت في اللسان :

فلوْ كُنتَ المُصابَ وكانَ حيًّا تجرَّدَ ، لا ألفُّ ولا سَئُومُ

(٥) الطومار : الصحيفة .

« من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب » .

ودفعهما إليّ ، لا أعلم ما فيهما ، ولا أظنّهما إلا جواباً ، وبعث معي رجلاً من بني عَبْس لا أدري ما معه ، فخرجنا حتى قدمنا إلى الكوفة ، واجتمع النّاس في المسجد ، لا يشكّون أنّها بيعة أهل الشام ؛ فلما فتح عليّ عليه السلام الكتاب لم يجد شيئاً ، وقام العبسيّ فقال : مَنْ هاهنا من أحياء قيس ، وأخصّ من قيس غطفان ، وأخصّ من غطفان عَبْس ؟ إنّي أحلف بالله لقد تركت تحت قميص عثمان أكثر من خمسين ألف شيخ خاضبي لحاهم بدموع أعينهم ، متعاقدين متحالفين ، ليقتُلُنّ قَتَلَتَه في البرّ والبحر ، وإنّي أحلف بالله ليقتحمنّها عليكم ابنُ أبي سفيان بأكثر من أربعين ألفاً من خِصْيان الخيل ، فما ظنّكم بعدُ بما فيها من الفُحول . ثم دفع إلى عليّ عليه السلام كتاباً من معاوية ففتحه فوجد فيه :

أتانيَ أمرٌ فيه للنفس غُمّةٌ ... وفيه اجتداعٌ للأنوف أصيلُ
مصابُ أمير المؤمنين وهَدّةٌ ... تكادُ لها صُمُّ الجبالِ تزولُ

وقد ذكرنا هذا الشعر فيما تقدّم .

(٧)

الأصْلُ :

ومن كتاب منه عليه السلام إليه أيضاً :

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ ، نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ . وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ ، فَهَجَرَ لَاغِطاً ، وَضَلَّ خَابِطاً .

* * *

الشَّرْحُ :

موعظة موصّلة ، أى مجموعة الألفاظ من هاهنا وهاهنا ، وذلك عيب فى الكتابة والخطابة ، وإنما الكاتب من يرتجل فيقول قولا فصلًا ، أو يروّى فيأتى بالبديع المستحسن وهو فى الحالين كلامه ينبع من كيسه ، ولا يستعير كلامَ غيره .

والرسالة المحبَّرة : المزيّنة الألفاظ ؛ كأنه عليه السلام يشير إلى أنه قد كان يظهر عليها أثر التكلّف والتصنّع .

والتنميق : التزيين أيضاً .

وهَجَر الرجل ، أى هَذَى ، ومنه قوله تعالى فى أحد التفسيرين : ﴿ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾[1] .

واللّاغط : ذو اللغط ، وهو الصوت والجلبة .

---

(١) سورة الفرقان ٣٠

وخَبَط البعير فهو خابط ، إذا مشى ضالًا فخبط بيدِه كلَّ ما يَلقاه ، لا يتوقى شيئاً .

* * *

وهذا الكتاب كتبه عليٌّ عليه السلام جواباً عن كتاب كتبه معاويةُ إليه في أثناء حرب صِفّينَ بل في أواخرها ، وكان كتاب معاوية :

« من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، أما بعد ، فإنّ الله تعالى يقول في محكم كتابه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴾ [1] ، وإني أحذرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشقّ عصا هذه الأمّة وتفريق جماعتها ، فاتق الله واذكر موقف القيامة ، وأقلع عمّا أسرفتَ فيه من الخوض في دماء المسلمين ، وإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « لو تمالأ أهلُ صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبّهم الله على مناخرهم في النار » ، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين ، بَلهَ ما طحنتْ رحا حربه من أهل القرآن ، وذي العبادة والإيمان ، من شيخ كبير ، وشابّ غرير ، كلّهم بالله تعالى مؤمن ، وله مخلص ، وبرسوله مقرّ عارف ! فإن كنتَ أبا حسن إنما تحارب على الإمرة والخلافة ، فلعمري لو صحّت خلافتك لكنتَ قريباً من أن تعذَر في حرب المسلمين ، ولكنّها ما صحّت لك ؛ أنّى بصحّتها وأهلُ الشام لم يدخلوا فيها ، ولم يرتضوا بها ! وخف الله وسَطَواته ، واتّق بأسه ، ونَكاله ، وأغمِدْ سيفك عن الناس ، فقد والله أكلتْهم الحرب ، فلم يَبقَ منهم إلا كالثَّمد في قرارة الغدير والله المستعان » .

فكتب عليّ عليه السلام إليه جوابا عن كتابه :

---

(١) سورة الزمر : ٦٥

من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان : « أمّا بعد فقد أتتنى منك موعظةٌ موصّلة ، ورسالة محبّرة ، نمّقتها بضلالك ، وأمضيتها بسوء رأيك ، وكتاب امرئ ليس له بصرٌ يهديه ، ولا قائد يُرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فاتّبعه ، فهجر لاغطاً ، وضلّ خابطاً ، فأمّا أمرُك لى بالتقوى فأرجو أن أكونَ من أهلها ، وأستعيذ بالله من أن أكونَ من الذين إذا أُمِرُوا بها أخذتهم العزّة بالإثم . وأمّا تحذيرُك إيّاى أن يحبَط عملى وسابقتى فى الإسلام ، فلعمرى لو كنتُ الباغىَ عليك ، لكان لك أن تحذّرنى ذلك ، ولكنّى وجدت الله تعالى يقول : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾[1] ، فنظرنا إلى الفئتين ، أما الفئة الباغية فوجدناها الفئة التى أنت فيها ، لأن بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام ، كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر على الشام ، وكما لزمتْ يزيد أخاك بيعةُ عمر وهو أمير لأبى بكر على الشام . وأمّا شق عصا هذه الأمّة ، فأنا أحقّ أن أنهاك عنه . فأمّا تخويفك لى من قتل أهل البغى ، فإن رسول الله صلى عليه وآله أمرنى بقتالهم وقتلهم ، وقال لأصحابه : « إنّ فيكم مَنْ يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » ، وأشار إلىّ وأنا أَوْلَى من اتبع أمره .

وأما قولك : إنّ بيعتى لم تصحّ لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها ! كيف وإنما هى بيعة واحدة ، تلزم الحاضر والغائب ، لا يُثَنّى فيها النظر ، ولا يستأنف فيها الخيار ، الخارج منها طاعنٌ ، والمروّى فيها مُداهن . فاربَعْ على ظَلْعك ، وانزِعْ سِربالَ غَيّك ، واترك ما لا جَدْوَى له عليك ، فليس لك عندى إلا السيف ، حتى تفىء إلى أمر الله صاغراً ، وتدخل فى البَيعة راغماً . والسلام » .

---

(١) سورة الحجرات

الأصلُ :

ومن هذا الكتاب :

لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الخِيَارُ ، الخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ .

* * *

الشرح :

لا يثنى فيها النظر ، أى لا يعاود ولا يرجع ثانية . ولا يستأنف فيها الخيار . ليس بعد عقدها خيار لمن عقدها ولا لغيرهم ، لأنها تلزم غير العاقدين كما تلزم العاقدين ، فيسقط الخيار فيها ، الخارج منها طاعن على الأمة ، لأنهم أجمعوا على أن الاختيار طريق الإمامة .

والمروّى فيها مداهن ، أى الذى يرتئى ويبطئ عن الطاعة ويفكّر ، وأصله من الروية ، والمداهن : المنافق .

(٨)

الأصل :

ومن كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ ، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ . وَالسَّلَامُ .

* * *

الشرح :

قد تقدم ذكر نسب جرير بن عبد الله البَجَليّ .

وقوله عليه السلام : « فاحمل معاوية على الفصل » ، أي لا تتركه متلكّئا متردّدا ، يُطمِعُك تارة ويؤيسك أخرى ، بل احمله على أمر فيْصَلٍ ، إمّا البَيْعة ، أو أن يأذَن بالحرب .

وكذلك قوله : « وخذه بالأمر الجزم » ، أي الأمر المقطوع به ، لا تكنْ ممّن يُقدّم رِجْلا ويؤخّر أخرى ، وأصل الجزْم القطع .

وحرب مُجْلِيَة : تُجْلِي المقهورين فيها عن ديارهم ، أي تُخرجهم .

وسِلْم مخزية ، أي فاضحة ؛ وإنما جعلها مخزية لأن معاوية امتنع أولا من البَيْعة ؛ فإذا دخل في السِّلْم فإنما يدخل فيها بالبيعة ، وإذا بايع بعد الامتناع ؛ فقد دخل تحت الهضْم ورَضِيَ بالضَّيم ؛ وذلك هو الخِزْي .

قوله « فانبذ إليه » من قوله تعالى: ﴿ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾[1] وأصله العهد والمدنة وعقد الحلف يكون بين الرجلين أو بين القبيلتين ، ثم يبدو لها في ذلك فينتقلان إلى الحرب فينبذ أحدُهما إلى الآخر عهده ، كأنه كتاب مكتوب بينهما قد نبذه أحدُهما يوم الحرب وأبطله ، فاستعير ذلك للمجاهرة بالعداوة والمكاشفة ، ونسخ شريعة السلام السابقة بالحرب المعاقبة لها .

(١) سورة الأنفال ٥٨

(٩)

الأصْلُ :

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية :

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ.

فَعَزَمَ اللهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حَوْمَتِهِ، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ آجَالُهُمْ عُجِّلَتْ، وَمَنِيَّتُهُ أُخِّرَتْ.

فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ. وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ

وَلَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ بَدُوكَ وِجْدَانُهُ ، وَرَوْزٌ لَا يُسْرُكَ لُقْيَانُهُ .
وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

* * *

الشَّرْحُ :

قوله عليه السلام : « فأراد قومنا » ، يعني قريشا .

والاجتياح : الاستئصال ، ومنه الجائحة وهي السَّنَة ، أو الفتنة التي تجتاح المال أو الأنفس .

قوله : « وسمونا العذب » ، أي العيش العذب . لا أنهم سموهم الماء العَذْب ، على أنه قد نقل أنهم منعوا أيام الحصار في شِعْب بني هاشم من الماء العذب .
وسنذكر ذلك .

قوله : « وأحلسونا الخوف » ، أي ألزموناه . والحِلْس : كساء رقيق يكون تحت بردعة البعير .

وأحلاس البيوت : ما يُبسط تحت حُرِّ الثياب ، وفي الحديث: « كن حِلْس بيتك » ، أي لا تخالط الناس واعتزلْ عنهم ، فلما كان الحِلْس ملازماً ظهرَ البعير ، وأحلاس البيوت ملازمة لها ، قال : « وأحلسونا الخوف » ؛ أي جعلوه لنا كالحِلْس اللازم .

قوله : « واضطرونا إلى جبل وعر » ، مَثَل ضربَه عليه السلام لخشونة مُقامهم وشَظَف منزلهم ، أي كانت حالنا فيه كحال من اضطر إلى ركوب جبل وَعْر ، ويجوز أن يكون حقيقة لا مثلا ، لأن الشِّعب الذي حصروهم فيه مَضِيق بين جبلين .

قوله : « فعزم الله لنا » ، أي قضى الله لنا ، ووفّقنا لذلك ، وجعلنا عازمين عليه .

والحوْزة : الناحية ، وحوزة الملك : بَيْضته .

وحومة الماء والرمل : معظمه .

والرمى عنها : المناصلة والمحاماة ، ويروى : « والرمى من وراء حومته » . والضمير فى « حورته » و « حومته » راجع إلى النبى صلى الله عليه وآله ، وقد سبق ذكره ، وهو قوله : « بيننا » ، ويروى « والرميا » .

وقال الراوندى : « وهموا بنا الهموم » ، أى همّوا بنزول الهمّ بنا ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . وليس ما قاله بجيد بل « الهموم » منصوب هاهنا على المصدر ، أى هموا بنا هموماً كثيرة ، وهموا بنا أى أرادوا نهبنا ، كقوله تعالى : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾[1] ، على تفسير أصحابنا ، وإنما أدخل لام التعريف فى الهموم ، أى همّوا بنا تلك الهموم التى تعرفونها ، فأتى باللام ليكون أعظم وأكبر فى الصدور من تنكيرها ، أى تلك الهموم معروفة مشهورة بين الناس لتكرر عزم المشركين فى أوقات كثيرة مختلفة على الإيقاع .

وقوله : « وفعلوا بنا الأفاعيل » ، يقال لمن أثروا آثاراً منكرة : فعلوا بنا الأفاعيل ، وقلّ أن يقال ذلك فى غير الضرر والأذى ، ومنه قول أمية بن خلف لعبد الرحمن بن عوف وهو يذكر حمزة بن عبد المطلب يوم بدر : « ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل » .

قوله : « يحامى عن الأصل » ، أى يدفع عن محمد ويذبّ عنه حميّة ومحافظة على النسب .

قوله : « حِلْفاً لما نحن فيه » ، أى حالف . والحِلْف : العهد .

واحمرّ البأس ، كلمة مستعارة ، أى اشتدّت الحرب حتى احمرّت الأرض من الدم ، فجعل البأس هو الأحمر مجازا ، كقولهم : الموت الأحمر .

---

(١) سورة يوسف ٢٤

قوله : « وأحجم الناس» ، أى كَفُّوا عن الحرب وجَبُنوا عن الإقدام ، يقال : حجمت فلانا عن كذا أحجُمه بالضمّ ، فأحجم هُوَ ، وهــذه اللفظة من النوادر ، كقولهم : « كَبَبته فأكبّ » .

ويوم مؤتة بالهمز ، ومؤتة : أرض معروفة .

وقوله : « وأرادَ مَنْ لو شئتُ لذكرت اسمَهُ » ، يعنى به نفسه .

قوله : « قد صرتُ يقرَنُ بى مَنْ لم يَسْعَ بقدمى » إشارة إلى معاوية فى الظاهر ، وإلى مَنْ تقدّم عليه من الخلفاء فى الباطن ، والدليل عليه قوله : « التى لا يُدْلِى أحد بمثلها » ، فأطلق القول إطلاقا عامّا مستغرقا لـكلّ الناس أجمعين

ثم قال : « إلّا أن يدّعِىَ مدّعٍ مالا أعرفه ، ولا أظن الله يعرفه » ، أى كلّ من ادّعى خلاف ما ذكرته فهو كاذب ، لأنه لو كان صادقا لـكان علىّ عليه السلام يعرفه لا محالة ، فإذا قال عن نفسه : إنّ كل دعوى تخالف ما ذكرت فإنى لا أعرف صحتها ، فمعناه أنها باطلة .

وقوله : « ولا أظنّ الله يعرفه » ، فالظنّ هاهنا بمعنى العلم ، كقوله تعالى : ﴿ وَرَأَى ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ [1] ، وأخرج هــذه الـكلمة مخرج قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَوَاتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [2] ، وليس المراد سلْب العلم بل العلم بالسلب ، كذلك ليس مراده عليه السلام سَلْبَ الظنّ الذى هو بمعنى العلم ، بل ظنّ السلب ، أى علم السلب، أى وعلم أن الله سبحانه يعرف انتفاءه ، وكلّ ما يعلم اللهُ انتفاءه فليس بثابت .

وقال الراوندى : قوله عليــه السلام : « ولا أظنّ الله يعرفه » ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّــكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنْــكُمْ وَٱلصَّابِرِينَ ﴾ [3] .

(١) سورة الـكهف ٥٣ (٢) سورة يونس ١٨
(٣) سورة محمد ٣١ .

والله يعلم كلّ شيء قبل وجوده ، وإنما معناه : حتى نعلم جهادهم موجودا ، وليست هذه الكلمة من الآية بسبيل لتجعل مثالا لها ، ولكنّ الراوندىّ يتكلّم بكلّ مايخطر له من غير أن يميّز مايقول .

وتقول : أدلى فلان بحجّته ، أى احتجّ بها ، وفلان مُدْلٍ برَحِمه ، أى مَتٌّ بها . وأدلى بماله إلى الحاكم : دفعه إليه ليجعله وسيلة إلى قضاء حاجته منه ، فأمّا الشفاعة فلا يقال فيها : « أدليت » ، ولكن « دلوت بفلان » أى استشفعت به ، وقال عمر لمّا استسقى بالعبّاس رحمه الله : اللهمّ إنّا نتقرّب إليك بعمّ نبيّك وقفيّة آبائه ، وكُبْر رجاله ، دلونا به إليك مستشفعين »[1] .

قوله عليه السلام : « فلم أره يسعنى » ، أى لم أرَ أنّه يحلّ لى دفعهم إليك . والضمير فى « أرَهُ » ضمير الشأن والقصّة ، و « أره » من الرأى لا من الرؤية ، كقولك : لم أرَ الرأى الفلانىّ .

ونزع فلان عن كذا ، أى فارقه وتركه ، ينزع بالكسر ، والغىّ : الجهل والضلال . والشقاق : الخلاف .

والوجدان : مصدر وجدت كذا ، أى أصبته . والزَّوْر : الزائر .

واللُّقيان : مصدر لقيت ، تقول : لقيته لقاء ولقيانا .

ثم قال : « والسلام لأهله » لم يستجز فى الدين أن يقول له : « والسلام عليك » لأنّه عنده فاسق لا يجوز إكرامه ، فقال : « والسلام لأهله » ، أى على أهله .

ويجب أن نتكلّم فى هذا الفصل فى مواضع :

منها ذكر ماجاء فى السيرة من إجلاب قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله وبنى هاشم وحصرهم فى الشعب .

---

(١) الفائق ٢ : ٣٦٦ . قفية آبائه : تلوهم . وكبر قومه أقعدهم فى النسب .

ومنها : الكلام فى المؤمنين والكافرين من بنى هاشم الذين كانوا فى الشِّعْب محصورين معه صلى الله عليه وآله مَنْ هم .

ومنها : شرح قصّة بدر .

ومنها : شرح غزاة أُحُد .

ومنها : شرح غزاة مُؤْتة .

* * *

[إجلاب قريش على بنى هاشم وحصرهم فى الشعب]

فأما الكلام فى الفصل الأول فنذكر منه ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار فى كتاب " السيرة " والمغازى ، فإنه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث والمؤرخين ، ومصنّفه شيخ الناس كلهم .

قال محمد بن إسحاق رحمه الله : لم يسبق عليا عليه السلام إلى الإيمان بالله ورسالة محمد صلى الله عليه وآله أحدٌ من الناس ، اللّهم إلا أن تكون خديجة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله . قال : وقد كان صلّى الله عليه وآله يخرج ومعه علىّ مستخفيين من الناس ، فيصلّيان الصلواتِ فى بعض شِعاب مكة ، فإذا أمسيا رجعا فمكثا بذلك ماشاء الله أن يمكثا ، لا ثالث لهما ثم إنّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلّيان ، فقال لمحمد صلى الله عليه وآله: يابن أخى ، ما هذا الذى تفعله ؟ فقال : « أىْ عمّ هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ، ودين أبينا إبراهيم — أو كما قال عليه السلام — بعثنى الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أى عمٍّ أحقٌّ من بذلتُ له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحقّ مَنْ أجابنى إليه ، وأعاننى عليه » . أو كما قال فقال أبو طالب : إنى لا أستطيع يابن أخى أن أفارق

دينى ودين آبائى وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلُص[1] إليك شىء تكرهه ما بقيتُ .

وزعموا[2] أنه قال لعلىّ : أى بنىّ ، ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبتاه ، آمنتُ بالله ورسوله وصدّقته فيما جاء به ، وصلّيتُ إليه ، واتبعت قول نبيّه . فزعموا أنه قال له : أما إنه لا يدعوك — أو لن يدعوك — إلّا إلى خير ، فالزمه .

قال ابن إسحاق : ثم أسلم زيدُ بن حارثة مولى رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، فكانَ أوّل مَنْ أسلمَ ، وصلّى معه بعد علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

ثم أسلم أبو بكر بن أبى قُحافة ، فكان ثالثاً لهما ، ثم أسلم عثمان بن عفان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعد بن أبى وقّاص ، فصاروا ثمانية ؛ فهم الثمانية الذين سبقوا الناس إلى الإسلام بمكّة ، ثم أسلم بعد هؤلاء الثمانية أبو عبيدة بن الجرّاح وأبو سلمةَ بن عبد الأسد والأرقم بن أبى الأرقم ، ثم انتشر الإسلام بمكّة ، وفشا ذكره ، وتحدّث الناس به ، وأمر الله رسولَه أن يصدَع بما أمر به ، فكانت مدّة إخفاء رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه وشأنه إلى أن أمر بإظهار الدين ثلاث سنين فيما بلغنى[3] .

قال محمد بن إسحاق : ولم تكن قريش تنكر أمرَه حينئذ كلّ الإنكار ، حتّى ذكر آلهتهم وعابها ، فأعظموا ذلك وأنكروه ، وأجمعوا على عداوته وخلافه ، وحدب عليه عمّه أبو طالب فمنعه ، وقام دونه حتى مضى مظهراً لأمر الله لا يردّه عنه شىء . قال : فلمّا رأتْ قريش محاماةَ أبى طالب عنه وقيامَه دونه ، وامتناعَه من أن يسلمه ، مشى إليه رجالٌ من أشراف قريش ؛ منهم عُتْبة بن ربيعة ، وشيبة أخوه ، وأبو سفيان بن حَرْب ، وأبو البخترىّ بن هشام ، والأسود بن المطّلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل عمرو بن هشام ،

---

(١) لا يخلص إليك شىء ؛ أى لا يوصل إليك ؛ يقال : خلصت إليه ، أى وصلت إليه .

(٢) ابن هشام : « وذكروا » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٥

والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وأمثالهم من رؤساء قريش . فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ ابنَ أخيك قد سبّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامَنا ، وضلّل آراءنا ؛ فإمّا أنْ تكفّه عنّا ، وإمّا أن تُخلّيَ بيننا وبينه . فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وآله عَلَى ماهو عليه ، يظهرُ دينَ الله ، ويدعو إليه ، ثم شرِقَ[1] الأمرُ بينه وبينهم ، تباعدا وتضاغنا[2] ، حتى أكثرت قريش ذِكرَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله بينها ، وتذامروا فيه ، وحضّ بعضُهم بعضاً عليه ، فمشَوْا إلى أبي طالب مرةً ثانية ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ لك سنّاً وشرَفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهَهُ عنّا ، وإنا والله لا نصبر على شتْمِ آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيبِ آلهتنا ، فإمّا أن تكفّهُ عنّا أو ننازله وإيّاكَ[3] حتى يهلك أحدُ الفريقين . ثم انصرفوا ، فعظُمَ على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتهم ، ولم تطِبْ نفسه بإسلام ابن أخيه لهم وخذلانه ، فبعث إليه فقال : يابنَ أخي ، إنّ قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا — للذي قالوا — فأبقِ عليّ وعَلَى نفسك ، ولا تحمِّلني من الأمرِ مالا أطيقه . قال : فظنّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنّه قد بدا لعمّه فيه بَداء ، وأنّه خاذله ومسلمه ، وأنّه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه ، فقال : ياعمّ ، والله لو وضعوا الشّمس في يميني والقمر في شمالي على أنْ أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك . ثم استعبر باكياً وقام ، فلما ولّى ناداه أبو طالب : أقبل يابن أخي ، فأقبل راجعا ، فقال له : اذهب يابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً[4] .

---

(١) ابن هشام : « ثم شرى الأمر بينه وبينهم » ، قال أبو ذر : معناه « كثر وتزايد » ، وأصله في البرق ، يقال : شرى البرق : إذا كثر لمعانه .

(٢) التضاغن : المعاداة .

(٣) ننازله وإياك : أي نحاربكما .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٦ — ٢٧٨

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب يذكر ما أجمعت عليه قريش من حربه لمّا قام بنصر محمد صلى الله عليه وآله:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى أُوَسَّدَ في التراب دفينا[1]
فامضِ لأمرك ما عليك غضاضةٌ	وابشر وقرّ بذاك منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي	ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت ديناً قد علمت بأنه	من خير أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حذاري سُبّةً	لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

قال محمد بن إسحاق: ثم إنّ قريشاً حين عرفت أنّ أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وآله وإسلامه إليهم ورأوا إجماعه على مفارقتهم وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي — وكان أجمل فتى في قريش — فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عُمارة بن الوليد، أنهد[2] فتىً في قريش وأجمله فخذه إليك[3] فاتخذه ولداً فهو لك، وأسلم لنا هذا ابن أخيك الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك لنقتله، فإنما هو رجلٌ برجل. فقال أبو طالب: والله ما أنصفتموني[4]! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً. فقال له المطعم بن عديّ بن نوفل — وكان له صديقاً مصافياً — والله يا أبا طالب ما أراك تريد أن تقبل من قومك شيئاً! لعمري قد جهدوا في التخلص ممّا تكره وأراك لا تُنصفهم! فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولا أنصفتني؛ ولكنّك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة[5] القوم عليّ! فاصنع ما بدا لك[6]!

---

(١) ديوانه ١٧٦، ١٧٧

(٢) ابن هشام: «أنهد فتى» أي أشده وأقوى.

(٣) ابن هشام: «فخذه فلك عقله ونصره».

(٤) ابن هشام: «والله لبئس ما تسومونني».

(٥) مظاهرة القوم: يريد إعانتهم.

(٦) سيرة ابن هشام ١: ٢٧٥

قال : فعند ذلك تنابذ القوم وصرّت الأحقاد ، ونادى بعضهم بعضاً ، وتذامروا بينهم على مَن في القبائل من المسلمين الذين اتبعوا محمداً صلى الله عليه وآله . فوثبت كلُّ قبيلة على من فيها منهم ، يعذّبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله منهم بعمه أبى طالب ، وقام في بنى هاشم وبنى عبد المطلب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منْع رسول الله صلى الله عليه وآله ، والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الدّفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا ما كان من أبى لهب ، فإنه لم يجتمع معهم على ذلك . فكان أبو طالب يرسل إليه الأشعار ، ويناشده النصر ، منها القطعة التى أولها :

حديثٌ عن أبى لهبٍ أتانا وكانَـهُ على ذا الْكُمْ رجالُ

ومنها القطعة التى أولها :

أظننتَ عنّى قد خذلتَ وغالني منكَ الغوائلُ بعد شيبِ المكبرِ

ومنها القطعة التى أولها :

تستعرضُ الأقوامَ توسعهمْ عُذْراً وما إن قلتَ مِن عُذرِ

قال محمد بن إسحاق : فلم يؤثر عن أبى لهب خير قطّ إلا ما يروى أنّ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ ؛ لمّا وثب عليه قومه ليعذّبوه ويفتنوه عن الإسلام هرب منهم ؛ فاستجار بأبى طالب ، وأمّ أبى طالب مخزوميّة ، وهى أمّ عبد الله والد رسول الله صلّى الله عليه وآله فأجاره ، فمشى إليه رجالٌ من بنى مخزوم ، وقالوا له : يا أبا طالب ، هَبْكَ منعتَ منّا ابنَ أخيك محمداً ، فمالك ولصاحبنا تمنعه منّا ! قال : إنّه استجار بى وهو ابن أختى ، وإن أنا لم أمنع ابنَ أختى لم أمنع ابن أخى ! فارتفعت أصواتهم وأصواته ، فقام أبو لهب ولم ينصر أبا طالب قبلها ولا بعدها ، فقال : يا معشرَ قريش ، والله لقد أكثرتم على هذا

الشيخ ، لا تزالون تتوثبون عليه في جواره من بين قومه ! أمَا والله لتنتهُنّ عنه أو لنقومن معه فيما قام فيه حتى يبلغ ما أراد . فقالوا : بل ننصرف عمّا تكره يا أبا عُتبة : فقاموا فانصرفوا ، وكان وليًّا لهم ومعينا على رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي طالب ، فاتّقوه وخافوا أن تحمله الحميّة على الإسلام ، فطمع فيه أبو طالب حيث سمعه قال ما قال ، وأمّل أن يقوم معه في نُصرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال يحرّضه على ذلك :

وإن امرأً أبو عُتيبة عمُّه ... لَفي معزلٍ من أن يُسام المظالِما[1]

ولا تقبلنَّ الدهرَ ما عشتَ خطّةً ... تُسبّ بها إمّا هبطتَ المواسما[2]

أقول له وأين منه نصيحتي ... أبا عُتبة ثبّتْ سوادك قائمًا

وولِّ سبيل العجز غيرك منهمُ ... فإنك لم تُخلق على العجز لازما

وحاربْ فإنّ الحرب نصفٌ ولن ترى ... أخا الحرب يُعطى الخسف حتى يُسالما

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولمّا تروا يوما من الشعب قائما

وقال يخاطب أبا لهب أيضاً :

عجِبتُ لحلمٍ يا ابن شيبة عازبٍ ... وأحلام أقوامٍ لديك سخافِ[3]

يقولون شايعْ مَنْ أراد محمدا ... بظلمٍ وقُمْ في أمره بخلافِ

أضاميمُ إما حاسدٌ ذو خيانةٍ ... وإما قريبٌ عنك غير مصافِ

فلا تركبنّ الدهرَ منه ذمامةً ... وأنت امرؤٌ من خير عبد منافِ

ولا تتركنْه ما حييتَ لمعظمٍ ... وكنْ رجُلًا ذا نجدةٍ وعَفافِ

يذودُ العدا عن ذروةٍ هاشميّةٍ ... إلافُهمُ في الناس خيرُ إلافِ

فإنّ له قُربى لديك قريبةً ... وليس بذي حِلْفٍ ولا بمُضافِ

ولكنّه من هاشمٍ ذي صميمها ... إلى أبحرٍ فوق البحور طوافِ

---

(١) ديوانه ١٦٢ ، ١٦٣ (٢) ديوانه ٩٠ (٣) ديوانه [illegible]

وزاحمْ جميع الناس عنه وكنْ له ... وزيراً على الأعداء غير مخافِ

وإن غضبت منه قريشٌ فقلْ لها ... بني عمّنا ما قومُكمْ بضعافِ

وما بالُكمْ تغشَوْنَ منه ظُلامةً ... وما بالُ أحقادٍ هناك خوافِ

فما قومُنا بالقوم يخشَوْن ظلمنا ... وما نحنُ فيما ساءهم بخفافِ

ولكنّنا أهل الحفائظ والنُّهى ... وعزٍّ ببطحاء المشاعر وافِ

قال محمد بن إسحاق : فلمّا طال البلاء على المسلمين والفتنة والعذاب ، وارتدّ كثير عن الدين باللسان لا بالقلب ، كانوا إذا عذّبوهم يقولون : نشهد أنّ هذا الله ، وأن اللات والعُزّى هي الآلهة ، فإذا خلّوا عنهم عادوا إلى الإسلام ، فحبسوهم وأوثقوهم بالقِدّ ، وجعلوهم في حرّ الشمس على الصَّخْر والصَّفا ، وامتدّت أيّام الشقاء عليهم ولم يصلوا إلى محمّد صلى الله عليه وآله لقيام أبي طالب دونه ، فأجمعت قريش على أن يكتبوا بينهم وبين بني هاشم صحيفةً يتعاقدون فيها ألّا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، ولا يجالسوهم ، فكتبوها وعلّقوها في جوف الكعبة تأكيداً على أنفسهم ؛ وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ . فلمّا فعلوا ذلك انحازت هاشم والمطّلب ، فدخلوا كلّهم مع أبي طالب في الشِّعب ، فاجتمعوا إليه ، وخرج منهم أبو لهب إلى قريش فظاهرها على قومه .

قال محمد بن إسحاق : فضاق الأمر ببني هاشم وعدموا القوت ، إلّا ما كان يحمل إليهم سرّاً وخفية ؛ وهو شيء قليل لا يُمسِك أرماقهم ، وأخافتهم قريش ؛ فلم يكن يظهر منهم أحدٌ ، ولا يدخل إليهم أحد ، وذلك أشدّ مالقِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته بمكة .

قال محمد بن إسحاق : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا ألّا يصل إليهم

شيء إلا القليل سرًّا ممّن يريد صلتهم من قريش؛ وقد كان أبو جهل بن هشام لقي حَكيم ابن حزام بن خُويلد بن أسَد بن عبد العُزّى، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمّته خديجة بنت خويلد — وهي عند رسول الله محاصَرة في الشِّعب — فتعلق به، وقال: أتحمل الطّعام إلى بني هاشم! والله لا تبرح أنت وطعامُك حتى أفضحك بمكة! فجاءه أبو البختريّ العاص ابن هشام بن الحارث بن أسَد بن عبد العُزّى، فقال: مالك وله؟ قال: إنه يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال أبو البختريّ: يا هذا، إنّ طعاما كان لعمته عنده بعثت إليه فيه؛ أفتمنعه أن يأتيها بطعامها! خلّ سبيل الرّجل، فأبى أبو جهل حتى نال كلٌّ منهما مِنْ صاحبه، فأخذ له أبو البختريّ لَحْيَ بعير فضربه به فشجّه ووطئه وطأ شديداً. فانصرف وهو يكره أنْ يعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وبنو هاشم بذلك، فيشمتوا، فلما أراد الله تعالى من إبطال الصّحيفة، والفرَج عن بني هاشم من الضِّيق والأزْل الذي كانوا فيه، قام هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ في ذلك أحسن قيام. وذلك أنّ أباه عمرو بن الحارث كان أخاً لنضلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ من أمه، فكان هشام بن عمرو يحسب لذلك واصلًا لبني هاشم؛ وكان ذا شرف في قومه بني عامر بن لؤي، فكان يأتي بالبعير ليلًا وقد أوقره طعاماً، وبنو هاشم وبنو المطّلب في الشِّعب، حتى إذا أقبل به فم الشِّعب خلع خطامه من رأسه، ثم يضرب على جَنبه، فيدخل الشِّعب عليهم؛ ثم يأتي به مرة أخرى، وقد أوقره تمراً، فيصنع به مثل ذلك.

ثم إنّه مشى إلى زُهير بن أبي أُميّة بن المغيرة المخزوميّ، فقال: يا زهير، أرضيتَ أن تأكل الطعام وتشرب الشراب وتلبس الثياب، وتنكح النساء؛ وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، ولا يواصلون ولا يزارون! أما إنّي أحلف لو كان أخوالك أبو الحكم بن هشام ودعوتَه إلى مثل ما دعاك

إليه منهم ما أجابك أبداً . قال : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ! إنما أنا رجلٌ واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقمتُ في نقض هذه الصحيفة القاطعة . قال : قد وجدت رجلًا ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال زهير : ابغنا ثالثا ، فذهب إلى المطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعم ، أرضيت أن يهلك بطنان من عبد مناف جوعاً وجَهْداً وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموهم من هذا لتجدنّ قريشا إلى مساءتكم في غيره سريعة . قال : ويحك ! ماذا أصنع ! إنما أنا رجل واحد ، قال : قد وجدتُ ثانيا ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال : ابغنا ثالثا ، قال : قد وجدت ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أمية ، قال : ابغنا رابعا ، فذهب إلى أبي البختريّ بن هشام ، فقال له نحو ما قال للمطعم ، قال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، وذكرهم ، قال : فابغنا خامسا ، فمضى إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى فكلّمه ، فقال : وهل يعين على ذلك من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمّى له القوم ، فاتعدُوا خَطْم الحَجُون ليلًا بأعلى مكة ، وأجمعوا أمرهم ، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها . وقال زهير : أنا أبدؤكم وأكون أوّلكم يتكلّم ، فلمّا أصبحوا غدوا إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أميّة عليه حلّة له ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس ، فقال : يا أهل مكّة ، أنأكل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب وبنو هاشم هَلْكى ! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ! وكان أبو جهل في ناحية المسجد ، فقال : كذبت والله لا تشقّ ! فقال زمعة بن الأسود لأبي جهل : والله أنت أكذب ، ما رضينا والله بها حين كُتبتْ . فقال أبو البختريّ معه : صدق والله زَمْعة ، لا نرضى بها ولا نقرّ بما كتب فيها ! فقال المطعم بن عديّ : صدقتما والله ، وكذب مَنْ قال غير ذلك ؛ نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها . وقال هشام بن عمرو مثل قولهم ، فقال أبو جهل : هذا أمر قضيّ بليل ، وقام مطعم بن عديّ إلى الصحيفة ليشقّها ، فوجد الأرضة قد أكلتها ، إلا

ما كان من «باسمك اللهم» ،قالوا: وأمّا كاتبها منصور بن عكرمة فشلّت يده فيما يذكرون. فلمّا مزّقت الصحيفة خرج بنو هاشم من حصار الشّعب.

قال محمد بن إسحاق : فلم يزل أبو طالب ثابتاً صابراً مستمرّاً على نصر رسول الله صلى الله عليه وآله وحمايته والقيام دونه ، حتى مات في أوّل السنة الحادية عشرة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله فطمعت فيه قريش حينئذ ، ونالت منه ، فخرج عن مكة خائفاً يطلبُ أحياء العرب ، يعرض عليهم نفسه ، فلم يزل كذلك حتى دخل مكة في جوار المطعِم بن عديّ ؛ ثم كان من أمره مع الخزرج ما كان ليلة العقبة .

قال : ومن شعر أبي طالب الذي يذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وقيامه دونه :

أرقتَ وقد تصوّبتِ النجومُ ... وبِتُّ ولا تسالمك الهمومُ[1]

لِظُلم عشيرةٍ ظلموا وعقّوا ... وغبّ عقوقهم لهمُ وخيمُ

همُ انتهكوا المحارمَ من أخيهم ... وكلّ فعالهم دنسٌ ذميمُ

وراموا خطّةً جوراً وظلماً ... وبعضُ القول ذو جَنَفٍ مُليمُ

لتخرجَ هاشماً فتكونَ منها ... بلاقعَ بطنُ مكّة فالحطيمُ

فمهلاً قومنا لا تركبُونا ... بمظلمة لها خطبٌ جسيمُ !

فيندمَ بعضُكم ويذلّ بعضٌ ... وليس بمفلحٍ أبداً ظلومُ

أرادوا قتل أحمدَ ظالموه ... وليس لقتله منهم زعيمُ

ودُونَ مُحمّدٍ منّا ندِيٌّ ... همُ العرنين والعُضوُ الصّميمُ

ومن ذلك قوله :

وقالوا لأحمدَ أنت امرؤٌ ... خَلوفُ الحديثِ ، ضعيفُ السّببْ

---

(١) ديوانه ١٤٩

وإن كان أحمـــدُ قد جاءهُمْ ... بصـــدقٍ ولم يأتهمْ بالكذبْ
فإنّا ومَنْ حجَّ مِنْ راكبٍ ... وكعبة مكة ذات الحُجُبْ
تنالون أحمـــدَ أو تصطلوا ... ظُبَاةَ الرِّمَاحِ وحَـــدَّ القُضُبْ
وتغـــترفوا بين أبياتِكُمْ ... صُـــدورَ العوالي وخيلًا شُزُبْ
تراهنّ من بين ضافي السَّبيبِ ... قصـــير الحِزَام طويل اللَّبَبْ
عليهـــا صناديدُ مِنْ هَاشِمٍ ... هُمُ الأنجُمون مـــع المنتخَبْ

• • •

وروى عبد الله بن مسعود ، قال : لما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وآله من قتلى بدر ، وأمر بطرحهم في القليب ، جعل يتذكر من شعر أبي طالب بيتا فلا يحضرهُ ، فقال له أبو بكر : لعلّه قوله يارسول الله :

وإنّ امرأً الله إن خَـــبّ جَدّهُ ... تنتسي أحيانُـــا بالأمائل (١)

فسُرَّ بظفره بالبيت ، وقال : إي لعمر الله ، لقد انتصت .

ومن شعر أبي طالب قوله :

ألا أبلغا عَـــنّي لُؤيًّا رسالةً ... بحقٍّ وما تغني رسالةُ مرسلِ (٢)
بني عمِّنا الأدنَيْن فيما يخصُّهُمْ ... وإخواننا من عبد شمس ونوفلِ
أظاهرتمُ قوما علينـــا سفاهةً ... وأمرا غويًّا من غُواةٍ وَجُهَّـــلِ
يقولون لو أنّا قتلنا مُحمَّـــدا ... أقرّتْ نواصي هاشم بالتـــذلُّلِ
كذبتم وربِّ الهَدْيِ تدمى نحورُهُ ... بمكة ، والبيتِ العتيقِ المُقبَّـــلِ
تنالونهُ ، أو تصطلوا دونَ نَيْلِهِ ... صوارمَ تَفْري كلَّ عُضْوٍ ومفصِلِ
فمهلًا ولمّا تنتج الحربُ بِكْرَها ... بحيـــلٍ تمامٍ ، أو بآخر مُعْجِلِ

---

(١) ديوانه ١١١ (٢) ديوانه ١٢٧

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً ... على ربوة في رأس عنقاء عيطل

وتأوى إليه هاشم ، إن هاشما ... عرانين كعب آخر بعد أول

فإن كنتم ترجون قتل محمد ... فروموا بما جمعتم نقل يذبل

فإنا سنحميه بكل طمرة ... وذى ميعة نهد المراكل هيكل

وكل ردينى ظماء كعوبه ... وعضب كإيماض الغمامة مفصل

* * *

قال : كان صديقنا على بن يحيى البطريق رحمه الله ، يقول : لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل أبى طالب — وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها — يمدح ابن أخيه محمدا ، وهو شاب قد ربى فى حجره وهو يتيمه ومكفوله ، وجار مجرى أولاده بمثل قوله :

وتلقوا ربيع الأبطحين محمداً ... على ربوة فى رأس عنقاء عيطل

وتأوى إليه هاشم ، إن هاشما ... عرانين كعب آخر بعد أول

ومثل قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطيف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده فى نعمة وفواضل

فإن هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابى من الناس ، وإنما هو من مديح الملوك والعظماء ، فإذا تصورت أنه شعر أبى طالب ، ذاك الشيخ المبجل العظيم فى محمد صلى الله عليه وآله ، وهو شاب مستجير به ، معتصم بظله من قريش ، قد رباه فى حجره غلاما ، وعلى عاتقه طفلا ، وبين يديه شابا ، يأكل من زاده ، ويأوى إلى داره ، علمت موضع خاصية النبوة وسرها ، وأن أمره كان عظيما ، وأن الله تعالى أوقع فى القلوب والأنفس له منزلة رفيعة ومكانا جليلا .

* * *

وقرأت في " أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب " رحمه الله ، قال : كان أبو طالب إذا رأى رسولَ الله صلى الله عليه وآله أحياناً يبكي ويقول : إذا رأيته ذكرت أخي ، وكان عبد الله أخاه لأبويه ، وكان شديد الحبّ والحنوّ عليه ، وكذلك كان عبدُ المطّلب شديدَ الحبّ له ، وكان أبو طالب كثيرا مايخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله البيات إذا عرف مضجعه ، فكان يقيمُه ليلا من منامه ، ويُضجِع ابنَه عليا مكانَه ، فقال له عليّ ليلة : ياأبت ، إنّي مقتول ، فقال له :

اصبرنْ يابُنيّ فالصبر أحجى ... كلّ حيّ مصيرُه لِشَعُوبِ[1]

قدّر اللهُ والبلاء شديدٌ ... لفداء الحبيب وابن الحبيبِ

لفداء الأغرّ ذي الحسَب الثا ... قب والباع والكريم النجيبِ

إن تصبْك المنون فالنبل تَبْرِي ... فمصيبٌ منها ، وغيرُ مصيبِ

كلُّ حيّ وإن تملّى بعمرٍ ... آخذٌ من مَذاقِها بنصيبِ

فأجاب علي عليه السلام ، فقال له :

أتأمرني بالصّبْر في نصر أحمدٍ ... ووالله ماقلت الّذي قلت جازعا[2]

ولكنّني أحببت أن ترى نصرتي ... وتعلم أنّي لم أزلْ لك طائعا

سأسعى لوجه الله في نصر أحمدٍ ... نبيّ الهدى المحمود طِفلاً ويافعا

* * *

[القول في المؤمنين والكافرين من بني هاشم]

الفصل الثاني : في تفسير قوله عليه السلام « مؤمننا يبغي بذلك الأجر ، وكافرنا يحامي عن الأصل ، ومن أسلم من قريش خِلْوٌ مما نحن فيه لحلف يمنعه ، أو عشيرة تقوم دونه ،

(١) ديوانه ٤١ ، وشعوب : المنية .
(٢) ديوان أبي طالب ٤١

فهم من القتل بمكان أمن » ، فنقول : إنّ بنى هاشم لما حُصِروا فى الشِّعب بعد أن منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله من قُريش ، كانوا صِنفين : مسلمين وكفارا ، فكان علىٌّ عليه السلام وحمزة بن عبد المطلب مسلمين .

واختلف فى جعفر بن أبى طالب : هل حُصِر فى الشِّعب معهم أم لا ؟ فقيل : حُصِر فى الشِّعب معهم ، وقيل : بل كان قد هاجر إلى الحبشة ، ولم يشهد حِصار الشِّعب ، وهذا هو القول الأصحّ . وكان من المسلمين المحصورين فى الشِّعب مع بنى هاشم عُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف ؛ وهو وإن لم يكن من بنى هاشم إلّا أنّه يجرى مجراهم ، لأنّ بنى المطّلب وبنى هاشم كانوا يداً واحدة ، لم يفترقوا فى جاهليّة ولا إسلام .

وكان العبّاس رحمه الله فى حِصار الشِّعب معهم إلّا أنه كان على دين قومه ، وكذلك عَقيل بن أبى طالب ، وطالب بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب ، وأبوسفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب — وكان شديداً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، يُبغضه ويهجوه بالأشعار ، إلّا أنه كان لا يرضى بقتله ، ولا يقارّ قريشاً فى دمه ؛ محافظة على النسب — وكان سيّد المحصورين فى الشِّعب ورئيسهم وشيخهم أبو طالب بن عبد المطّلب ، وهو الكافل والحامى .

* * *

[اختلاف الرأى فى إيمان أبى طالب]

واختلف الناس فى إيمان أبى طالب[1] ، فقالت الإماميه وأكثر الزّيدية : ما مات إلّا مسلما .

(١) ب : « فيه » ، وما أثبته من ا .

وقال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك ، منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الإسكافي وغيرهما .

وقال أكثر الناس من أهل الحديث والعامّة من شيوخنا البصريين وغيرهم : مات على دين قومه ، ويروُون في ذلك حديثا مشهورا ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له عند موته : قُلْ ياعمّ كلمةً أشهد لك بها غداً عند الله تعالى ، فقال : لولا أن تقول العرب : إنّ أبا طالب جَزِع عند الموت لأقررت بها عينك .

وروى أنّه قال : أنا على دين الأشياخ .

وقيل إنّه قال : أنا على دين عبد المطلب . وقيل غير ذلك .

وروى كثير من المحدّثين أنّ قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ • وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ . . ﴾ [1] الآية ، أنزلت في أبي طالب ، لأنّ رسول الله استغفر له بعد موته .

ورووا أنّ قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [2] نزلت في أبي طالب .

ورووا أنّ عليا عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت أبي طالب، فقال له : إنّ عمك الضالّ قد قضى ، فما الذي تأمرني فيه ؟

واحتجّوا بأنه لم ينقل أحدٌ عنه أنّه رآه يصلّي ، والصلاة هي المفرّقة بين المسلم والكافر ، وأنّ عليا وجعفرا لم يأخذا من تركته شيئاً ، ورووا عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه قال : « إنّ الله قد وعدني بتخفيف عذابه لِما صنع في حقّي ، وإنّه في ضحضاح من نار » .

ورووا عنه أيضاً أنّه قيل له : لو استغفرتَ لأبيك وأمّك ! فقال : « لو استغفرتُ لهما لاستغفرتُ لأبي طالب ؛ فإنه صنع إليّ مالم يصنعا ، وإنّ عبد الله وآمنة وأبا طالب جمراتٌ من جمرات جهنّم » .

(١) سورة التوبة ١١٣، ١١٤

(٢) سورة القصص ٥٦

فأما الذين زعموا أنه كان مسلماً،فقد رووْا خلاف ذلك،وأسندوا خبراً إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال لى جبرائيل : إنّ الله مشفّعك فى ستّة : بطنٍ حملتك ؛ آمنة بنت وهب ، وصُلْبٍ أنزلك؛ عبد الله بن عبد المطلب ، وحِجْر كفلك؛ أبى طالب ، و بيتٍ آواك؛ عبد المطلب ، وأخ كان لك فى الجاهلية - قيل : يارسولَ الله ، وما كان فعله ؟ قال : كان سخيًّا يطعم الطعام ، و يجود بالنّوال - وثَدْى أرضعتْك ؛ حليمة بنت أبى ذؤيب .

قلت : سألت النّقيب أبا جعفر يحيى بن أبى زيد عن هذا الخبر ، وقد قرأتُه عليه : هل كان لرسول الله صلى الله عليه وآله أخٌ من أبيه أومن أمّه أو منهما فى الجاهليّة ؟ فقال: لا ، إنما يعنى أخاً له فى المودّة والصحبة ، قلت له : فمن هو ؟ قال : لا أدرى .

قالوا : وقد نقل النّاس كافّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : نقِلْنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكيّة ، فوجب بهذا أن يكون آباؤه كلّهم منزّهين عن الشِّرْك ، لأنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهرين .

قالوا : وأمّا ماذكر فى القرآن من إبراهيم وأبيه آزر ، وكونه كان ضالًّا مشركا ، فلا يقدح فى مذهبنا ، لأنّ آزر كان عمّ إبراهيم ؛ فأمّا أبوه فتارخ بن ناحور ، وسُمّىَ العمّ أبا ، كما قال : ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ﴾ [1] ، ثم عدّ فيهم إسماعيل وليس من آبائه ، ولكنّه عمّه .

قلت : وهذا الاحتجاج عندى ضعيف ، لأنّ المراد من قوله : « نقِلنا من الأصلاب الطّاهرة إلى الأرحام الزكيّة » تنزيه آبائه وأجداده وأمّهاته عن السِّفاح لا غير ؛ هذا مقتضى

---

(١) سورة البقرة ١٣٣

سياقة الكلام ، لأنّ العرب كان يعيبُ بعضهم بعضاً باختلاط المياه واشتباه الأنساب ونكاح الشبهة .

وقولهم : لو كانوا عبدة أصنام ما كانوا طاهرين : يقال لهم : لم قلتم : إنهم لو كانوا عبدة أصنام لما كانوا طاهري الأصلاب ! فإنه لا منافاة بين طهارة الأصلاب وعبادة الصنم ، ألا ترى أنه لو أراد ما زعموه لما ذكر الأصلاب والأرحام ، بل جعل عوضها العقائد . واعتذارهم عن إبراهيم وأبيه يقدح في قولهم في أبي طالب ، لأنه لم يكن أبا محمد صلى الله عليه وآله ، بل كان عمّه ، فإذا جاز عندهم أن يكون العمّ - وهو آزر - مشركاً كما قد اقترحوه في تأويلهم ، لم يكن لهم حجّة من هذا الوجه على إسلام أبي طالب .

واحتجّوا في إسلام الآباء بما روى عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال : يبعث الله عبدَ المطلب يوم القيامة وعليه سيما الأنبياء وبهاء الملوك .

وروى أنّ العباس بن عبد المطلب قال لرسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة : يارسولَ الله ، ما ترجو لأبي طالب ؟ فقال : أرجو له كلّ خير من الله عزّ وجلّ .

وروى أنّ رجلاً من رجال الشيعة ، وهو أبان بن محمود كتب إلى عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام : جُعلتُ فداك ! إني قد شككتُ في إسلام أبي طالب ! فكتب إليه : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ﴾[1] . الآية ، وبعدها إنك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار .

وقد روى عن عليّ بن محمد الباقر عليه السلام أنه سئل عمّا يقوله الناس : إنّ أبا طالب في ضحضاح من نار ؟ فقال : لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه . ثم قال : ألم تعلموا أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله وأبيه[2] وأبي طالب في حياته ، ثم أوصى في وصيته بالحجّ عنهم !

وروى أنّ أبا بكر جاء بأبي قحافة إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله عامَ الفتح يقوده ،

---

(١) سورة النساء ؛

(٢) في الأصول : « وابنه » .

وهو شيخ كبير أعمى ، فقال رسول الله : ألا تركت الشيخ حتى نأتيه ! فقال : أردتُ يارسول الله أن يأجره الله! أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب منّي بإسلام أبي ، ألتمس بذلك قرّة عينك ، فقال : صدقت .

ورُوِيَ أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام سُئِل عن هذا ، فقال : واعجبا ! إن الله تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر ، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام ، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات .

ويروي قوم من الزيدية أنّ أبا طالب أسند المحدّثون عنه حديثاً ينتهي إلى أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : سمعتُ أبا طالب يقول بمكة : حدّثني محمد بن أخي أنّ ربّه بعثه بصلة الرحم ، وأن يعبده وحده لا يعبد معه غيره ، ومحمد عندي الصادق الأمين .

وقال قوم : إنّ قولَ النبيّ صلّى الله عليه وآله : «أنا وكافلُ اليتيم كهاتين في الجنة» إنما عنى به أبا طالب .

وقالت الإماميّة : إنّ مايرويه العامة من أنّ عليا عليه السلام وجعفراً لم يأخذا من تركة أبي طالب شيئاً حديث موضوع ، ومذهب أهل البيت بخلاف ذلك ، فإن المسلم عندهم يرثُ الكافر ، ولا يرثُ الكافرُ المسلم ، ولو كان أعلى درجة منه في النسب .

قالوا : وقوله صلى الله عليه وآله : « لا توارث بين أهل ملّتين » ، نقول بموجبه ، لأنّ التوارث تفاعل ، ولا تفاعل عندنا في ميراثهما ، واللفظ يستدعي الطرفين ، كالتضارب لا يكون إلّا من اثنين ، قالوا : وحبُّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله لأبي طالب معلوم مشهور ، ولو

كان كافرا ما جاز له حبه لقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . . . ﴾[1] الآية.

قالوا: وقد اشتهر واستفاض الحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله لعقيل: «أنا أحبك حُبّين: حبًّا لك، وحبًّا لحب أبي طالب لأنه كان يحبك».

قالوا: وخطبة النكاح مشهورة، خطبها أبو طالب عند نكاح محمد صلى الله عليه وآله خديجة، وهي قوله: «الحمدُ لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إنّ محمد بن عبد الله أخي مَنْ لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برًّا وفضلا، وحزما وعقلا، ورأيا ونُبلا، وإن كان في المال قُلٌّ فإنما المال ظلّ زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خُويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصَّداق فعليّ، وله والله بعدُ نبأ شائع وخطب جليل».

قالوا: أفتراه يعلم نبأه الشائع وخطبه الجليل، ثم يعانده ويكذّبه، وهو من أولي الألباب، هذا غير سائغ في العقول!

قالوا: وقد روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ أصحابَ الكهف أسرُّوا الإيمان، وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان، وأظهر الشرك، فآتاه الله أجره مرتين.

وفي الحديث المشهور: إنّ جبرائيل عليه السلام قال له ليلة مات أبو طالب: اخرج منها فقد مات ناصرُك.

قالوا: وأما حديث الضَّحضاح من النار، فإنما يرويه الناس كلُّهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم وعلى الخصوص لعليّ عليه السلام مشهور معلوم، وقصته وفسقه غير خاف.

---

(١) سورة المجادلة ٢٢

وقالوا: وقد رُوِيَ بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب ، و بعضها عن أبي بكر بن أبي قُحافة، أنّ أبا طالب ما مات حتى قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله . والخبر مشهور أنّ أبا طالب عند الموت قال كلاما خفيًّا ، فأصغى إليه أخوه العباس ، ثم رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يابن أخي ، والله لقد قالها عمّك ، ولكنه ضعف عن أن يبلغك صوته .

وروى عن علي عليه السلام أنه قال : ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرِّضا .

* * *

قالوا : وأشعار أبي طالب تدلّ على أنه كان مسلما ، ولا فرق بين الكلام المنظوم والمنثور إذا تضمنا إقرارا بالإسلام ، ألا ترى أنّ يهوديًّا لو توسّط جماعة من المسلمين ، وأنشد شعرا قد ارتجله ونظمه يتضمن الإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله ، لكنا نحكم بإسلامه كما لو قال : أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله ! فمن تلك الأشعار قوله[1] :

يُرَجُّون منّا خطـــةً دون نيلِها ضِرابٌ وطعنٌ بالوشيجِ المقوَّمِ

يرجّون أن نسخَى بقتـــلِ محمد ولم تختضب سمرُ العوالي من الدّمِ

كذبتم وبيتِ الله حتى تُفلِّقوا[2] جماجمَ تُلقَى بالحطـــيم وزمزمِ

وتُقطَع أرحامٌ وتَنسى حليـــلةٌ حليلاً ، ويُغشى محرَمٌ بعد محرَمِ

على ما مضى من مقتكم وعقوقـكم وغشيانكم في أمركم كلّ مأثمِ

وظلم نبيّ جاء يدعو إلى الهـدى وأمرٍ أتى مِنْ عند ذي العرش قيِّمِ

---

(١) ديوانه ١٥٢ ـ ١٥٤ ؛ من قصيدة أولها :

ألا مَنْ لِهَمٍّ آخرَ اللّيلِ مُعْتِمِ طوَاني وأخرى النجم لمّا تقحّمِ

(٢) الديوان : « تعرفوا » .

فلا تحسبونا مُسْلِميه فمثـــلُه إذا كان فى قوم فليس بمسلَمِ

* * *

ومن شعر أبى طالب فى أمر الصحيفة التى كتبتها قريش فى قطيعة بنى هاشم :

ألا أبلغا عنّى على ذاتِ بينِنـــا لؤيًّا وخُصّا من لؤىٍّ بنى كعبِ [1]

ألم تعلمُوا أنّا وجــــدْنا محمّدا رسولًا كموسى خُطَّ فى أوّل الكتْبِ

وأنّ عليـــــه فى العباد محبّـــة ولا حيْف فيمن خصّه الله بالحبّ [2]

وأنّ الذى رقّشتُمُ فى كتابكم يكون لكم يوماً كراغيةِ السّقْب [3]

أفيقوا أفيقوا قبـــل أن تُحفَر الزُّبَى ويصبحَ من لم يجنِ ذنبا كذى ذنب

ولا تتبعوا أمر الوشـــاة وتقطعُوا أواصرَنا بعـــد المودّة والقرب

وتستجلبوا حرْبا عوانًا وربّمــا أمرّ على منْ ذاقهُ حَلَبُ الحرْبِ

فلسنا وربِّ البيتِ نُسلِم أحمــدًا لِعزّاء من عضّ الزّمان ولا كرب

ولمّا تَبِنْ منّا ومنكمْ سوالفٌ وأيدٍ أُتِرّتْ بالمهنّـــدة الشُّهْبِ [4]

بمعتركٍ ضيّقٍ ترى قِصَـــد القنا بهو السباع العُرْجَ تعكِف كالشَّرْب [5]

كأنّ مجال الخيـــل فى حَجَراته ومعمعة الأبطال معركة الحـــرب

أليسَ أبونا هاشم شـــدّ أزرَهُ وأوصى بنيـــه بالطِّعان وبالضرب !

ولسنا نملّ الحـــرب حتى تملّنـــا ولا نشتكى ممّا ينوب من النّكْبِ [6]

---

(١) ديوانه ٢٠ — ٢٤

(٢) الديوان : « ولا خير ممن خصه الله » .

(٣) الرغاء : صوت الإبل . والسقب : ولد الناقة .

(٤) أترت : قطعت . والمهندة : السيوف .

(٥) قصد القنا : قطع الرماح المتكسرة

(٦) النكب والنكبة : المصيبة .

ولكننا أهــلُ الحفائظ والنُّهى ... إذا طار أرواح الكُماة من الرُّعبِ

ومن ذلك قوله :

فلا تُسفِهوا أحلامَكم في محمدٍ ... ولا تتْبعوا أمرَ الغُواة الأشائمِ[1]

تمنيتُم أن تقتـلوه وإنمـا ... أمانيكم هذى كأحلام نائمِ

وإنكمُ والله لا تقتـلونهُ ... ولمَّا تروا قطفَ اللحى والجماجمِ[2]

زعمتم بأنا مسلمون محمـداً ... ولمَّا نقاذف دونه ونزاحمِ

من القوم مفضالٌ أبيٌّ على العِدَا ... تمكَّن في الفرعين من آل هاشمِ

أمينٌ حبيبٌ في العباد مسوَّم ... بخاتم ربٍّ قاهرٍ في الخواتمِ

يرَى الناسُ برهاناً عليه وهيبةً ... وما جاهلٌ في قومه مثـلُ عالمِ

نبيٌّ أتاه الوحيُ من عنـد ربِّه ... ومن قال لا يقرع بها سنَّ نادمِ

ومن ذلك قوله — وقد غضب لعثمان بن مظعون الجمحيّ ، حين عذبته قريش ونالت منه .

أمِن تذكُّر دهـرٍ غيرِ مأمونِ ... أصبحتَ مكتئبا تبكي كمحزونِ[3]

أم مِن تذكُّر أقوام ذوى سفـه ... يغشَون بالظلم مَنْ يدعو إلى الدِّينِ

ألا ترون — أذلّ الله جمعكمُ ... أنّا غضبنـا لعثمان بن مظعونِ

ونمنع الضيمَ مَن يبغي مضامتَنا ... بكلّ مطّرِد في الكفّ مسنونِ

ومُرهفاتٍ كأنّ المِلحَ خالطهـا ... يُشفَى بهـا الداءُ من هام المجانينِ

حتى تقرَّ رجالٌ لا حلـومَ لها ... بعـد الصُّعوبة بالإسماح واللِّينِ

(١) ديوانه ١٥٥ — ١٥٨ ، من قصيدة مطلعها :

لِمَنْ أرْبُعٌ أقْوَيْنَ بَيْنَ القَوائمِ ... فَمَيْنِ تَمْدَحَاهِ الرِّيَاحِ التَوائمِ

(٢) الديوان . « للاصم » .

(٣) ديوانه ١٧٣ .

أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب ... على نبي كموسى أو كذي النون [1]

قالوا : وقد جاء في الخبر أن أبا جهل بن هشام جاء مرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد وبيده حجر يريد أن يرضخ به رأسه، فلصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد ، فقال أبو طالب في ذلك من جملة أبيات :

أفيقوا بني عمنا وانتهوا ... عن الغي من بعض ذا المنطق [2]

وإلا فإني إذاً خائف ... بوائق في داركم تلتقي [3]

كما ذاق من كان من قبلكم ... ثمود وعاد وماذا بقي !

ومنها :

وأعجب من ذاك في أمركم ... عجائب في الحجر الملصق

بكف الذي قام من حينه ... إلى الصابر الصادق المتقي

فأثبته الله في كفه ... على رغمة الخائن الأحمق

قالوا : وقد اشتهر عن عبد الله المأمون رحمه الله أنه كان يقول : أسلم أبو طالب والله بقوله :

نصرت الرسول رسول المليك ... ببيض تلألأ كلمع البروق [4]

أذب وأحمي رسول الإله ... حماية حام عليه شفيق

وما إن أدب لأعدائه ... دبيب البكار حذار الفنيق [5]

ولكن أزير لهم سامياً ... كما زار ليث بغيل مضيق

(١) بعده في الديوان :

يأتي بأمر جلي غير ذي عوج ... كما تبين في آيات ياسين

(٢) ديوانه ٩٤

(٣) بعده في الديوان :

تكون لغيركم عبرة ... ورب المغارب والمشرق

(٤) ديوانه ٩٨

(٥) الفنيق : الفحل المكرم على أهله .

قالوا : وقد جاء فى السِّيَرة ، وذكره أكثر المؤرخين ، أنّ عمرو بن العاص لمّا خرج إلى بلاد الحبشة ليكيد جعفرَ بن أبى طالب وأصحابَه عند النجاشىّ ، قال :

تقول ابنتى أين أين الرحيلُ	وما البينُ منّى بمستنكَرِ
فقلتُ دعينى فإنى امرؤٌ	أريدُ النجاشىّ فى جعفرِ
لأكويَه عنــده كيّةً	أقيمُ بهــا نخوة الأصعرِ
ولن أنثنى عن بَنِي هاشمٍ	بما اسطعتُ فى الغيبِ والمحضرِ
وعن عائب اللّات فى قوله	ولولا رضا اللّات لم تمطرِ
وإنى لأشنَى قريشٍ له	وإن كان كالذهب الأحمرِ

قالوا : فكان عمرو يُسمى الشانىَ ابن الشانئ ، لأن أباه كان إذا مرّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بمكّة يقول له : والله إنى لأشنؤك ، وفيه أنزل : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾[1] . قالوا : فكتب أبو طالب إلى النجاشىّ شعراً يحرضه فيه على إكرام جعفر وأصحابه والإعراض عمّا يقوله عمرو فيه وفيهم ، من جملته :

ألا ليتَ شعرى كيف فى الناس جعفرٌ	وعمرو وأعـداء النبى الأقاربُ ! [2]
وهـــل نال إحسانُ النجاشىّ جعفراً	وأصحـابه ، أمْ عاق عن ذاك شاغبُ !

فى أبيات كثيرة .

* * *

قالوا : وروى عن علىّ عليه السلام أنه قال : قال لى أبى : يابنىّ الزم ابن عمك ، فإنك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل ، ثم قال لى :

إنّ الوثيقــــة فى لزوم محمّدٍ	فاشدد بصحبته على أيديكا

---

(١) سورة الكوثر. (٢) ديوانه ٢٥

ومن شعره المناسب لهذا المعنى قوله :

إن علياً وجعفراً ثقتي عند ملمّ الزمانِ والنُّوَبِ[1]
لا تخذلا وانصرا ابنَ عمّكما أخي لأمّي من بينهم وأبي
والله لا أخذل النبيّ ولا يخذله من بنيّ ذو حَسَبِ

* * *

قالوا : وقد جاءت الرواية أن أبا طالب لمّا مات جاء عليٌّ عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فآذنه بموته ، فتوجّع عظيماً وحزن شديداً ، ثم قال له : امض فتولَّ غسله ، فإذا رفعته على سريره فأعلمني ، ففعل ، فاعترضه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وهو محمول على رءوس الرجال ، فقال : وصلتْك رَحِمٌ يا عمّ ، وجُزِيتَ خيراً ! فلقد ربّيْتَ وكفلْتَ صغيراً ، ونصرتَ وآزرتَ كبيراً ! ثم تبعه إلى حفرته ، فوقف عليه ، فقال : أما والله لأستغفرنّ لك ، ولأشفعنّ فيك شفاعةً يعجب لها الثقلان .

قالوا : والمسلم لا يجوز أن يتولّى غسل الكافر ، ولا يجوز للنبيّ أن يرقّ لكافر ، ولا أن يدعوَ له بخير ، ولا أن يعدَه بالاستغفار والشفاعة ، وإنما تولّى عليٌّ عليه السلام غسله ، لأن طالباً وعَقيلاً لم يكونا أسلما بعد ، وكان جعفر بالحبشة ، ولم تكن صلاة الجنائز شُرعت بعد ، ولا صلى رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة ، وإنما كان تشييعٌ ورقّةٌ ودعاء .

قالوا : ومن شعر أبي طالب يخاطب أخاه حمزة ، وكان يكنى أبا يعلى :

فصبراً أبا يعلى على دين أحمدٍ وكن مظهراً للدين وفِّقْتَ صابرا
وحُطْ من أتى بالحق من عند ربه بصدقٍ وعزمٍ لا تكن حمزُ كافرا
فقد سرّني إذ قلت إنك مؤمنٌ فكن لرسول الله في الله ناصرا

(١) ديوانه ٤٢

وبادِ قريشاً بالَّذى قد أتيتــــــه جهاراً وقل ما كان أحمــد ساحرا

قالوا : ومن شعره المشهور :

أنت النبيُّ محمــدُ قَرْمٌ أغرُّ مسوَّدُ[١]

لمســوَّدين أكارمٍ طابوا وطــاب المولدُ

نِعم الأرومة أصلُها عمرو الخِضَمُّ الأوحدُ[٢]

هشَم الرَّبيكةَ فى الجفا ن وعيشُ مكةَ أنكدُ[٣]

فجرت بذلك سُنَّــةٌ فيهــا الخبيزة تثردُ[٤]

ولنا السقاية للحجيــــج بها يُماث العُنجدُ[٥]

والمأزمان وما حوتْ عرفاتُهــا والمسجــدُ

أنى تضامُ ولم أمتْ وأنا الشجاعُ العِربِدُ[٦]

وبطاح مكة لا يُرى فيها نجيعٌ أسودُ

وبنو أبيــك كأنهم أُسدُ العريـن توقَّدُ

ولقــد عهدتك صادقاً فى القــوْل لا تتزيَّدُ

ما زلت تنطق بالصوا ب وأنت طِفل أمردُ

قالوا : ومن شعره المشهور أيضاً قوله يخاطب محمداً ، ويسكِّن جأشــه ، ويأمره بإظهار الدعوة :

لا يمنعنَّــك من حقٍّ تقوم به أيدٍ تصولُ ولا سَلْق بأصوات[٧]

---

(١) ديوانه ٧٠ ـ ٧٢

(٢) الخضمّ : الكثير العطاء . (٣) الربيكة : طعام يعمل من تمر وأقط وسمن .

(٤) الخبيزة : الخبز ، وفى الأساس : « ثردت الخبز أثرده ، وهو أن تفته ثم تبله بمرق » .

(٥) العنجد : الزبيب . (٦) العربد فى الأصل : الحية ؛ وهو كناية عن الشجاعة

(٧) ديوانه ٥٠

فإن كفك كفي إن بليت بهم ودون نفسك نفسي في الملمات

ومن ذلك قوله ، ويقال إنها لطالب بن أبي طالب :

إذا قيل مَن خيرُ هذا الورى قبيلاً وأكرمهم أسرة[1] ؟

أناف لعبد مناف أبٌ وفضّله هاشم العزة

لقد حلّ مجد بني هاشم مكان النعائم والنثرة

وخير بني هاشم أحمد رسول الإله على فترة

ومن ذلك قوله :

لقد أكرم الله النبيّ محمداً فأكرمُ خلق الله في الناس أحمدُ[2]

وشقّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود وهذا محمّد

وقوله أيضاً ، وقد يروى لعلي عليه السلام :

ياشاهد الله عليّ فاشهدِ[3] أني على دين النبيّ أحمدِ

* مَنْ ضلّ في الدين فإني مهتدِ *

قالوا : فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر ، لأنه إن لم تكن آحادها متواترة، فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك ؛ وهو تصديق محمد صلى الله عليه وآله ، ومجموعها متواتر كما أنّ كلّ واحدة من قتلات علي عليه السلام الفرسان منقولة آحاداً ، ومجموعها متواتر ، يفيدنا العلم الضروريّ بشجاعته ، وكذلك القول فيما رُوي من سخاء حاتم ، وحلم الأحنف ومعاوية ، وذكاء إياس وخلاعة أبي نواس ، وغير ذلك ، قالوا : واتركوا هذا كله جانباً ، ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشهرة " قفانبك " وإن جاز الشكّ فيها أو في شيء من أبياتها ، جاز الشك في " قفانبك " وفي بعض أبياتها، ونحن نذكر منها هاهنا قطعة وهي قوله :

---

(١) ديوانه ٥٠
(٢) ديوانه ٧٥
(٣) ديوانه ٧٥

أعوذ برب البيت من كل طاعن ... علينا بسوء أو يلوح بباطل [١]

ومن فاجر يغتابنا بمغيبة ... ومن ملحق في الدين ما لم نحاول

كذبتم وبيت الله يُبزى محمد ... ولمّا نطاعنْ دونه ونناضل [٢]

ونسلمه حتى نصرَّع دونه ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وحتى نرى ذا الرَّدع يركب رَدْعَهُ ... من الطعن فعل الأنكب المتحامل [٣]

وينهض قومٌ في الحديد إليكمُ ... نهوض الرَّوايا تحت ذات الصَّلاصل [٤]

وإنّا وبيت الله مَنْ جَدَّ جِدُّنا ... لتلتبسنْ أسيافُنا بالأماثل [٥]

بكلِّ فتى مثل الشِّهاب سَمَيْدَعٍ ... أخي ثقة عند الحفيظة باسل

وما ترْكُ قومٍ لا أبالك سيِّداً ... يحوط الذمار غير نكسٍ مواكل [٦]

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عِصْمَةٌ للأرامل [٧]

يلوذ به الهُلَّاكُ من آل هاشمٍ ... فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزان صدقٍ لا يخيس شعيرة ... ووزّان صدقٍ وزنه غير عائل [٨]

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذَّبٌ ... لدينا، ولا يعبا بقول الأباطل !

لعمري لقد كلِّفت وجداً بأحمدٍ ... وأحببته حبَّ الحبيب المواصل

وجُـدْتُ بنفسي دونه وحميتُهُ ... ودافعتُ عنه بالذُّرى والكواهل

فلا زال للدُّنيا جمالا لأهلها ... وشَيْناً لمنْ عادى وزينَ المحافل

وأيّده ربُّ العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقّه غير باطل

* * *

---

(١) ديوانه ١٠٠ ـ ١٢٤ (٢) نبزى، أي نغلب

(٣) يركب ردعه: يخرّ لوجهه على دمه، والردع: اللطخ والأثر من الدم.

(٤) الروايا: جمع راوية؛ وهو البعير يستقى عليه، وذات الصلاصل: المزادة التي ينقل فيها الماء، والصلاصل جمع صلصلة، وهي بقية الماء في الإداوة.

(٥) الأماثل: الأشراف. (٦) الديوان، «غير ذرب».

(٧) ثمال اليتامى: عمادهم. (٨) يقال: عال الميزان يعول، إذا مال.

وورد في السيرة والمغازي أنَّ عتبة بن ربيعة أو شيبة لمّا قطع رجْل عبيدة بن الحارث بن المطلب يوم بدر أشل[1] عليه عليّ وحمزة فاستنقذاه منه وخبطا عتبة بسيفيهما حتى قتلاه، واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش، فألقياه بين يدَيْ رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّ مخّ ساقه ليسيل، فقال: يارسولَ الله، لو كان أبو طالب حيًّا لعلم أنه قد صدق في قوله:

كذبتم وبيتِ الله نُخلي محمدًا ولمّا نطاعِنْ دُونَه ونناضِلِ
وننصرُه حتى نصرَّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله استغفر له ولأبي طالب يومئذ، وبلغ عبيده مع النبي صلى الله عليه وآله إلى الصَّفْراء فمات فدفن بها.

قالوا: وقد روى أنّ أعرابيًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في عام جَدْب، فقال: أتيناك يارسول الله ولم يبق لنا صبيّ يرتضع، ولا شارف[2] يجتر ثم أنشده:

أتيناك والعذراء تدمَى لبانُها وقد شغلت أمّ الرضيع عن الطفْلِ
وألقى بكفّيه الفتى لاستكانةٍ من الجوع حتى ما يُمِرُّ ولا يُحْلِي
ولا شيْ مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامِيِّ والعِلهِز الفَسْلِ
وليس لنا إلا إليــك فرارُنا وأين فرار الناس إلاّ إلى الرسلِ!

فقام النبي صلى الله عليه وآله يجرّ رداءه، حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: « اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا، مريئًا هنيئًا، مريعًا سَحًّا سجالا، غدقًا طبقًا قاطعًا، دائمًا درًّا تحيي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدرّ به الضَّرع، واجعله سقيًا نافعًا عاجلاً غير رائث ». فوالله، ما ردّ رسول الله صلى الله عليه وآله يدَه إلى نحره حتى ألقت السَّماء

(١) أشبل: عطف (٢) الشارف: الناقة.

أزواقها، وجاء الناس يضجّون: الغرق الغرق يا رسول الله! فقال: اللهمّ حوالَينا ولا علينا، فانجاب السَّحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل.

فضحك رسول الله حتى بدت نواجذُه، ثم قال: لله درّ أبي طالب! لو كان حيًّا لقرّت عينه. مَنْ يُنشِدنا قوله؟ فقام عليّ فقال: يا رسولَ الله، لعلك أردت:

* وأبيض يُستَسْقَى الغمامُ بوجهه *

قال: أجل، فأنشده أبياتاً من هذه القصيدة، ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر؛ ثم قام رجل من كنانة فأنشده:

لك الحمدُ والحمدُ ممّن شَكَرْ ... سُقينا بوجــــهِ النبيّ المَطَرْ

دعا اللهَ خالقَــــه دعــوةً ... إليه، وأشخصَ منــــه البصرْ

فما كانَ إلّا كما ساعــــةٍ ... أو اقصرَ حتى رأينــــا الدِّرَر

دِفاقَ العَزالِي وجمَّ البِعاق[1] ... أغاثَ به اللهُ عُليــــا مُضَرْ

فكان كما قاله عمّه ... أبو طـــالبٍ ذو رُواءٍ غُرَرْ

به يسّر اللهُ صوبَ الغمامِ ... فهذا العيــــان وذاك الخَبَرْ

فمن يَشكُرِ اللهَ يَلْقَ المزيدَ ... ومَنْ يَكفُرِ الله يَلْقَ الغِيَرْ

فقال رسول الله: إن يكن شاعر أحسن فقد أحسنت.

قالوا: وإنما لم يظهر أبو طالب الإسلامَ ويجاهر به، لأنه لو أظهره لم يتهيأ له من نُصرة النبيّ صلّى الله عليه وآله ما تهيّأ له، وكان كواحدٍ من المسلمين الذين اتّبعوه، نحو أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهما ممّن أسلم، ولم يتمكّن من نُصرته والقيام دونه

---

(١) العزالي: جمع عزلاء، وهي في الأصل: مصب الماء من القربة والراوية، ويقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر: قد حلت عزاليها، وأرسلت عزاليها. و«البعاق»: المطر الذي يبعق بالماء.

حينئذ، وإنما تمكن أبو طالب من المحاماة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش وإن أبطن الإسلام؛ كما لو أن إنسانا كان يُبطن التشيّع مثلا، وهو في بلد من بلاد الكرّامية، وله في ذلك البلد وَجاهة وقدَم، وهو يُظهر مذهب الكرّامية، ويحفظ ناموسه بينهم بذلك، وكان في ذلك البلد نفرٌ يسير من الشِّيعة لا يزالون يُنالون بالأذى والضَّرر من أهل ذلك البلد ورؤسائه، فإنه مادام قادرا على إظهار مذهب أهل البلد، يكون أشدّ تمكّنا من المدافعة والمحاماة عن أولئك النفر، فلو أظهر مايجوز من التشيّع، وكاشف أهل البلد بذلك، صار حكمُه حكم واحد من أولئك النفر، ولحقه من الأذى والضَّرر مايلحقهم، ولم يتمكّن من الدفاع أحيانا عنهم كما كان أولا.

قلت: فأمّا أنا فإنّ الحال ملتبسةٌ عندي، والأخبار متعارضة؛ والله أعلم بحقيقة حاله كيف كانت[1].

ويقف في صدري رسالة النفس الزكية[2] إلى المنصور، وقوله فيها: «فأنا ابن خير الأخيار، وأنا ابن شرّ الأشرار، وأنا ابن سيّد أهل الجنّة، وأنا ابن سيّد أهل النار».

فإنّ هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر، وهو ابنه وغير متَّهم عليه، وعهده قريب من عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله، لم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلا.

وجملة الأمر أنه قد رُوي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارَض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيّنتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقُّف، وأنا في أمره من المتوقّفين.

---

(١) وضع الشيخ المفيد رسالة في إيمان أبي طالب، طبعت في مجموعة نفائس المخطوطات، العدد الثالث من المجموعة الأولى. طبعت في النجف سنة ١٩٥٦.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالأرقط وبالمهدي وبالنفس الزكية، خرج على المنصور ثائرا لقتل أبيه فسكونه في مائتين وخمسين رجلا، فقبض على أمير المدينة، وبايعه أهلها، فندب المنصور لقتاله وليّ عهده عيسى بن موسى، فسار إليه، وانتهى الأمر بقتله سنة ١٤٥. (مقاتل الطالبيين ٢٣٢).

فأمّا الصلاة وكونه لم يُنقل عنه أنه صلّى، فيجوز أن يكون لأنّ الصلاة لم تكن بعد قد فرضت، وإنما كانت نفلاً غير واجب، فمن شاء صلّى، ومن شاء ترك، ولم تفرض إلّا بالمدينة، ويمكن أنْ يقول أصحابُ الحديث: إذا تعارض الجرح والتعديل كما قد أشرتم إليه، فالترجيح عند أصحاب أصولِ الفقه لجانب الجرح، لأن الجارح قد اطّلع على زيادة لم يطّلع عليها المعدِّل.

ولخصومهم أن يجيبوا عن هذا فيقول: إنّ هذا إنما يقال ويذكر في أصول الفقه في طعن مفصّل في مقابلة تعديل مجمل، مثاله أن يرويَ شُعبةُ مثلاً حديثاً عن رجل، فهو روايته عنه قد وثّقه، ويكفي في توثيقه له أن يكون مستور الحال، ظاهرُه العدالة، فيطعن فيه الدارقطنيّ مثلاً بأن يقول: كان مدلّساً، أو كان يرتكب الذنب الفلانيّ، فيكون قد طعن طعناً مفصلاً في مقابلة تعديل مجمل، وفيما نحن فيه وبصدده الروايتان متعارضتان تفصيلاً لا إجمالاً، لأن هؤلاء يروون أنّه تلفظ بكلمتي الشهادة عند الموت، وهؤلاء يروُون أنّه قال عند الموت: أنا على دين الأشياخ.

وبمثل هذا يجاب مَن يقول من الشيعة: روايتنا في إسلامه أرجح، لأنا نروي حكماً إيجابياً ونشهد على إثبات، وخصومنا يشهدون على النفي، ولا شهادة على النفي، وذلك أنّ الشهادة في الجانبين معاً، إنما هي على إثبات، ولكنه إثبات متضادّ.

وصنّف بعض الطالبيين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب، وبعثه إليّ، وسألني أن أكتب عليه[1] بخطّي نظماً أو نثراً أشهد فيه بصحّة ذلك، وبوثاقة الأدلّة عليه، فتحرّجت أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً، لما عندي من التوقّف فيه، ولم أستجز أنْ أقعدَ عن تعظيم أبي طالب، فإنّي أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دِعامة. وأعلم أنّ حقّه واجب على كلّ مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة، فكتبت على ظاهر المجلّد:

(١) ساقطة من ب.

ولولا أبو طالبٍ وابنُه ... لما مَثُل الدينُ شخصاً فقاما

فذاك بمكةَ آوى وحامى ... وهذا بيثربَ جسّ الحِماما(1)

تكفّلَ عبدُ منافٍ بأمرٍ ... وأودى فكان عليٌّ تماما

فقل في ثبيرٍ مضى بعد ما ... قضى ما قضاه وأبقى شماما

فلله ذا فاتحاً للهدى ... ولله ذا للمعالي ختاما

وما ضرّ مجدَ أبي طالبٍ ... جهولٌ لغا أو بصيرٌ تعامى

كما لا يضرّ إياةَ الصباحِ(2) ... مَن ظنّ ضوءَ النهار الظلاما

فوفّيته حقّه من التعظيم والإجلال، ولم أحرم بأمر عندى فيه وقفة.

[قصة غزوة بدر]

الفصل الثالث: في شرح القصّة في غزاة بدر، ونحن نذكر ذلك من كتاب "المغازي" لمحمد بن عمر الواقديّ، ونذكر ما عساه زاده محمد بن إسحاق في كتاب "المغازي"، وما زاده [أحمد بن](3) يحيى بن جابر البلاذُريّ في "تاريخ الأشراف".

قال الواقديّ: بلغ(4) رسولَ الله صلى الله عليه وآله أنّ عِيرَ قريشٍ قد فصلت من مكة تريد الشام، وقد جمعت قريش فيها أموالها، فندب لها أصحابه، وخرج يعترضُها على رأس ستّة عشر شهراً من مهاجَرِه عليه السلام، فخرج في خمسين ومائة — ويقال في مائتين — فلم يلقَ العير؛ وفاتته ذاهبةً إلى الشام.. وهذه غزاة ذى العُشَيرة، رجع منها إلى المدينة فلم يلقَ حرباً، فلما تحيّن انصراف العِير من الشام قافلةً ندب أصحابه لها، وبعث طلحة بن عُبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل قبل خروجه من المدينة بعشر ليالٍ،

(1) ا: «حس».

(2) إياة الصبح: ضوءه، وأصله في الشمس.

(3) من ا

(4) مغازى الواقدى ص ١١ وما بعدها.

يتحسسان خبر العير ، حتى نزلا على كشد[1] الجهني بالموضع المعروف بالنخبار[2] ، وهو من وراء ذي المروة على الساحل ، فآجرهما وأنزلهما ، فلم يزالا مقيمين في خباء وبر حتى مرت العير ، فرفعهما على نشز من الأرض ، فنظرا إلى القوم وإلى ما تحمل العير ، وجعل أهل العير يقولون لكشد : يا كشد ، هل رأيت أحدا من عيون محمد ؟ فيقول : أعوذ بالله، وأنّى لمحمد عيون بالنخبار ! فلما راحت العير باتا حتى أصبحا ثم خرجا ، وخرج معهما كشد خفيرا ، حتى أوردهما ذا المروة ، وساحلت العير فأسرعت ، وسار بها أصحابها ليلا ونهارا، فرقا من الطلب ، وقدم طلحة وسعيد المدينة في اليوم الذي لاقى رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً ببدر ، فخرجا يعترضان رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلقياه بتربان — وتربان بين ملل والسيالة على المحجة ، وكانت منزل عروة بن أذينة الشاعر — وقدم كشد بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وآله ، وقد أخبر طلحة وسعيد رسول الله صلى الله عليه وآله بما صنع بهما ، فحياه وأكرمه ، وقال : ألا أقطع لك ينبع ؟ قال : إني كبير ، وقد نفد عمري ، ولكن أقطعها لابن أخي ، فقطعها له[3].

قالوا : وندب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين ، وقال : هذه عير قريش ، فيها أموالهم : لعل الله أن يغنمكموها ، فأسرع من أسرع ، حتى إن كان الرجل ليساهم أباه في الخروج ، فكان ممن ساهم أباه سعد بن خيثمة ، فقال سعد لأبيه : إنه لو كان غير الجنة آثرتك به ، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا ، فقال خيثمة : آثرني وقر مع نسائك ، فأبى سعد ، فقال خيثمة : إنه لابد لأحدنا من أن يقيم ، فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فقتل ببدر . وأبطأ عن النبي صلى الله عليه وآله بشر كثير من أصحابه ، وكرهوا خروجه ، وكان في ذلك كلام كثير ، واختلاف ، وبعضهم تخلف من أهل النيات والبصائر ، لم يظنوا أنه يكون قتال ، إنما هو الخروج للغنيمة ، ولو ظنوا أنه يكون قتال لما تخلفوا ؛ منهم أسيد

(١) في الإصابة : كشد بالشين مهملة وما أثبته من الأصول يوافق ما في مغازي .

(٢) في مغازي الواقدي : « النخبار من وراء ذي المروة على الساحل »

(٣) انظر في الإصابة ٣ : ٣٧٧ .

ابن حُضَير ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال أُسَيد : الحمد لله الذى سرك وأظهرك على عدوك ، والذى بعثك بالحق ماتخلفتُ عنك رغبةً بنفسى عن نفسك ، ولا ظننت أنك تلاقى عَدُوًّا ، ولا ظننتُ إلّا أنها العير ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : صدقت .

قال : وخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، حتى انتهى إلى المكان المعروف بالبُقْع[1] وهى بيوت السُّقيا[2] ، وهى متصلة ببيوت المدينة ، فضرب عسكره هناك ، وعرض المقاتلة ، فعرض عبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، ورافع بن خديج ، والبَرَاء بن عازب ، وأُسَيد بن ظُهَير ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، فردّهم ولم يُجِزْهُم .

قال الواقدىّ : حدثنى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : رأيتُ أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتوارَى ، فقلت : مالك يا أخى ؟ قال : إنى أخافُ أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وآله فيستصغرَنى ، فيردّنى ، وأنا أحبّ الخروجَ ، لعلّ الله أن يرزقنى الشهادة . قال : فعُرِض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستصغره ، فقال : ارجع ، فبكى [عمير][3] ، فأجازه .

قال : فكان سعد يقول : كنت أعقِد له حمائلَ سيفه من صِغَره ، فقتِل ببدر وهو ابن ستَّ عشرةَ سنة .

قال : فلمّا نزلَ عليه السلام بيوت السُّقْيا أمرَ أصحابَه أن يستقُوا[4] من بئرهم ، وشرب عليه السلام منها ، كان أوّل مَنْ شرب وصلّى عندها ، ودعا يومئذ لأهل المدينة ، فقال :

---

(١) قال ياقوت « البقع : اسم بئر بالمدينة » ، وقال الواقدى : « البقع من السقيا التى ننقب بنى دينار بالمدينة » .

(٢) فى ياقوت : « عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستقى الماء العذب من بيوت السقيا ، وفى حديث آخر : كان يستعذب الماء من بيوت السقيا ، والسقيا : قرية جامعة من عمل الفرع ، بينهما مما يلى الجحفة تسعة عشر ميلا ... وقال ابن الفقيه : السقيا من أسافل أودية تهامة .

(٣) من ا والواقدى . (٤) ب : « يستسقوا » ، وأثبت ما فى ا والواقدى .

اللهمّ إنّ إبراهيم عبدُك وخليلُك ونبيّك ، دعاك لأهلِ مكة ، وإنّى محمد عبدُك ونبيّك ، أدعوك لأهلِ المدينة ، أن تبارك لهم فى صاعِهم ومُدّهم وثمارهم ، اللهمّ حبِّب إلينا المدينة ، واجعل مابها من الوباء بخُمّ . اللهمّ إنى حرّمت مابين لابَتَيْها ، كما حرّم إبراهيم خليلك مكة .

قال الواقدىّ : وخُمّ على ميلين من الجحفة .

وقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله أمامه عدىّ بن أبى الزّغباء ، وبسبس بن عمرو ، وجاء إليه عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : يارسولَ الله ، لقد سرّنى منزلُك هـذا ، وعرضُك فيه أصحابَك ، وتفاءلت به ، إنّ هذا منزلنا بنى سلِمة ، حيث كان بيننا وبين أهل حُسَيكة ما كان .

قال الواقدىّ : هى حُسَيكة[1] الذّباب ، والذّباب[2] : جبل بناحية المدينة ، وكان بحُسَيكة يهود ، وكان لهم بها منازل .

قال عبد الله بن عمرو بن حرام : فعرضنا يارسول الله هاهنا أصحابنا ، فأجزنا مَنْ كان يطيق السلاح ، ورددْنا مَنْ صغُر عن حمل السلاح ، ثم سرنا إلى يهود حُسَيكة ، وهم أعزّ يهود كانوا يومئذ ، فقتلناهم كيف شئنا ، فذلّت لنا سائرُ[3] يهود إلى اليوم ، وأنا أرجو يارسولَ الله أن نلتقِىَ نحن وقريش ، فيقرّ الله عينَك منهم .

قال الواقدىّ : وكان خلّاد بن عمرو بن الجموح لمّا كان من النّهار رجع إلى أهله بخرْباء ، فقال له أبوه عمرو بن الجموح : ماظننت إلّا أنكم قد سِرتم ، فقال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يعرِض الناس بالمقيع ، فقال عمرو : نعم الفأل ! والله إنى لأرجو أن تغنموا وأن تظفرُوا بمشركى قريش ، إن هـذا منزلنا يوم سرنا إلى حُسَيكة . قال : فإنّ

---

(١) حسيكة ، ضبطه ياقوت بالتصغير ، وقال : هو موضع بالمدينة فى طرف ذباب .

(٢) ضبطه ياقوت : « بكسر أوله وباءين » ، وقال : جبل بالمدينة له ذكر فى المغازى والأخبار .

(٣) ص : « اليهود » .

رسول الله صلى الله عليه وآله قد غيّر اسمه ، وسمّاه السقيا . قال : فكانت فى نفسى أن اشتريها ، حتى اشتراها سعدُ بن أبى وقّاص ببَكْرَيْن ، ويقال بسبع أواق ، فذُكِر للنبى صلى الله عليه وآله أنّ سعدا اشتراها ، فقال : ربح البيع !

قال الواقدىّ : فراح رسولُ الله صلى الله عليه وآله من بيوت السُّقْيا ، لاثنتى عشرة ليلة مضت من رمضان ، وخرج المسلمون معه ثلاثمائة وخمسة ، وتخلّف ثمانية، ضرب لهم بسهامهم وأجورهم[1] ، فكانت الإبل سبعين بعيراً ، وكانوا يتعاقبون الإبل: الاثنين ، والثلاثة ، والأربعة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى بن أبى طالب عليه السلام ومَرْثَد بن أبى مَرْثَد ـ ويقال زيد بن حارثة مكان مَرْثَد ـ يتعاقبون بعيراً واحدا ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، وزيد ابن حارثة ، وأبو كبشة ، وأنسة ، موالى النبى صلى الله عليه وآله على بعير ، وكان عُبيدة بن الحارث والطفيل والحصين ابنا الحارث ، ومِسطح بن أثاثة على بعير لعبيدة بن الحارث ناضح[2] ابتاعه من أبى داود المازنىّ ، وكان مُعاذ وعوف ومعوِّذ بنو عفراء ومولاهم أبو الحمراء على بعير ، وكان أبىّ بن كعب وعُمارة بن حزم وحارثة بن النعمان على بعير ، وكان خِراش ابن الصِّمّة وقُطْبة بن عامر بن حديدة وعبد الله بن عمرو بن حرام على بعير ، وكان عُتْبة ابن غَزْوان وطليب بن عمير على جَمَلٍ لعتبة بن غزوان يقال له العَبْس ، وكان مصعب ابن عمير وسُوَيبط بن حَرْملة ومسعود بن ربيع عَلَى جمل لمصعب ، وكان عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود على بعير ، وكان عبد الله بن كعب وأبو داود المازنىّ وسليط بن قيس على جملٍ لعبد الله بن كعب ، وكان عثمان بن عفّان وقُدامة بن مظعون وعبد الله بن مَظْعون والسائب بن عثمان على بعير يتعاقبون ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف على بعير ، وكان سعد بن مُعاذ وأخوه وابن أخيه الحارث بن أوس والحارث بن أنس على جمل لسعْد بن مُعاذ ناضحٍ يقال له الذيّال ، وكان سعد بن زيد ، وسلمة بن

---

(١) ساقطة من ب

(٢) الناضح : البعير يستقى عليه الماء .

سلامة بن وقش ، وعباد بن بشر ، ورافع بن يزيد على ناضحٍ لسعيد بن زيد ، ما تزوّدُوا إلّا صاعاً من تمر .

قال الواقديّ : فروى مُعاذ بن رفاعة ، عن أبيه ، قال : خرجت مع النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بدر ، وكان كلّ ثلاثة يتعاقبون بعيراً ، فكنت أنا وأخي خلّاد بن رافع على بَكرٍ لنا ومعنا عُبيد بن يزيد بن عامر ، فكنّا نتعاقب ، فسِرنا حتى إذا كنّا بالرَّوحاء إذ مرّ بنا بَكرُنا وبرك علينا وأعيا ، فقال أخي : اللهمّ إنّ لك عليّ نذراً ، لئن رددتنا إلى المدينة لأنحرنّه ، فمرّ بنا النبيّ صلى الله عليه وآله ونحن على تلك الحال ، فقلنا : يا رسول الله برك علينا بكرُنا ، فدعا بماء فتمضمض وتوضّأ في إناء ، ثم قال : افتحا فاه ، ففعلنا ، فصبّه في فيه ، ثم على رأسه ثم على عنقه ، ثم على حاركه ، ثم على سَنامه ، ثم على عَجُزه ، ثم على ذَنَبه ، ثم قال : اركبا ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله فلحقناه أسفلَ من المنصرف ، وإنّ بكرَنا لينفر بنا ، حتى إذا كنّا بالمصلّى راجعين من بدر ، برك علينا ، فنحرَه أخي ، فقسّم لحمَه وتصدّق به .

قال الواقديّ : وقد رُوي أنّ سعد بن عُبادة حمَل في بدر على عشرين جملا

قال : وروِي عن سعد بن أبي وقّاص ، أنّه قال : خرجنا إلى بَدْرٍ مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومعنا سبعون بعيرا فكانوا يتعاقبون الثلاثة والأربعة والاثنان على بعير ، وكنتُ أنا من أعظم أصحابِ النبي عليه السلام عنه غَناء ، وأرجَلهم رُجْلَةً[1] ، وأرماهم بِسَهْمٍ ، لم أركب خطوة ذاهبا ولا راجعا .

قال الواقديّ : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين فصل من بيوت السقيا .
اللهمّ إنهم حُفاةٌ فاحملهم ، وعُراةٌ فاكسُهم ، وجياعٌ فأشبعهم ، وعالةٌ فأغنهم من فضلك!
فما رجع أحدٌ منهم يريد أن يركب إلّا وجد ظهراً ، للرّجُل البعير والبعيران ، واكتسى

(١) الرجلة بالضم ـ القوة على المشي

مَنْ كانَ عارياً ، وأصابوا طعاما من أزوادهم ، وأصابوا فداء الأسرى[1] ، فأغنى به كلّ عائل .

قال : واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وآله على المشاة قيس بن أبي صعصعة — واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول — وأمره النبيّ صلّى الله عليه وآله حين فصَل من بُيُوت السقيا أن يعدّ المسلمين ، فوقف لهم ببئر أبي عِنَبة يعدّهم ، ثم أخبر النبي صلى الله عليه وآله ، وخرج من بُيوت السقيا ، حتى سلك بطن العقيق ، ثم سلك طريق المكيمن[2] ، حتى خرج على بطحاء ابن أزهر ؛ فنزل تحت شجرة هناك ، فقام أبو بكر إلى حجارة هناك ، فبنى منها مسجدا ، فصلّى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، وأصبح يوم الاثنين وهو هناك ؛ ثم صار إلى بطن مَلَل وتُرْبان بين الحفيرة ومَلَل .

قال الواقديّ : فكان سعد بن أبي وقاص ، يقول : لما كنّا بتُرْبان ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : يا سعد ، انظر إلى الظّبي ، فأفوّق له بسهم ، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله فوضع رأسه بين مَنكِبي وأذني ، ثم قال : اللهمّ سدّد رميته — قال : فما أخطأ سهمي عن نحره ، فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخرجت أعدُو فأخذته وبه رَمَق فذكّيته[3] ، فحملناه حتى نزلنا قريباً ، أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله فقسم بين أصحابه .

قال الواقديّ : وكان معهم فرَسان : فرس لمرثَد بن أبي مرثَد الغنوي ، وفرس للمقداد ابن عمرو البهرانيّ ، حليف بني زُهرة ، ويقال فرس للزبير ؛ ولم يكن إلا فرَسان لا اختلاف عندهم[4] ، أنّ المقداد له فرس ؛ وقد روى عن ضُباعة بنت الزُّبير عن المقداد ،

(١) أ : « للأسرى » .
(٢) المكيمن ، ضبطه ياقوت على التصغير ، وقال : « عقيق المدينة » وفي الواقدي : « المكتمن » .
(٣) ذكيته : ذبحته .
(٤) الواقدي : « عندهم » .

قال : كان معي يوم بَدْر فرس يقال له سبحة . وقد روى سعد بن مالك الغَنَوِيّ عن آبائه أن مرثد بن أبي مرثد الغَنَوِي شهد بدراً على فرس له يقال له السَّيل .

قال الواقديّ : ولحقت قريش بالشام في عيرها ، وكانت العير ألف بعير ، وكان فيها أموال عظام ، ولم يبق بمكّة قرشيٌ ولا قرشيّة له مثقال فصاعدا إلا بعث به في العِير ؛ حتى إنّ المرأة لتبعثُ بالشيء التافه ، وكان يقال : إن فيها لخمسين ألف دينار . وقالوا : أقلّ ، وإن كان ليقال : إنّ أكثر ما فيها من المال لآل سعيد بن العاص لأبي أُحَيحة إمّا مال لهم أو مال مع قوم قراض على النّصف ، وكان عامّة العير لهم ؛ ويقال : بل كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة أو أربعة آلاف مثقال ذهب ، وكان يقال للحارث بن عامر بن نوفل فيها ألفا مثقال .

قال الواقديّ : وحدّثني هشام بن عمارة بن أبي الحُوَيرث ، قال : كان لبني عبد مناف فيها عشرة آلاف مثقال ، وكان مَتْجَرُهم إلى غَزّة من أرض الشام

قال الواقديّ : وحدّثني عبد الله بن جعفر ، عن أبي عون مولى المِسور ، عن مَخْرمة ابن نوفل ، قال : لما لحقنا بالشام أدركنا رجلٌ من جُذام ، فأخبرنا أنّ محمدا قد كان عرض لعيرنا في بدأتنا ، وأنه تركه مقيما ينتظر رجعتنا ، قد حالف علينا أهلَ الطريق ووادَعهم . قال مخرمة : فخرجنا خائفين نخاف الرَّصَد ، فبعثنا ضَمْضَم بن عمرو حين فَصَلْنا من الشام .

قال الواقديّ : وكان عمرو بن العاص مع العير ، وكان يحدّث بعد ذلك يقول : لما كنا بالزّرقاء — والزرقاء بالشام من أذرعات على مرحلتين — ونحنُ منحدرون إلى مكّة لقينا رجلًا من جُذام ، فقال : قد كان عرض محمد لكم في بدأتكم في أصحابه ، فقلنا : ما شعرنا ، قال : بلى ، فأقام شهرا ، ثم رجع إلى يثرب ، وأنتم يوم عرض محمد لكم مخفّون فهو الآن أحرى أن يعرض لكم ؛ إنما يَعُدّ لكم الأيام عدًّا ، فاحذروا على عيركم ،

وارتئوا آراءكم، فوالله ما أرى من عَدد ولا كُراع ولا حَلْقة[1]. فأجمع القوم أمرهم، فبعثوا ضمضم بن عمرو، وكان فى العير، وقد كانت قريش مرّت به وهو بالساحل، معه بكران، فاستأجروه بعشرين مثقالا، وأمره أبو سفيان أن يخبر قريشاً أنّ محمدا قد عرَض لعيرهم، وأمره أن يجدّع بعيره إذا دخل، ويحوّل رحله، ويشقّ قميصه من قُبُله ودُبُره، ويصيح: الغوث الغوث! ويقال: إنما بعثوه من تبُوك، وكان فى العير ثلاثون رجلا من قريش؛ فيهم عمرو بن العاص، ومخرمة بن نوفل.

قال الواقدى: وقد كانت عاتكة بنت عبد المطلب رأتْ قبل مجىء ضمضم بن عمرو رؤيا أفزعتها، وعظمت فى صدرها، فأرسلت إلى أخيها العباس، فقالت: يا أخى، لقد والله رأيت رؤيا أفزعتنى[2] وتخوّفتُ أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة، فاكتم علىّ ما أحدّثك منها، رأيت راكبا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: يا آل غُدَر، انفروا إلى مصارعكم فى ثلاث، فصرخ بها ثلاث مرات. فأرَى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد، والناس يتبعونه إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة، فصرخ مثلها ثلاثا، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس، فصرخ بمثلها ثلاثاً، ثم أخذ صخرةً من أبى قبيس فأرسلها، فأقبلت تهوِى، حتى إذا كانت فى أسفل الجبل ارفضّت، فما بقى بيت من بيوت مكّة ولا دارٌ من دورها إلا دخلتْه منه فلذة[3].

قال الواقدىّ: وكان عمرو بن العاص يحدّث بعد ذلك فيقول: لقد رأيتُ كلّ هذا، ولقد رأيت فى دارنا فلقة من الصّخرة التى انفلقت من أبى قبيس، ولقد كان ذلك عبرة، ولكن الله لم يرد أن نُسلم يومئذ، لكنه أخّر إسلامنا إلى ما أراد.

قلت: كان بعض أصحابنا يقول: لم يكفِ عمراً أن يقول: رأيتُ الصّخرة فى دُور مكّة عيانا، فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء، طنزا على وجْه النفاق واستخفافه بعقول المسلمين،

(١) الحلقة هنا: السلاح. (٢) الواقدى: «أفظعتها».
(٣) الفلذة: القطعة من الحجارة.

زعم حتى يضيف إلى ذلك القول بالخبر الصُّراح فيقول : إنّ الله تعالى لم يكن أراد منه الإسلام يومئذ .

قال الواقديّ : قالوا : ولم يدخل دارا ولا بيتا من دُور بني هاشم ولا بني زُهرة من تلك الصخرة شيء ! قال : فقال العباس : إنّ هذه لرؤيا ، فخرج مغتما ، حتى لقي الوليد بن عتبة ابن ربيعة ـ وكان له صديقاً ـ فذكرها له واستكتمه ؛ ففشا الحديث في الناس ، قال العباس : فغدوتُ أطوف بالبيت، وأبو جهل في رَهْط من قريش يتحدّثون برؤيا عاتكة، فقال أبو جهل : ما رأت عاتكة هذه ؟ فقلت : وما ذاك ؟ فقال : يابني عبد المطلب ، أما رضيتم بأن تتنبّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم ! زعمت عاتكة أنّها رأت في المنام كذا وكذا للذي رأت ـ فسنتربّص بكم ثلاثا ، فإن يكن ما قالت حقًّا فسيكون ، وإن مضت الثلاث ولم يكن ، نكتبْ عليكم أنكم أكذبُ أهل بيت في العرب ! فقال له العباس : يامصفّر استه ، أنت أولى بالكذب واللؤم منّا ! فقال أبو جهل : إنا استبقنا المجد وأنتم، فقلتم : فينا السقاية ، فقلنا : لانبالي ، تسقون الحجاج ، ثم قلتم : فينا الحجابة، فقلنا: لانبالي تحجبون البيت ، ثم قلتم : فينا الندوة ، قلنا . لانبالي يكون الطعام فتطعمون الناس . ثم قلتم : فينا الرِّفادة ، فقلنا : لانبالي ، تجمعون عندكم ما ترفدون به الضعيف ، فلما أطعمنا الناس وأطعمتم ، وازدحمت الرّكب واستبقنا المجد ، فكنا كفرسَيْ رِهان ، قلتم : منا نبيٌّ ، ثم قلتم : منا نبيّة ! فلا واللّات والعُزّى لا كان هذا أبدا !

قلت : لا أرى كلام أبي جهل منتظما ؛ لأنه إذا سلّم للعباس أنّ هذه الخصال كلّها فيهم ، وهي الخصال التي تتشرّف بها القبائل بعضُها على بعض ، فكيف يقول : لانبالي لانبالي ! وكيف يقول : فلمّا أطعمنا الناس وأطعمتم ، وقد كان الكلام منتظما ، لو قال : ولنا بإزاء هذه المآثر كذا وكذا ، ثم يقول بعد ذلك : استبقنا المجد فكنّا كفرسَيْ رهان ، وازدحمت الرّكب ؛ ولم يقل شيئاً ولا عدّ مآثره ، ولعلّ أبا جهل قد قال مالم ينقل .

قال الواقدىّ : قال العبّاس : فوالله ما كان منّى غير أنّى جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون عاتكة رأت شيئاً . فما أمسيتُ لم تبق امرأة أصابتها ولادة عبد المطلب إلا جاءت ، فقلن لى : أرضيتم بهذا الفاسق الخبيث يقع فى رجالكم ، ثم قد تناول نساءكم ! ولم تكن لك عند ذلك غيرة ! فقلت : والله ما قلت إلا لأنّى لا أبالى به ، ولأيمُ الله لأعرِضنّ له غدا ، فإن عاد كفيتُكُنّ إيّاه . فلما أصبحوا من ذلك اليوم الّذى رأت فيه عاتكة ما رأتْ ، قال أبو جهل : هذه ثلاثة أيام مابقى . قال العباس : وغدوتُ فى اليوم الثالث ،وأنا حديد مغضَب، أرى أن قدفاتنى منه أمر أحبّ أن أدركه، وأذكر ما أعطى به النساء من مقالتهن، فوالله إنى لأمشى نحوه ـ وكان رجلاً خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ـ إذ خرج نحو باب بنى سَهْم يشتدّ،فقلت : ماباله لعنه الله ! أ كلّ هذا فَرَقا من أن أشاتمه ! فإذا هو قد سمع صوت ضَمضم بن عمرو وهو يقول : يا معشر قريش ، يا آل لؤىّ بن غالب ، اللّطيمة قد عرض لها محمد و أصحابه ! الغوث الغوث ! والله ما أرى أن تدركوها ، وضمضم ينادى بذلك فى بطن الوادى ، وقد جدّع أذنى بعيره وشقّ قميصه قُبُلًا ودبُرا ، وحوّل رحله ، وكان يقول : لقد رأيتُنى قبل أن أدخل مكّة وإنى لأرى فى النّوم وأنا على راحلتى كأنّ وادى مكّة يسيل من أسفله إلى أعلاه دما ، فاستيقظت فزعاً مذعورا ، فكرهتُها لقريش ، ووقع فى نفسى أنّها مصيبة فى أنفسهم .

قال الواقدىّ : وكان عمير بن وهب الجُمَحىّ يقول : مارأيت أعجبَ من أمر ضمضم قطّ ، وما صرّخ على لسانه إلاّ شيطان ! كأنه لم يملّكنا من أمورنا شيئاً ، حتى نفرنا على الصّعب والذلول ،وكان حكيم بن حزام يقول : ما كان الّذى جاءنا فاستنفرنا إلى العير إنسانا! إن هو إلا شيطان ، قيل : كيف ياأبا خالد ؟ قال : إنى لأعجب منه ، ماملكنا من أمرنا شيئاً .

قال الواقدىّ : فتجهّز النّاس وشُغل بعضهم عن بعض ، وكان النّاس بين رجلين : إمّا خارج وإما باعث مكانه رجلا ، وأشفقت قريش لرؤيا عاتكة ، وسرّ بنو هاشم .

وقال قائلهم : كلاّ ، زعمتم أنّا كذبنا وكذبت عاتكة ! فأقامت قريش ثلاثا تتجهّز — ويقال : يومين — وأخرجت أسلحتها واشتروا سلاحا، وأعان قويّهم ضعيفهم ، وقام سُهيل ابن عمرو فى رجال من قريش ، فقال : يامعشرَ قريش ، هذا محمّد والصُّباة معه من شبّانكم وأهل يثرب قد عرضوا لعيركم ولطيمتكم[1] ، فمن أراد ظهرا فهذا ظهر ، ومَنْ أراد قوّة فهذه قوّة . وقام زمعة بن الأسود ، فقال : إنّه واللات والعزّى مانزل بكم أمر أعظم من أن طمع محمّد وأهل يثرب أن يعرضوا لعيركم فيها حرائبكم ؛ فأوعِبوا[2] ولا يتخلّف منكم أحد ، ومَنْ كان لا قوّة له فهذه قوة ، والله لئن أصابها محمّد وأصحابه لا يروعكم منهم إلا وقد دخلوا عليكم بيوتكم . وقال طُعيمة بن عدىّ : يامعشر قريش ، والله مانزل بكم أمرٌ أجلّ من هذا! أن يستباح عيركم، ولطيمة قريش فيها أموالكم وحرائبكم ؛ والله ماأعرف رجلاً ولا امرأة من بنى عبدمناف له نَشٌّ[3] فصاعدا إلا وهو فى هذه العير، فمن كان لا قوّة به فعندنا قوّة نحمله ونقوّيه . فحمل على عشرين بعيرا وقوّى بهم ، وخلّفهم فى أهلهم بمعونة . وقام حنظلة بن أبى سفيان وعمرو بن أبى سفيان فحضّ الناس على الخروج ، ولم يدعُوا إلى قوة ولا حُملان ؛ فقيل لهما : ألا تدعُوان إلى ماذعا إليه قومكما من الحملان ؟ قالا : والله مالنا مال، وما المال إلا لأبى سفيان . ومشى نوفل بن معاوية الديلىّ إلى أهل القوّة من قريش، وكلّمهم فى بذل النفقة والحُملان لمن خرج ، فكلّم عبد الله بن أبى ربيعة ، فقال : هذه خمسمائة دينار تضعُها حيث رأيت ، وكلّم حُوَيطب بن عبد العزى ، فأخذ منه مائتى دينار أو ثلثمائة ، ثم قوىَ بها فى السلاح والظهر .

قال الواقدىّ : وذكروا أنّه كان لا يتخلّف أحدٌ من قريش إلا بعث مكانه بَعثا ، فمشت قريش إلى أبى لهب ، فقالوا له : إنك سيّد من سادات قريش، وإنّك إن تخلّفت عن

---

(١) اللطيمة : التجارة ؛ وقيل ، اللطيمة : العطر خاصة .

(٢) أوعبوا : استعدوا .

(٣) النش : وزن نواة من ذهب .

النفير يعتبر بك غيرك من قومك، فاخرج أو ابعث رجلاً ، فقال : واللّات والعُزّى لا أخرجُ ولا أبعث أحداً، فجاءه أبو جهل فقال : أقم يا أبا عتبة ، فوالله ما خرجنا إلا غضباً لدينك ودين آبائك ! وخاف أبو جهل أن يُسْلِم أبو لهب، فسكت أبو لهب ولم يخرج ولم يبعث، وما منع أبا لهب أن يخرج إلا الإشفاقُ من رؤيا عاتكة ، كان يقول: إنما رؤيا عاتكة أخذ باليد ، ويقال إنه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكان له عليه دين ، فقال : اخرج وديني عليك لك ، فخرج عنه .

* * *

وقال محمد بن إسحاق في المغازي : كان دَيْن أبي لهب على العاص بن هشام أربعة آلاف درهم ، فمطله بها ، وأفلس فتركها له على أن يكون مكانه ، فخرج مكانه .

قال الواقدي . وأخرج عُتْبة وشيبة دروعاً لهما فنظر إليهما مولاهما عدّاس وهما يصلحان دروعهما وآلة حربهما ، فقال : ما تريدان ؟ فقالا : ألم تر إلى الرّجل الذي أرسلناك إليه بالعنب في كَرْمنا بالطّائف ؟ قال : نعم ، قالا : نخرج فنقاتله ، فبكى ، وقال : لا تخرجا فوالله إنه لنبيّ ، فأبيا فخرجا ، وخرج معهما فقُتِل ببدر معهما .

قلت : حديث العنب في كَرْم ابني ربيعة بالطائف ، قد ذكره أرباب السيرة، وشرحه الطّبري في التاريخ ، قال : لما مات أبو طالب بمكة طمعت قريش في رسول الله صلى الله عليه وآله ونالت منه ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب ، فخرج من مكة خائفاً على نفسه مهاجراً إلى ربّه يؤمّ الطائف ، راجياً أن يدعوَ أهلَها إلى الإسلام فيجيبوه ، وذلك في شوال من سنة عشر من النبوة ، فأقام بالطائف عشرة أيام ، وقيل شهراً ، لا يدع أحداً من أشراف ثقيف إلا جاءه وكلّمه ، فلم يجيبوه ، وأشاروا عليه أن يخرج عن أرضهم ، ويلحق بمَجاهل الأرض وبحيث لا يعرف ، وأغرَوْا به سفهاءهم ، فرمَوْه بالحجارة ، حتى إنّ رجليه لتدمَيان ، فكان معه زيد بن حارثة ، فكان يقيه بنفسه ، حتى لقد شُجّ في رأسه .

والشيعة تروي أنّ علي بن أبي طالب كان معه أيضا في هجرة الطائف ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثقيف وهو محزون ، بعد أن مشى إلى عبد ياليل ومسعود وحبيب بني عمرو بن عمير ، وهم يومئذ سادة ثقيف ، فجلس إليهم ، ودعاهم إلى الله وإلى نصرته والقيام معه على قومه ، فقال له أحدهم : أنا أمرُط[1] بباب الكعبة ، إن كان الله أرسلك ! وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك كلمة أبداً ، لئن كنتَ رسولا من الله كما تقول ، لأنت أعظمُ خطراً من أن أردّ عليك الكلام ، ولئن كنتَ كاذباً على الله ماينبغي أن أكلمك . فقام رسول الله صلى الله عليه وآله من عندهم ، وقد يئس من خير ثقيف ، واجتمع عليه صبيانهم وسفهاؤهم ، وصاحوا به وسبّوه وطردوه ، حتى اجتمع عليه الناس يعجّبون منه ، وألجؤوه بالحجارة والطّرد والشتم إلى حائط[2] لعُتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما يومئذ في الحائط ، فلمّا دخل الحائط رجع عنه سفهاء ثقيف ، فعمد إلى ظلّ حَبَلة[3] منه فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران ويريان مالقيَ من سفهاء ثقيف .

قال الطبريّ : فلمّا اطمأنّ به قال — فيما ذُكر لي : اللهمّ إليك أشكو ضعفَ قوّتي وقلّة حيلتي وهواني على النّاس ! ياأرحمَ الراحمين ، أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربّي ، إلى من تَكِلُني ! إلى بعيد يتجهّمني ، أم إلى عدوّ ملّكتَه أمري ، فإن لم يكن منك غضب عليّ فلا أبالي ! ولكن عافيتُك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ به الظّلمات ، وصلح عليه أمرُ الدّنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبُك ، أو يحلّ عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك !

فلمّا رأى عُتبة وشيبة مالقيَ تحرّكت له رحِمُهما ، فدعَوَا غلاماً نصرانيّاً لهما ، يقال له

---

(١) في الطبري : « هو يمرط ثياب الكعبة » ، أي يمزقها
(٢) الحائط هنا : البستان
(٣) الحبلة : الكرمة

عدّاس ، فقالا له : خذ قِطْفًا[1] من هذا العنب وضعْه في ذلك الطَّبَق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، وقل له فليأكل منه ، ففعل وأقبل به حتى وضعه بين يديه ، فوضع يده فيه ، فقال : بسم الله ، وأكل ، فقال عدّاس : والله إنّ هذه الكلمة لا يقولها أهلُ هذه البلدة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : مِنْ أيّ البلاد أنت ؟ وما دينُك ؟ قال : أنا نصرانيّ من أهل نينوى ، قال : أمِنْ قرية الرجل الصالح يونس بن متّى ؟ قال : وما يدريك مَنْ يونس بن متّى ؟ قال : ذاك أخي ، كان نبيا وأنا نبيّ . فأكبّ عدّاس على يديه ورجليه ورأسه يقبّلها ، قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أمّا غلامك فقد أفسدَه عليك ، فلما جاءهما قالا : ويلك يا عدّاس ! مالك تقبّل رأسَ هذا الرجل ويديه وقدميه ! قال : ياسيّدي ، ما في الأرض خير من هذا ، فقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلّا نبيّ[2] .

***

قال الواقديّ : واستقسمت قريش بالأزلام عند هُبَل للخروج ، واستقسم أميّة بن خلف وعُتْبة وشَيْبة بالآمر والناهي ، فخرج القِدْح[3] الناهي ، فأجمعوا المقام حتى أزعجهم أبو جهل ، فقال : مااستقسمتُ ولا نتخلّف عن عيرنا .

قال الواقديّ : لما توجّه زَمْعة بن الأسود خارجا ، فكان بذى طُوًى أخرج قِداحه ، واستقسم بها فخرج النّاهي عن الخروج ، فلقي غيظا ، ثم أعادها الثانية فخرج مثل ذلك فكسرها ، وقال : مارأيت كاليوم قِدْحًا أكذب ! ومرّ به سُهَيل بن عمرو وهو على تلك الحال ، فقال : مالي أراك غضبان ياأبا حُكَيمة ؟ فأخبره زمعة ، فقال : امضِ عنك أيّها الرجل ، قد أخبرني عُمير بن وهب أنّه لقيه مثل الذي أخبرتني ، فمضوا على هذا الحديث[4] .

---

(١) القطف : عنقود العنب . وهو في الأصل : اسم لكل ما يقطف .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ (طبعة المعارف) .

(٣) القدح هنا : السهم الذي كانوا يستقسمون به . (٤) مغازي الواقدي ٢٧ .

قال الواقدىّ : وحدّثنى موسى بن ضمرة بن سعيد ، عن أبيه ، قال: قال أبو سفيان بن حرب لضمضم : إذا قدمت على قريش فقل لها : لا تستقسم بالأزلام .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، عن أبى بكر بن سُليم بن أبى خَيْثمة ، قال : سمعتُ حكيم بن حزام يقول : ماتوجّهتُ وجها قطّ كان أكرهَ إلىّ من مسيرى إلى بدر ولا بان لى فى وجه قطّ مابان لى قبل أن أخرج ، ثم قال: قدم ضمضم فصاح بالنفير فاستقسمت بالأزلام ، كلّ ذلك يخرج الذى أكره ، ثم خرجت على ذلك حتى نزلنا مَرّ الظّهران ، فنحر ابنُ الحنظليّة جَزورا منها بها حياة ، فما بقىَ خِباء من أخبية العسكر إلّا أصابه من دمها ، فكان هذا بيّن[1] ، ثم هممتُ بالرجوع ، ثم أذكر ابن الحنظليّة وشؤمه ؛ فيردّنى حتى مضيت لوجهى . وكان حكيم يقول : لقد رأينا حين بلغنا الثنيّة البيضاء — وهى الثنية التى تهبطك على فخّ وأنت مقبل من المدينة — إذا عدّاس جالس عليها ، والناس يمرّون، إذ مرّ علينا ابنا ربيعة ، فوثب إليهما ، فأخذ بأرجلهما فى غَرْزِهما ، وهو يقول : بأبى أنتما وأمّى ! والله إنّه لرسولُ الله صلى الله عليه ، وما تُساقانِ إلّا إلى مصارعكما ! وإن عينيه لتسيل دمعا على خدّيه ، فأردت أن أرجع أيضا ، ثم مضيت، ومرّ به العاص بنُ منبّه بن الحجاج ، فوقف عليه حين ولّى عُتْبة وشَيْبة ، فقال : مايبكيك ؟ قال : يبكينى سيّدى — أو سيّدا أهل[2] الوادى — يخرجان إلى مصارعهما ، ويقاتلان رسول الله صلى الله عليه وآله ! فقال العاص : وإنّ محمدا لرسول الله ! فانتفض عدّاس انتفاضة واقشعرّ جلدُه ، ثم بكى ، وقال : إى والله ، إنه لرسول الله إلى الناس كافّة . قال : فأسلم العاص بن منبه ، ومضى وهو على الشكّ ، حتى قُتِل مع المشركين على شكّ وارتياب . ويقال : رجع عدّاس ولم يشهد بدرا ، ويقال : شهد بدرا وقتل .

قال الواقدىّ : والقول الأوّل أثبت عندنا .

---

(١) فى الأصول : « بيبه » والتصويب من الواقدى .

(٢) الواقدى ٢٨ : « يبكينى سيداى وسيدا أهل الوادى »

قال الواقدي : وخرج سعد بن معاذ معتمرا قبل بدر ، فنزل على أمية بن خلف ، فأتاه أبو جهل ، وقال : أتترك هذا وقد آوى محمدا وآذننا بالحرب ! فقال سعد بن معاذ : قل ما شئت ، أما إن طريق عيركم علينا ، قال أمية بن خلف : مه ! لا تقل هذا لأبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي . قال سعد بن معاذ : وأنت تقول ذلك يا أمية ؟ أما والله لسمعت محمدا يقول : لأقتلن أمية بن خلف ، قال أمية : أنت سمعته ؟ قال سعد بن معاذ : فقلت : نعم ، قال : فوقع في نفسه ، فلما جاء النفير أبى أمية أن يخرج معهم إلى بدر ، فأتاه عقبة بن أبي معيط وأبو جهل ، ومع عقبة مجمرة فيها بخور ، ومع أبي جهل مكحلة ومرود ، فأدخلها عقبة تحته ، فقال : تبخر ، فإنما أنت امرأة ، وقال أبو جهل : اكتحل فإنما أنت امرأة . قال أمية : ابتاعوا لي أفضل بعير في الوادي ، فابتاعوا له جملا بثلاثمائة دينار من نعم بني قشير ، فغنمه المسلمون يوم بدر ، فصار في سهم خبيب[1] بن يساف .

قال الواقدي : وقالوا ما كان أحد ممن خرج إلى العير أكره للخروج من الحارث ابن عامر ، وقال : ليت قريشا تعزم على القعود وأن مالي في العير تلف ومال بني عبد مناف أيضا ، فيقال له : إنك سيد من ساداتها ، أفلا تردعها عن الخروج ؟ قال : إني أرى قريشا قد أزمعت على الخروج ، ولا أرى أحدا به طرق[2] تخلف إلا من علة ، وأنا أكره خلافها ، وما أحب أن تعلم قريش ما أقول ، على أن ابن الحنظلية رجل مشئوم على قومه ، ما أعلمه إلا يحرز قومه أهل يثرب ، ولقد قسم الحارث[3] مالا من ماله بين ولده ، ووقع في نفسه أنه لا يرجع إلى مكة ، وجاءه ضمضم بن عمرو ، وكانت للحارث عنده أياد ، فقال : أبا عامر ، إني رأيت رؤيا كرهتها ، وإني لكاليقظان على راحلتي وأراكم أن واديكم يسيل دما من أسفله إلى أعلاه ، فقال الحارث : ما خرج أحد وجها من الوجوه أكره له من وجهي هذا ، قال : يقول ضمضم : والله إني لأرى لك أن تجلس ، فقال الحارث : لو سمعت

---

(١) الواقدي ٣٩ ، وفي الأصول « حبيب » ، والصواب من الواقدي والإصابة .
(٢) طرق ، أي قوة . (٣) ساقطة من الواقدي .

هـذا منك قبل أن أخرج ماسرت خطوة ، فاطوِ هـذا الخبر أن تعلمه قريش ، فإنها تتهم كلَّ مَنْ عوقها عن المسير — وكان مخفضم قد ذكر هـذا الحديث للحارث ببطن يأجج[1] — قالوا : وكرهت قريش أهل الرأى منهم المسيرَ ، ومشى بعضهم إلى بعض ، وكان ممن أبطأ بهم عن ذلك الحارث بن عامر ، وأمية بن خلف ، وعُتْبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحكيم بن حزام وأبو البَخْترى ، وعلىّ بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه ، حتى بكّتهم أبو جهل بالجبن ، وأعانه عُقبة بن أبى مُعَيط والنضر بن الحارث بن كَلَدة ، وحضّوهم على الخروج ، وقالوا : هذا فعل النساء . فأجمعوا المسير ، وقالت قريش : لا تدَعُوا أحداً من عدوّكم خلفكم[2]

قال الواقدىّ . ومما استدلّ به على كراهة الحارث بن عامر للخروج وعُتبة وشَيْبة ، أنه ما عرض رجل منهم حُملانا ، ولا حملوا أحداً من الناس ، وإن كان الرجل ليأتيهم حليفاً أو عديداً ، ولا قوة له ، فيطلب الحملان منهم ، فيقولون : إن كان لك مال وأحببت أن تخرج فافعل وإلاّ فأقم ، حتى كانت قريش تعرف ذلك منهم .

قال الواقدىّ : فلما اجتمعت قريش إلى الخروج والمسير ، ذكروا الذى بينهم وبين بنى بَكْر من العداوة ، وخافوهم على مَنْ يخلفونه ، وكان أشدّهم خوفاً عُتْبة بن ربيعة ، وكان يقول : يامعشر قريش ، إنكم وإن ظفرتم بالذى تريدون ، فإنّا لا نأمن على مَنْ نخلّف ، إنّما نخلّف نساء ولا ذرّية ومن لا طُعم به فارتئوا آراءكم[3] ، فتصوّر لهم إبليس فى صورة سُراقة بن جعشم المدلجىّ فقال : يامعشر قريش ، قد عرفتم شرفى ومكانى فى قومى ، أنا لكم جار أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه ، فطابت نفس عُتْبة ، وقال له أبو جهل :

---

(١) الأصول : « تأجج » ، وأثبت ما فى الواقدى .

(٢) الواقدى ٣٠ (٣) الواقدى : « رأيكم » .

فما تريد ؟ هذا سيّد كنانة ، هولنا جارٌ قلِّ[1] من تخلّف ، فقال عتبة : لا شيء أنا خارج[2] .

قال الواقديّ : وكان الذى بين بنى كنانة وقريش أنّ ابناً لحفص بن الأحنف أحد بنى مُعَيط بن عامر بن لؤى ، خرج يبغى ضالّة ، وهو غلام فى رأسه ذؤابة ، وعليه حُلّة ، وكان غلاما وضيئا ، فمرّ بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح بن يعمر ، أحد رؤساء بنى كنانة — وكان بضَجْنان — فقال : مَنْ أنت يا غلام ؟ قال : ابن لحفص بن الأحنف ، فقال : يا بنى بكر ، ألكم فى قريش دم ؟ قالوا : نعم قال : ما كان رجل يقتل هذا برجله إلاّ استوفى ، فاتبعه رجلٌ من بنى بكر فقتله بدمٍ له فى قريش ؛ فتكلّمت فيه قريش ، فقال عامر ابن يزيد : قد كانت لنا فيكم دماء ، فإن شئتم فأدُّوا مالنا قبلكم ونؤدّى إليكم ما كان فينا ، وإن شئتم فإنّما هو الدّم : رجل برجل ؛ وإن شئتم فتجافوا عنّا فيما قِبَلنا ، ونتجافى عنكم فيما قبلكم . فهان ذلك الغلام على قريش ، وقالوا : صدق ! رجل برجل ؛ فلهوْا عنه أن يطلبوا بدمه ، فبينا أخوه مكرز بن حفص بمرّ الظّهران ، إذ نظر عامر بن يزيد وهو سيّد بنى بكر على جمل له ؛ فلما رآه قال : ما أطلب أثراً بعد عين ! وأناخ بعيره ، وهو متوشّح سيفَه ، فعلاه به حتى قتله ، ثم أتى مكّة من الليل ، فعلّق سيف عامر بن يزيد بأستار الكعبة ، فلما أصبحت قريش رأوْا سيف عامر بن يزيد ، فعرفوا أنّ مكرز بن حفص قتله ، وقد كانت تسمع من مكرز فى ذلك قولاً ، وجزعت بنو بكر من قتل سيّدها ، فكانت معدّة لقتل رجلين من قريش سيّدين أو ثلاثة من ساداتها ، فجاء النفير وهم على هذا الأمر ، فخافوهم على مَنْ تخلّف بمكّة من ذراريّهم ، فلما قال سراقة ما قال ، وهو ينطق بلسان إبليس شجُع القوم[3] .

---

(١) الواقدى : « علام تخلف ! » .   (٢) الواقدى ٣١ ، ٣٢ .

قال الواقدىّ : وخرجت قريش سِراعا ، وخرجوا بالقيان والدّفوف ؛ سارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب وعزّة مولاة أسود بن المطلب ، وفلانة مولاة أميّة بن خلف ، يغنّين فى كلّ منهل ، وينحرون الجُزر ، وخرجوا بالجيش يتقاذفون بالحراب ، وخرجوا بتسعمائة وخمسين مقاتلا ، وقادوا مائة فرَس ، بطراً ورئاء الناس ؛ كما ذكر الله تعالى فى كتابه[١] ؛ وأبو جهل يقول أيظنّ محمد أن يصيب منّا ما أصاب بنخلة وأصحابه ؛ سيعلم أنمنع[٢] عيرنا أم لا[٣] .

قلت : سريّة نخلة سريّة قبل بدر ، وكان أميرها عبدَ الله بن جَحْش قتل فيها عمرو ابن الحضرمىّ ، حليف بنى عَبْد شمس ، قتله واقد بن عبد الله التميمىّ ؛ رماه بسهم فقتله ، وأسر الحكم بن كَيْسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، واستاق المسلمون العير ؛ وكانت خمسمائة بعير فخمّسها رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وقسم أربعمائة فيمن شهدها من المسلمين ؛ وهم مائتا رجل ، فأصاب كلّ رجل بعيران .

قال الواقدىّ : وكانت الخيل لأهل القوّة منهم ، وكان فى بنى مخزوم منها ثلاثون فرسا ، وكانت الإبل سبعمائة بعير ، وكان أهل الخيل كلّهم دارع ، وكانوا مائة ؛ وكان فى الرّجالة دروع سوى ذلك[٣] .

قال الواقدىّ : وأقبل أبو سفيان بالعير ، وخاف هو وأصحابه خوفاً شديداً حين دنوا من المدينة ، واستبطئوا ضمضما والنفير ، فلمّا كانت الليلة التى يُصْبحون فيها على ماء بدر ، جعلت العير تقبِلُ بوجوهها إلى ماء بدر ؛ وكانوا باتوا من وراء بدر آخرَ ليلتهم ، وهم على

---

(١) ذكر الواقدى بعدها الآية : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ ٱلنَّاسِ . . . ﴾ . إلى آخر الآية .

(٢) الواقدى : « أنمنع » . (٣) الواقدى ٣٢ ، ٣٣ .

أن يُصبحوا بدرا ؛ إن لم يعترض لهم ؛ قد أقرتهم العير حتى ضربوها بالعُقُل [١] على أن بعضها ليُثْنَى بعقالين ، وهى ترجّع [٢] الحنين ، تواردا إلى ماء بدر ؛ وما إنّ بها إلى الماء من حاجة ، لقد شربت بالأمس ؛ وجعل أهل العير يقولون : إن هذا شىء ماصنعته الإبل منذ خرجنا ، قالوا : وغشينا تلك الليلة ظلمة شديدة حتى ما نبصر شيئاً [٣] .

قال الواقدىّ : وكان بسبس بن عمرو وعدىّ بن أبى الزّغباء وردا على مجدىّ بدراً يتحسّسان [٤] الخبر ، فلما نزلا ماء بدر ، أناخا راحلتيهما إلى قريب من الماء ، ثم أخذا أسقيتهما ، يستقيان من الماء ، فسمعا جاريتين من جوارى جُهينة ، يقال لإحداهما برزة وهى تلزم صاحبتها فى درهم ، كان لها عليها وصاحبتها تقول : إنما العير غداً أو بعد غد قد نزلت ؛ ومجدىّ بن عمرو يسمعها ، فقال : صدقت ، فلما سمع ذلك بسبس وعدىّ انطلقا راجعين إلى النبى صلى الله عليه وآله حتى أتياه بعرق الظبية ، فأخبراه الخبر [٣] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنىّ ، عن أبيه ، عن جدّه — وكان أحدَ البكّائين — قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : لقد سلك فجّ الرّوحاء موسى النبى عليه السلام فى سبعين ألفاً من بنى إسرائيل وصلّوا فى المسجد الذى بعرق الظّبية [٣] .

قال الواقدىّ : وهى من الرّوحاء على ميلين مما يلى المدينة ؛ إذا خرجت على يسارك .

قال الواقدىّ : وأصبح أبو سفيان ببدر ، قد تقدم العير وهو خائف من الرّصَد فقال : يامجدىّ ، هل أحسست أحداً ! تعلم والله ما بمكة قرشىّ ولا قرشية له نشّ [٦]

---

(١) العقل : جمع عقال ؛ وهو الرباط الذى تعقل به الدابة . (٢) الواقدى : « ترجع » .
(٣) الواقدى ٣٣ ، ٣٤ (٤) الواقدى : « يتحسسان » .
(٥) قال الواقدى : « وهى من الروحاء على ميلين مما يلى المدينة إذا خرجت على يسارك .
(٦) قال الواقدى : « والنش : نصف أوقية ، وزن عشرين درهما » .

فصاعداً - والنّش نصف أوقية وزن عشرين درهماً - إلّا وقد بعث به معنا! ولئن كتمتنا شأن عدوّنا لا يصالحك رجلٌ من قريش ما بلّ بحرٌ صوفة[١]. فقال مجديّ: والله ما رأيت أحداً أنكره، ولا بينك وبين يثرب من عدوّ، ولو كان بينك وبينها عدوّ لم يخفَ علينا، وما كنت لأخفيَه عنك؛ إلّا أنّي قد رأيت راكبين أتيا إلى هذا المكان - وأشار إلى مناخ عديّ وبسبس - فأناخا به، ثم استقيا بأسقيتهما، ثم انصرفا. فجاء أبو سفيان مناخهما، فأخذ أبعاراً من أبعار بعيريهما ففتّها، فإذا فيها نوًى، فقال: هذه والله علائف يثرب! هذه والله عيون محمد وأصحابه! ما أرى القوم إلا قريباً، فضرب وجه عيره فساحل[٢] بها، وترك بدراً يساراً وانطلق سريعاً، وأقبلت قريش من مكّة ينزلون كلّ منهل يطعمون الطعام مَنْ أتاهم، وينحرون الجزور، فبينا هم كذلك في مسيرهم إذ تخلّف عتبة وشيبة، وهما يتردّدان، قال أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى رؤيا عاتكة بنت عبد المطّلب! لقد خشيت[٣] منها! قال الآخر: فاذكرها! فذكرها، فأدركهما أبو جهل، فقال: ما تتحادثون به؟ قالا: نذكر رؤيا عاتكة، قال: يا عجباً من بني عبد المطّلب! لم يرضوا أن تتنبّأ علينا رجالهم حتى تنبّأت علينا النساء! أما والله لئن رجعنا إلى مكّة لنفعلنّ بهم ولنفعلنّ! قال عتبة: إنّ لهم أرحاماً وقرابة قريبة. ثم قال أحدهما لصاحبه: هل لك أن ترجع؟ قال أبو جهل: أترجعان بعد ما سرنا فتخذلان قومكما، وتقطعان بهم بعد أن رأيتم ثأركم بأعينكم! أتظنّان أنّ محمداً وأصحابه يلاقونكما! كلّا والله، إنّ معي مِنْ قومي مائة وثمانين كلّهم من أهل بيتي يُحِلّون إذا أحللت، ويرحلون إذا رحلت، فارجعا إن شئتما. قالا: والله لقد هلكت وأهلكت قومك.

ثم قال عتبة لأخيه شيبة: إن هذا رجل مشئوم - يعني أبا جهل - وإنه لا يمسّه من قرابة محمد ما يمسّنا؛ مع أنّ محمداً معه الولد فارجع بنا ودع قوله[٤].

---

(١) في اللسان: «صوفة البحر شيء على شكل هذا الصوف الحيواني واحدته صوفة، ومن الأبيات قولهم: «لا آتيك ما بلّ بحر صوفة».

(٢) ساحل بها: أخذ بها نحو الساحل.

(٣) ب: «خشيت»، وأثبت ما في أ والواقدي.

(٤) الواقدي ٣٣، ٣٥.

قلت : مراده بقوله « مع أن محمداً معه الولد » ، أبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة ، كان أسلم وشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقدىّ : فقال شيبة : والله تكون علينا سُبّة يا أبا الوليد أن نرجع الآن بعد ما سرنا فمضينا . ثم انتهى إلى الجحفة عشاء ، فنام جُهيم بن الصّلت بن مخرمة بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، فقال : إنى لأرى بين النائم واليقظان ؛ أنظرُ إلى رجل أقبل على فرس معه بعير له ، حتى وقف علىّ ، فقال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الأسود ، وأميّة بن خلف ، وأبو البخترىّ ، وأبو الحكم ، ونوفل بن خويلد ، فى رجال سمّاهم من أشراف قريش ؛ وأسر سهيل بن عمرو ، وفرّ الحارث بن هشام عن أخيه ، قال : وكأنّ قائلا يقول : والله إنى لأظنّهم الذين يخرجون إلى مصارعهم . ثم قال : أراه ضرب فى لبّة بعيره فأرسله فى العسكر ، فقال أبو جهل : وهذا نبىّ آخر من بنى عبد مناف ! ستعلم غدا مَن المقتول ، نحن أو محمد وأصحابه ! وقالت قريش لجهيم : إنما يلعب بك الشيطان فى منامك ، فسترى غداً خلافَ ما رأيت ! يُقتل أشراف محمد ويؤسرون . قال : فخلا عتبة بأخيه شيبة ، فقال له : هل لك فى الرجوع ؟ فهذه الرؤيا مثل رؤيا عاتكة ، ومثل قول عدّاس ، والله ما كذبنا عدّاس ؛ ولعمرى لئن كان محمد كاذبا إنّ فى العرب لمن يكفيناه ، ولئن كان صادقا إنّا لأسعد العرب به لَلُحمته . فقال شيبة : هو على ما تقول ؛ أفنرجع من بين أهل العسكر ؟ فجاء أبو جهل وهما على ذلك فقال : ما تريدان ؟ قالا : الرجوع ، ألا ترى إلى رؤيا عاتكة ؛ وإلى رؤيا جُهيم بن الصلت مع قول عدّاس لنا ! فقال : تخذُلان والله قومكما وتقطعان بهم . قالا : هلكت والله وأهلكت قومك ! فمضيا على ذلك .

قال الواقدىّ : فلما أفلت أبو سفيان بالعير ، ورأى أنْ قد أحرزها وأمن عليها ، أرسل إلى قريش قيسَ بن امرئ القيس — وكان مع أصحاب العير — خرج معهم من مكّة ، فأرسله أبو سفيان يأمرهم بالرجوع ، ويقول : قد نجتْ عيرُكم وأموالُكم ، فلا تحرزوا أنفسكم

أهل يثرب ، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك ، إنما خرجتم لتمنعوا عيرَكم وأموالكم ، وقد نجّاها الله . فإن أبوا عليك فلا يأبَوْن خَصْلة واحدة ؛ يردّون القيان [1] . فعالج قيس بن امرئ القيس قريشا ، فأبت الرجوع . قالوا : أمّا القيان فسنردّهن ؛ فردّوهن من الجحفة [2] .

قلت : لا أعلم مراد أبي سفيان بردّ القيان ، وهو الذي أخرجهنّ مع الجيش يوم أُحُد يحرّضن قريشا على إدراك الثأر ، ويغنّين ، ويضربن بالدفوف ، فكيف نهى عن ذلك في بدر وفعله في أُحُد ! وأقول : مَنْ تأمّل الحال علم أنّ قريشا لم يكن أن تنتصرَ يوم بدر ، لأنّ الذي خالطها من التخاذُل والتواكل وكَراهيَة الحرب وحبّ الرجوع وخوف اللقاء وخُفوق الهِمَم وفتور العزائم ، ورجوع بني زُهرة وغيرهم من الطريق ، واختلاف آرائهم في القتال ، يكفي بعضه في هلاكهم وعدم فلاحهم ، لو كانوا قد لقُوا قوما حُسَّرا ، فكيف وإنما لقُوا الأوس والخزرج ، وهم أشجع العرب ، وفيهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحَمْزة بن عبد المطلب ، وهما أشجع البَشَر ، وجماعة من المهاجرين أنجاد أبطال ، ورئيسهم محمد بن عبد الله ، رسول الله ، الداعي إلى الحق والعدل والتوحيد ، المؤيَّد بالقوة الإلهيّة ، دع ما أضيف إلى ذلك من ملائكة السماء ، كما نطق به الكتاب !

قال الواقديّ : ولحق الرسول أبا سفيان بالهَدَة — والهَدَة على سبعة أميال من عُقبة عُسفان ، على تسعة وثلاثين ميلا من مكّة — فأخبره بمضيّ قريش ، فقال : واقوماه ! هذا عمل عمرو بن هشام ، يكره أن يرجع لأنه قد ترأّس على النّاس وبغى ، والبغي منقصة وشؤم ، والله لئن أصاب أصحابُ محمد النفير ذللنا إلى أن يدخل مكّة علينا .

قال الواقديّ : وقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدرا — وكانت بدر موسما

---

(١) بعدها في الواقدي : « فإن الحرب إذا أكلت نكلت » .

(٢) الواقدي ٣٦

من مواسم العرب فى الجاهلية ، يجتمعون بها وفيها سوق ـ تسمع بنا العرب وبمسيرنا ، فنقيم على بَدْر ثلاثاً، ننحر الجُزُر ونطعم الطعام ، ونشرب الخمر ، وتعزف علينا القيان ، فلن تزال العرب تهابنا أبداً .

قال الواقدىّ : وكان الفرات بن حَيَّان العجلىّ أرسلته قريش حين فَصَلت من مكة إلى أبى سفيان بن حرب يخبره بمسيرها وفصولها ، وماقد حشدت ، فخالف أبا سفيان فى الطريق ، وذلك أنّ أبا سفيان لصق بالبحر ، ولزم الفُرات بن حيّان المحجّة ، فوافق المشركين بالجُحفة ، فسمع كلام أبى جهل ، وهو يقول : لانرجع ، فقال : مابأنفسهم عن نفسك رغبة ! وإنّ الذى يرجع بعد أن رأى ثأره من كَثَب لضعيف ، فمضى مع قريش ، فترك أبا سفيان ، وجرح يوم بَدْر جراحات كثيرة ، وهرب على قدميه ، وهو يقول : مارأيت كاليوم أمراً أنكد[1] ! إنّ ابن الحنظليّة لغير مُبارك الأمر .

قال الواقدىّ : وقال الأخنس بن شريق[2] ـ واسمه أبىّ ، وكان حليفاً لبنى زهرة : يابنى زهرة ، قد نجّى الله عِيرَكم ، وخلّص أموالكم ، ونجّى صاحبَكم مَخْرمة بن نوفل ، وإنما خرجتم لتمنعوه وماله ، وإنما محمد رجل منكم ، ابن أختكم ؛ فإن يك نبيٌّ فأنتم أسعد به ، وإن يك كاذباً يلى قتله غيركم خير من أن تلوا قتل ابن أختكم ، فارجعوا واجعلوا جُبْنها لى ، فلا حاجة لكم أن تخرجوا فى غير مايهمّكم ، ودعوا مايقوله هذا الرجل ـ يعنى أبا جهل ـ فإنه مهلِك قومَه ، سريع فى فسادهم ، فأطاعته بنو زُهرة ، وكان فيهم مُطاعاً ، وكانوا يتيمّنون به ، فقالوا : فكيف نصنع بالرجوع حتى نرجع ؟ فقال الأخنس : نسير مع القوم ، فإذا أمسيت سقطتُ عن بعيرى ، فيقولون : نُحِل[3] الأخنس ، فإذا أصبحوا فقالوا : سيروا ، فقولوا : لا نفارق صاحبنا ، حتى نعلم أحىٌّ هو أم ميت ،

---

(١) فى الأصول آكد ، وأثبت ما فى الواقدى ٣٦

(٢) الواقدىّ : « وكان أعرابياً » . (٣) الواقدى : « نهش » .

فتدفنه ،فإذا مضوا رجعنا إلى مكة . ففعلت بنو زهرة ذلك ، فلما أصبحوا بالأبواء راجعين تبيّن للناس أنّ بنى زُهرة رجعوا فلم يشهدها زُهرىّ [1] البتة ، وكانوا مائة ، وقيل : أقلّ من مائة وهو أثبت . وقال قوم : كانوا ثلثمائة ولم يثبت ذلك .

قال الواقدىّ : وقال عدى بن أبى الزغباء منحدرَه [2] من بدر إلى المدينة ؛ [وانتشرت الركاب عليه ، فجعل عدىّ يقول] [3] :

أقمْ لهـــا صدورَها يا بسْبَسُ ... إنّ مَطَايا القـــوم لا تُحَبَّسُ

وَحَمْلُها على الطَّرِيقِ أكْيَسُ ... قـد نصرَ اللهُ وفرّ الأخنسُ [4]

قال الواقدىّ . وذكر أبو بكر بن عمر بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، أنّ بنى عدىّ خرجوا من النَّفِير حتى كانوا بثنية لَفْت [5] ، فلما كان فى السَّحَر عدلوا فى الساحل منصرفين إلى مكة ، فصادفهم أبو سفيان فقال : كيف رجعتم يا بنى عدىّ ! ولا فى العير ولا فى النفير ! قالوا أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ، فرجع مَن رجع ومضى من مضى ، فلم يشهدها أحد من بنى عدىّ . ويقال : إنه لاقاهم بمرّ الظَّهران ، فقال تلك المقالة لهم .

قال الواقدىّ : وأمّا رسولُ الله صلى الله عليه وآله [*] ، فكان صبيحة أربع عشرة من شهر رمضان بعرق الظّبية ، فجاء أعرابىّ قد أقبل من تهامة ، فقال له أصحاب النبى صلى الله عليه وآله : هل لك علم بأبى سفيان بن حرب ؟ قال : مالى بأبى سفيان عِلْم ، قالوا : تعال ، فسلِّم على رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : أوفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فأيّكم رسول الله ؟ قالوا : هذا ، فقال : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قال فما فى

---

(١) الواقدى : « أحد من بنى زهرة » .
(٢) الواقدى : « فى منحدره » .
(٣) من الواقدى
(٤) الواقدى ٣٨
(٥) الواقدى : « ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

بطن ناقتي هذه إن كنت صادقاً ؟ فقال سلمة بن سلامة بن وقش : نكحتها وهي حُبلى منك ! فكره رسول الله صلى الله عليه وآله مقالته وأعرض عنه .

قال الواقدي : وسار رسولُ الله صلى الله عليه وآله حتى أتى الرَّوحاء ليلةَ الأربعاء ، للنصف من شهر رمضان ؛ فقال لأصحابه : هـذا سجاسج ـ يعني وادي الروحاء ـ هذا أفضل أودية العرب[١] .

قال الواقدي : وصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بالرَّوحاء ، فلمّا رفع رأسه من الركعة الأخيرة من وتره لعنَ الكفرة ، ودعا عليهم ، فقال : اللهمّ لا تفلتنّ أبا جهل ابن هشام فرعون هذه الأمة ، اللهمّ لا تفلتنّ زَمْعة بن الأسود ، اللهمّ أسخِنْ عين أبي زَمْعة ! اللهمّ أعمِ بصر أبي دبيلة[٢] . اللهمّ لا تفلتنّ سهيل بن عمرو ! ثم دعا لقوم من قريش ، فقال : اللهم أنجِ سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ؛ ولم يدع للوليد بن المغيرة يومئذ ؛ وأُسِر ببدر ، ولكنّه لما رجع إلى مكة بعد بدر أسلم وأراد أن يخرج إلى المدينة فحبس ، فدعا له النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك .

قال الواقدي : وكان خُبيب بن يساف رجلا شجاعا ، وكان يأبَى الإسلام ، فلما خرج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بدر خرج هو وقيس بن محرث ـ ويقال ابن الحارث ـ وهما على دين قومهما ؛ فأدركا رسول الله صلى الله عليه وآله بالعقيق ؛ وخُبيب مقنّع في الحديد ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله من تحت المغفر ، فالتفت إلى سعد بن معاذ وهو يسير إلى جنبه ، فقال : أليس بخُبيب بن يساف ؟ قال : بلى ، فأقبل خُبيب حتى أخذ

---

(١) الواقدي ٣٩ .

(٢) الواقدي : « واعم بصر أبي زمعة » .

ببطان[1] ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال له ولقيس بن محرّث : ما أخرجكما ؟ قال : كنتَ ابنَ أختنا وجارنا، وخرجنا مع قومنا للغنيمة ، فقال صلى الله عليه وآله : لا يخرجنّ معنا رجلٌ ليس على ديننا ، فقال خُبَيب : لقد علم قومى أنّى عظيم الغَناء فى الحرب ، شديد النِّكاية ، فأقاتل معك للغنيمة ولا أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا ولكن أسلِمْ ثم قاتل ؛ فلمّا كان بالروحاء جاء فقال : يارسولَ الله ، أسلمت لربّ العالمين ، وشهدت أنّك رسول الله ، فسرّ بذلك ، وقال : امضه ، فكان عظيم الغَناء فى بدر وفى غير بدر . وأمّا قيس بن الحارث فأبى أن يُسلِم ، ورجع إلى المدينة ، فلما قدم النبيّ صلى الله عليه وآله من بدر أسلم وشهد أحُدا فقتل .

قال الواقدىّ : ولما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله صامَ يوما أو يومين ، ثم نادى مناديه : يامعشرَ العصاة ، إنّى مفطر ، فأفطِرُوا ؛ وذلك أنّه قد كان قال لهم قبل ذلك : أفطروا فلم يفعلوا[2] .

قلت : هـذا هو سرّ النبوّة وخاصّيتها ؛ إذا تأمّل المتأملون ذلك ، وهو أن يبلغ بهم حبُّه وطاعتهُ وقبولُ قوله على أن يكلّفهم مايشقّ عليهم فيمتثلوه امتثالا صادرا عن حبّ شديد وحرص عظيم على الطاعة ، حتى إنّه ليسمحه عنهم ويسقط وجوبَه عليهم ، فيكرهون ذلك ولا يُسقطونه عن أنفسهم ، إلاّ بعد الإنكار التامّ ؛ وهذا أحسن من المعجزات الخارقة للعادات ، بل هـذا بعينه معجزة خارقة للعادة أقوى وآكد من شقّ البحر وقلب العصا حيّة !

قال الواقدىّ : ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وآله حتى إذا كان دُوَين بدر ، أتاه الخبر بمسير قريش ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسيرهم ، واستشار النّاس

---

(١) البطان : حزام القتب .

(٢) الواقدى ٤٠ ، ٤١ .

فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قال : يارسولَ الله ؟ إنها قريش وعزّها والله ماذلّت منذ عزّت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزّها أبداً ، ولتقاتلنّك فاتّهب لذلك أهبته ، وأعدّ عدّته ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يارسولَ الله لأمر الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيّها : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، والذى بعثك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى برك الغماد لسرنا .

قال الواقدى : برك الغِمَاد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلى البحر ، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن .

فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله خيراً ، ودعا له بخير ، ثم قال صلى الله عليه وآله : أشيروا علىّ أيها الناس ـ وإنما يريد الأنصار ، وكان يظن أنّ الأنصار لا تنصره إلاّ فى الدار ، وذلك أنهم شرطوا أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أشيرُوا علىّ ، فقام سعد بن مُعاذ ، فقال : أنا أجيب عن الأنصار ، كأنك يارسولَ الله تريدنا ! قال : أجل ، قال : إنك عسى أن تكون خرجت عن أمرٍ قد أوحِىَ إليك ، وإنا قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ماجئت به حقّ ، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة ، فامض يانبىّ الله لما أردت ، فوالذى بعثك بالحقّ لو استعرضتَ بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك مابقىَ منّا رجل ، وصِلْ مَنْ شئت ، وخذ من أموالنا ماأردت ، فما أخذته من أموالنا أحبُّ إلينا مما تركتَ ، والذى نفسى بيده ما سلكت هذه الطريق قطّ ، ومالى بها من علم ، وإنا لا نكره أن نلقى عدوّنا غداً ؛ إنا لصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا بعضَ ماتقرّ به عينك[1] .

---

(١) الواقدى ٤٤ وفيه : « ما تقربه عينك » .

قال الواقدىّ : وحدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد قال : قال سعد بن مُعاذ يومئذ : يارسولَ الله ، إنا قد خلّفنا من قومنا قوماً ما نحنُ بأشدَّ حبًّا لك منهم ، ولا أطوعَ لك رغبة ونيّة فى الجهاد ، ولو ظنّوا أنك يارسولَ الله ملاقٍ عدوًّا ماتخلّفوا عنك ، ولكن إنما ظنوا أنها العير . نبنى لك عريشا ، فتكونُ فيه ونُعِدّ عندك رواحلك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن تكن الأخرى ، جلستَ على رواحلك ، فلحقت مَنْ وراءنا . فقال له النبىّ صلى الله عليه وآله خيرا ، ثم قال : أو يقضى الله خيرا ياسعد[1] !

قال الواقدىّ : فلمّا فرغ سعد من المشُورة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سيرُوا على بَرَكةِ الله ، فإنّ الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنّى أنظر إلى مصارع القوم .

قال الواقدىّ : وقالوا . لقد أرانا رسول الله صلى الله عليه وآله مصارعَهم يومئذ ، هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عدا كلّ رجل منهم مصرعه ، قال : فعلم القوم أنهم يلاقون القتال ، وأنّ العير تفلّتْ ، ورجا القوم النّصر لقول النبى صلى الله عليه وآله[1] .

قال الواقدىّ : ومن يومئذ عَقَد رسول الله صلى الله عليه وآله الألوية ، وكانت ثلاثة ، وأظهر السّلاح ، وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود ، وسار فلقىَ سُفيان الضَّمرىّ ، ومع رسول الله صلى الله عليه وآله قتادة بن النعمان ومعاذ بن جبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من الرجل ؟ فقال الضّمرىّ : بل مَنْ أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : تخبرُنا ونخبرك ، فقال الضّمرى : وذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الضَّمْرىّ : فاسألوا عمّا شئتم . فقال له صلى الله عليه وآله : أخبرنا عن قُريش ، قال الضّمرىّ : بلغنى أنهم خرجوا يوم كذا من مكة ، فإن كان الخبر صدقا ، فإنهم بجنْب هـذا الوادى ، ثم قال

(١) مغازى الواقدى ٤٥

الضَّمْرى: فمن أنتم؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله: نحن مِنْ ماء، وأشار بيده نحو العِراق، فجعل الضَّمْرِىّ يقول: من ماء، من أى ماء؟ من العراق أم من غيره؟ ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى أصحابه.

قال الواقدىّ: فبات الفريقان كلٌّ منهم لا يعلم بمنزل صاحبه، إنما بينهم قَوْز[1] من رمل[2].

قال الواقدىّ: ومرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بجبلين، فسأل عنهما فقالوا: هذا مُسْلِح[3] ومُخْرِئ، فقال: مَنْ ساكنهما؟ فقيل: بنو النّار وبنو حرّاق، فانصرف عنهما وجعلهما يساراً[4]، ولقيه بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء فأخبراه خبرَ قريش، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وادى بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، فبعث عليا عليه السلام والزّبير وسعد بن أبى وقاص وبَسْبَس بن عمرو يتحسّسون[5] على الماء، وأشار لهم إلى ظُرَيْب[6]، وقال: أرجو أن تجدوا الخبر عند القليب الذى[7] يلى هذا الظُّرَيْب[8]، فاندفعوا تلقاءه، فوجدوا على تلك القليب رَوايا قريش فيها سُقاؤهم، فأسروهم، وأفلت بعضهم، فكان ممن عرف أنه أفلت عجير، فكان أوّلَ مَنْ جاء قريشا بخبر النبى صلى الله عليه وآله وأصحابه، فنادى: يا آل غالب! هذا ابنُ أبى كبشة وأصحابه، وقد أخذوا سُقاءكم، فماج العسكر وكرهوا ما جاء به[9].

(١) القوز من الرمل: الهالى كأنه جبل، وتشبه به أرداف النساء.

(٢) الواقدى ٤٦، وبعدها: «وكان قد صلى بالدبة، ثم صلى بسير، ثم صلى بذات أجدال، صلى بخيف عين العلا، ثم صلى بالخبيرتين، ثم نظر إلى جبلين...»

(٣) الأصول: «مصلح»، والتصويب من الواقدى.

(٤) الواقدى: «فانصرف من عند الخبيرتين، فمضى حتى قطع الخيوف، وجعلها يساره حتى سلك فى المعرضة».

(٥) كذا فى الواقدى: وفى الأصول «يتحسسون» بالحاء، تصحيف.

(٦) كذا فى الواقدى.

(٧) الأصول: «التى»، والتصويب من الواقدى.

(٨) قال الواقدى: «والقليب: بئر بأصل الظريب، والظريب: جبل صغير».

(٩) الواقدى ٤٦، ٤٧.

قال الواقدي: فكان حكيم بن حزام يحدّث، قال: كنّا يومئذ في خباء لنا على جَزُور نشوي من لحمها، فما هو إلا أن سمعنا الخبر، فامتنع الطعام منّا، ولقي بعضنا بعضاً، ولقيني عُتْبة بن ربيعة، فقال: يا أبا خالد، ما أعلم أحداً يسير أعجب من مسيرنا، إنّ عيرنا قد نجت، وإنا جئنا إلى قوم في بلادهم بغياً عليهم، فقلت: أراه لأمر حُمّ، ولا رأي لمن لا يطاع! هذا شؤم ابن الحنظلية، فقال عتبة: أبا خالد، أتخاف أن تبيّتنا القوم؟ قلت: لأنت آمن من ذلك، قال: فما الرأي يا أبا خالد؟ قلت: نتحارس حتى نصبح وترون رأيكم.

قال عتبة: هذا الرأي، قال: فتحارسنا حتى أصبحنا، فقال أبو جهل: هذا عن أمر عتبة كره قتال محمد وأصحابه، إنّ هذا لهو العجب، أتظنون أنّ محمداً وأصحابه يعترضون لجمعكم! والله لأنتحين ناحية بقومي فلا يحرسنا أحد، فتنحّى ناحية، وإنّ السماء لتمطر عليه، قال: يقول عتبة: إنّ هذا لهو النَّكَد[1].

قال الواقدي: أخذ من السُّقاة من علي لقيتُ يسار غلام سعيد بن العاص، وأسلم غلام منبّه بن الحجاج، وأبو رافع غلام أميّة بن خلف، فأُتي بهم النبيّ صلى الله عليه وآله وهو قائم يصلّي، فسألهم المسلمون، فقالوا: نحن سُقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهم، ورجوا أن يكونوا لأبي سفيان وأصحاب العير، فضربوهم، فلمّا أذلقوهم[2] بالضرب، قالوا: نحن لأبي سفيان، ونحن في العير، وهذا العير بهذا القوز، فكانوا إذا قالوا ذلك يُمسكون عن ضربهم، فسلّم رسول الله صلى الله عليه وآله من صلاته، ثم قال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم! فقال أصحابه عليه السلام: إنهم يا رسول الله يقولون: إنّ قريشاً قد جاءت، فقال: لقد صدقوكم! خرجت قريش تمنع عيرها وخافوكم عليها، ثم أقبل صلى الله عليه وآله على السُّقاة، فقال: أين

---

(١) الواقدي ٤٧

(٢) أذلقوهم: أوجعوهم ضرباً

قريش ؟ فقالوا : خلف هذا الكثيب الذي ترى . قال : كم هم ؟ قالوا : كثير ، قال : كم عددهم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : كم ينحرون ؟ قالوا : يوما عشرة ويوما تسعة ، فقال: القوم ما بين الألف والتسعمائة ، ثم قال للسُّقاة : كم خرج من أهل مكة ؟ قالوا : لم يبق أحدٌ به طعم إلا خرج ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس ، فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها ، ثم سألهم رسول الله صلى الله عليه وآله : هل رجع منهم أحد ؟ قالوا : نعم رجع ابن أبي شريق ببني زهرة ، فقال صلى الله عليه وآله : راشدهم[1] ، وما كان برشيد، وإن كان ما علمتُ لمعادياً لله ولكتابه . ثم قال : فأحدٌ غيرهم ؟ قالوا : نعم بنو عدي بن كعب، فتركهم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال لأصحابه : أشيروا عليّ في المنزل ، فقال الحباب بن المنذر : يارسول الله ، أرأيت منزلك هذا ، أهو منزل أنزلكه الله ، فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأيُ والحرب والمكيدة ، قال : فإنّ هذا ليس بمنزل ! انطلق بنا إلى أدنى مياه القوم ، فإني عالم بها وبقُلُبها ، فإن بها قَليباً قد عرفت عذوبة مائه، وماؤها كثير لا ينزح ، ثم نبني عليها حوضاً ، ونقذف فيها بالآنية فنشرب ، ونقاتل ، ونعوِّر[2] ما سواها من القُلُب .

قال الواقدي : فكان ابن عباس يقول : نزل جبريل عَلَى النبي صلى الله عليه وآله فقال : الرأي ما أشار به الحُباب فقال : ياحباب، أشرت بالرأي ، ونهض ، وفعل كلّ ذلك[3]

قال الواقدي : وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهساً ، أي كثير الرمل ، فأصاب المسلمين ما لبّد الأرض ولم يمنعهم من مسير، وأصاب قريشاً ما لم يقدروا معه أن يرتحلوا منه ، وإنما بين الطائفتين قَوْز من رمل .

قال الواقدي : وأصاب المسلمين تلك الليلة نُعاس أُلقيَ عليهم ، فناموا ولم يصبهم من المطر ما يؤذيهم .

---

(١) الواقدي : « أرشدهم » .

(٢) يقال : عوّر بئراً إذا كبسها بالتراب

(٣) الواقدي ٤٨

قال الزبير بن العوام : لقد سلّط الله عليهم النعاس تلك الليلة ، حتى إني كنت لأتشدّد ، والنعاس يجلد بي الأرض فما أطيق إلا ذلك ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه على مثل تلك الحال . وقال سعدُ بن أبي وقاص : لقد رأيتني ، وإن ذقني بين ثديي ، فما أشعر حتى أقع على جنبي .

وقال رفاعة بن رافع بن مالك : لقد غشيني النوم ، فاحتلمت حتى اغتسلت آخر الليل[1] .

قال الواقدي : فلمّا تحوّل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المنزل بعد أن أخذ السقاء ، أرسل عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ، فأطافا بالقوم ، ثم رجعا إليه فقالا له : يا رسول الله ، القوم مذعورون فزعون ، إن الفرس ليريد أن يصهل فيضرب وجهه ، مع أن السماء تَسُحّ عليهم[2] .

قال الواقدي : فلمّا أصبحوا قال منبّه بن الحجاج — وكان رجلا يبصر الأثر — : هذا والله أثرُ ابن سُميّة ، وابن أم عبد ، أعرفهما ، لقد جاءنا محمد بسفهائنا وسفهاء أهل يثرب ، ثم قال :

لم يترك الجوع لنا مبيتا ... لا بدّ أن نموت أو نُميتا[3]

يا معشر قريش ، انظروا غداً إن لقينا محمداً وأصحابه ، فابقوا على شبانكم وفتيانكم ،

---

(١) الواقدي ٤٩ ، ٥٠ . (٢) الواقدي ٥٠ .

(٣) بعدها في الواقدي : قال أبو عبد الله : فذكرت [illegible] بن الحجاج

* لم يترك الجوع لنا مبيتا *

محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة ، فقال : لعمري لقد كانوا شباعاً ؟ لقد أخبرني أبي أنه سمع نوفل بن معاوية يقول : نحرنا تلك الليلة عشر جزائر ، فنحن في خباء من أخبيتهم ، فنحن نشوي السنام والكبد وطيبة اللحم ، ونحن نخاف من البيات ، فنحن نتحارس إلى أن أضاء الفجر ، فأسمع منبّهاً يقول بعد أن أسفر : هذا أثر ابن سمية وابن مسعود ، وأسمعه يقول :

لِم يترك الجوعُ لنا مبيتا ... لا بدّ أن نموتَ أو نُميتا

بأهل يثرب ، فإنا إن نرجع بهم إلى مكة يبصروا من ضلالتهم مافارقوا من دين آبائهم [(١)] .

قال الواقدي : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله على القليب بُني له عريش من جريد ، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشحًا سيفه ، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر [(١)] .

قلت : لأعجبُ من أمر العريش ، من أين كان لهم ، أو معهم من سعف النخل مايبنون به عريشا ، وليس تلك الأرض — أعني أرض بدر — أرض نخل ؛ والذي كان معهم من سعف النخل يجري مجرى السلاح كان يسيرا جدا ! قيل إنه كان بأيدي سبعة منهم سعاف عوض السيوف ، والباقون كانوا بالسيوف والسهام والقسي ، هـذا قول شاذ ، والصحيح أنه ماخلا أحدٌ منهم عن سلاح ، اللهم إلا أن يكون معهم سعفات يسيرة ، وظلل عليها بثوب أو ستر ، وإلا فلا أرى لبناء عريش من جريد النخل هناك وجها !

قال الواقدي : وصف رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه قبل أن تنزل قريش ، فطلعت قريش ورسول الله صلى الله عليه وآله يصفُّ أصحابه ، وقد أترعوا حوضًا يفرطون فيه من السحر ، وقذفت فيه الآنية ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله رايته إلى مصعب بن عمير ، فتقدم بها إلى الموضع الذي أمره أن يضعها ، ووقف رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلى الصفوف ، فاستقبل المغرب ، وجعل الشمس خلفه ، وأقبل المشركون ، فاستقبلوا الشمس ، ونزل بالعدوة الدنيا من الوادي ، ونزلوا بالعدوة [(٢)] اليمانية ، وهي القصوى ، وجاءه رجل من أصحابه فقال : يارسول الله ، إن كان هذا عن وحي نزل لك فامض له ، وإلا فإني

---

(١) الواقدي ٥٠

(٢) في الواقدي : « عدوتا النهر والوادي : جنباه » .

أرى أن تملئوا الوادى ؛ فإنى أرى ريحاً قد هاجت من أعلاها ، وأراها بعثت بنصرك . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : « قد صممت صفوفى ووضعت رايتى ، فلا أغيّر ذلك » ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأمدَّه الله بملائكة[1] .

قال الواقدىّ : وروى عروة بن الزبير ، قال : عدّل رسول الله صلى الله عليه وآله الصّفوف يومئذ ، فتقدم سواد بن غَزِيّة أمام الصفّ ، فدفع النبى صلى الله عليه وآله بقِدْح فى بطنه ، وقال : استو يا سواد ، فقال : أوجعتنى والذى بعثك بالحقّ ، أقِدْنى ، فكشف صلى الله عليه وآله عن بطنه ، وقال : استقِدْ ، فاعتنقه وقبّله ، فقال : ما حملك على ما صنعت؟ قال : حَضَر يا رسول الله من أمر الله ما قد ترى ، وخشيت القتل ، فأردت أن يكون آخرَ عهدى بك ، وأن أعتنقك[2] .

قال الواقدىّ : فحدثنى موسى بن يعقوب ، عن أبى الحويرث ، عن محمد بن جبير بن مُطعِم ، عن رجل من بنى أَوْد قال : سمعت عليًّا عليه السلام يخطب على منبر الكوفة ، ويقول بينا أنا أميح[3] فى قَلِيب بدر جاءت ريح لم أرَ مثلها قطّ شدّة ، ثم ذهبت فجاءت أخرى لم أرَ مثلها إلا التى كانت قبلها ، ثم جاءت ريح أخرى لم أرَ مثلها إلا الأُولَيَيْن ، فكانت الأولى جبريل فى ألف مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، والثانية ميكائيل فى ألف عن ميمنته ، والثالثة إسرافيل فى ألف عن مَيْسرته ، فلمّا هزم الله أعداءه ، حملنى رسول الله صلى الله عليه وآله على فرس ، فجرتْ بى ، فلمّا جرتْ بى خررتُ على عنقهما ، فدعوت ربّى ، فأمسكنى حتى استويتُ ، ومالى وللخيل ، وإنما كنت صاحب الغَنَم ، فلما استويت طعنت فيهم بيدى هذه حتى اختضبت منى[4] ذى – يعنى إبطه[5] –

(١) فى الواقدى ٥١ : « فنزل عليه جبريل » : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ، بعضهم على إثر بعض .   (٢) الواقدى ٥٢

(٣) فى الأصول : « أمتح » . وفى الواقدى : « أميح يعنى أستقى ، وهو من نزع الدلاء ، وهو المتح أيضاً » .   (٤) الواقدى : « ذه » .   (٥) الواقدى ٥٢ ، ٥٣

قلت : أكثر الرواة يروُونه: «فحملنى رسول الله على فرسه»، والصحيح ما ذكرناه ، لأنه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله فرس يوم بدر ، وإنما حضرها راكب بعير ، ولكنه لمّا اصطدم الصفّان ، وقتل قوم من فرسان المشركين ، حمل رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام على بعض الخيل المأخوذة منهم .

قال الواقدىّ : قالوا : كان على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ، وكان على ميسرته على بن أبى طالب عليه السلام ، وكان على ميمنة قريش هُبيرة بن أبى وهب المخزومى ، وعلى ميسرتهم عمرو بن عبد ودّ . قيل : كان زمعة بن الأسود على ميسرتهم ، وقيل : بل كان على خيل المشركين ، وقيل : الذى كان على الخيل الحارث بن هشام ، وقال قوم : لم يكن هبيرة على الميمنة ، بل كان عليها الحارث بن عامر بن نوفل [1] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمد بن صالح عن يزيد بن رُومان وابن أبى حبيبة ، قالا : ما كان على ميمنة النبى صلى الله عليه وآله يوم بدر ولا على ميسرته أحدٌ يسمّى ، وكذلك ميمنة المشركين وميسرتهم ما سمعنا فيها بأحد [1] .

قال الواقدىّ : وهذا هو الثّبت عندنا قال : وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مُصعب بن عمير ، ولواء الخزرج مع الحُباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ ، وكان مع قريش ثلاثة ألوية ، لواء مع أبى عزيز ، ولواء مع المنذر بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبى طلحة [1] .

قال الواقدىّ : وخطب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين يومئذ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنى أحثّكم على ما حثّكم الله عليه ، وأنهاكم عمّا نهاكم الله عنه فإنّ الله عظيمٌ شأنه ، يأمر بالحقّ ، ويحبّ الصدق ، ويعطى على الخير أهله على منازلهم عنده

(١) الواقدى ٥٣ ، ٥٤

به يذكرون ، وبه يتفاضلون ، وإنكم أصبحتم بمنزل من منازل الحق؛ لا يقبل الله فيه من من أحد إلا ماابتغى به وجهه . وإن الصبر فى البأس مما يفرّج الله به الهمّ ، وينجّى به من الغمّ ، تدركون به النجاة فى الآخرة، فيكم نبىّ الله يحذركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله على شئ من أمركم يمقتكم عليه ، فإنه تعالى يقول : ﴿لمقتُ الله أكبرُ من مقتكم أنفسكم﴾[1] ؛ انظروا إلى الذى أمركم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وما أعزّكم به بعد الذّلة ، فاستمسكوا به يرضَ ربكم عنكم ، وابلوا ربكم فى هذه المواطن أمرا تستوجبوا به الذى وَعَدكم من رحمته ومغفرته ، فإنّ وعده حقّ ، وقوله صدق ؛ وعقابه شديد ، وإنما أنا وأنتم بالله الحىّ القيّوم ، إليه ألجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا، وعليه توكّلنا ، وإليه المصير ، ويغفر الله لى وللمسلمين[2] .

قال الواقدىّ . ولمّا رأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله قريشاً تصوّبت من الوادى ، وكان أوّل مَنْ طلع زَمْعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه ، فاستجال بفرسه، يريد أن يبوّئ للقوم منزلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهمّ إنك أنزلتَ علىّ الكتاب ، وأمرتنى بالقتال ، ووعدتَنى إحدى الطائفتين ، وأنت لاتخلف الميعاد . اللهمّ هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادُّك وتكذّب رسولك . اللهمّ نصرك الذى وعدتنى ، اللهمّ أحِنْهم الغداة ! وطلع عُتبة بن ربيعة على جَمَلٍ أحمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنْ يكُ فى أحدٍ من القوم خيرٌ ففى صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشُدوا .

قال الواقدىّ : وكان إيماء بن رَحَضَة قد بعث إلى قريش ابناً له بعشر جزائر حين مرّوا به أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن يمدّكم بسلاح ورجال فإنّا معدّون لذلك ، مؤدون فعلنا ، فأرسلوا : أن وصلتْك رحِم ، قد قضيتَ الذى عليك ، ولعمرى إن

---

(١) سورة غافر ١٠ (٢) مغازى الواقدى ٥٣

كنّا إنّما نقاتل الناس مابنا ضعف عنهم ؛ ولئن كنّا نقاتل الله بزعم محمد ، فما لأحدٍ بالله طاقة [١] .

قال الواقدي : فروى خفاف بن إيماء بن رحضة ، قال : كان أبي ليس شيء أحبّ إليه من إصلاح بين الناس ، موكّلًا بذلك ؛ فلما مرّت به قريش أرسلني بجزائر عشر هدية لها ، فأقبلتُ أسوقها ، وتبعني أبي ، فدفعتها إلى قريش فقبلوها ووزّعوها في القبائل ، فمرّ أبي على عُتبة بن ربيعة ، وهو سيّد الناس يومئذ ، فقال : يا أبا الوليد ، ما هذا المسير ؟ قال : لا أدري والله غُلبت ، قال : فأنت سيّد العشيرة ، فما يمنعك أن ترجع بالناس ، وتحمل دم حليفك ، وتحمل العير التي أصابوا بنخلة ، فتوزّعها على قومك ! فوالله مايطلبون قبل محمد إلا هذا ؛ والله يا أبا الوليد ماتقتلون بمحمد وأصحابه إلّا أنفسكم [٢] !

قال الواقديّ : وحدّثني ابن أبي الزّناد ، عن أبيه ، قال : ما سمعنا بأحدٍ ساد بغير مالٍ إلا عتبة بن ربيعة [٢] .

قال الواقديّ : وروى محمد بن جبير بن مطعم ، قال : لما نزل القومُ أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب إلى قريش ، فقال : ارجعوا ؛ فلأن يلي هذا الأمرَ منّي غيرُكم أحبُّ إليّ من أن تلوه منّي ؛ وأن أليه من غيركم أحبُّ إليّ من أن أليه منكم ، فقال حكيم بن حزام : قد عرض نَصَفًا ، فاقبلوه [٣] ؛ والله لا تُنصَرون عليه بعد أن عرض عليكم من النَّصَف ماعرض . وقال أبو جهل : لا نرجع بعد أن أمكننا الله منهم ، ولا نطلب أثرًا بعد عَيْن ، ولا يعرض [٤] لعيرنا بعد هذا أبدًا .

قال الواقديّ : وأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوضَ ، منهم حكيم بن حزام ، فأراد المسلمون تنحيتهم [٥] عنه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : دعوهم ؛ فوردُوا الماء ،

---

(١) مغازي الواقدي ٥٥ .

(٢) في نفس ٥٦ .

(٣) الواقدي : « فاقبلوه » .

(٤) الواقدي : « يعترض » .

(٥) أبو فيدي . « تحليتهم » ، قال : « يعني طردهم » .

فشربوا ، فلم يشرب منهم أحد إلّا قتل ؛ إلّا ما كان من حكيم بن حزام[1] .

قال الواقدىّ : فكان سعيد بن المسيّب ، يقول : نجا حكيم من الدّهر مرتين ، لما أراد الله تعالى به من الخير ، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله على نفر من المشركين وهم جلوس يريدونه ، فقرأ « يس » ؛ ونثر على رءوسهم التراب ، فما أفلت منهم أحدٌ إلّا قتل ، ماعدا حكيم بن حزام . وورد الحوض يوم بدر مع مَنْ ورده من المشركين ، فما ورده إلا من قتل إلا حكيم بن حزام .

قال الواقدىّ : فلمّا اطمأنّ القوم بعثوا عُمير بن وهب الجُمحىّ ، وكان صاحب قِداح ، فقالوا : أحزُرْ[2] لنا محمدا وأصحابه ، فاستجال بفرسه حول العسكر ، وصوّب فى الوادى وصعّد ، يقول : عسى أن يكون لهم مدد أو كمين ! ثم رجع فقال : لا مدد ولا كمين ، والقوم ثلثمائة ، إن زادوا قليلا ، ومعهم سبعون بعيرا ومعهم فرسان ، ثم قال : يامعشرَ قريش ، البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قوم ليس لهم مَنَعة ولا ملجأ إلّا سيوفهم ؛ ألا تروْنهم خُرْساً لا يتكلّمون ، يتلمّظون تلمّظ الأفاعى ! والله ماأرى أن يقتل منهم رجل حتى يقتل رجلًا ، فإذا أصابوا منكم عددهم ؛ فما خيرٌ فى العيش بعد ذلك ! فرَوْا رأيكم[3] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى يونس بن محمد الظّفرىّ ، عن أبيه ، أنه قال : لما قال لهم عُمير بن وهب هذه المقالة ، أرسلوا أبا أسامة الجُشَمىّ ، وكان فارسا ، فأطاف بالنبىّ صلى الله عليه وآله وأصحابه ، ثم رجع إليهم ، فقالوا له : ما رأيت ؟ قال : والله ما رأيتُ جَلَداً ولا عددا ولا حَلْقة[4] ولا كُراعا ، ولكنّى والله رأيت قوماً لا يريدون أن يؤوبوا إلى أهليهم ! رأيت قوما مستميتين ، ليست معهم مَنَعة ولا ملجأٌ إلا سيوفهم ، زُرْق العيون ،

---

(١) الواقدى ٥٦ .

(٢) فى الأصول : « احتر » تصحيف .

(٣) الواقدى ٥٩ .

(٤) الحلقة هنا : السلاح .

كأنهم الحصا تحت الجحَف [١] ، ثم قال : أخشى أن يكون لهم كمين أو مدد ، فصوّب في الوادي ثم صعّد ، ثم رجع إليهم ، فقال : لا كمين ولا مَدد ! فروْا رأيكم [٢] .

قال الواقديّ : ولما سمع حكيم بن حزام ما قال عُمير بن وهب ، مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، أنت كبير قريش وسيّدها والمطاع فيها ، فهل لك ألّا تزال تُذكر فيها بخير آخر الدهر ، مع ما فعلت يوم عُكاظ ! وعتبة يومئذ رئيس الناس ، فقال : وما ذاك يا أبا خالد ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دم حليفك ، وما أصابه محمد من تلك العير ببطن نخلة ، إنكم لا تطلبون من محمد شيئاً غير هذا الدّم والعير ، فقال عتبة : قد فعلت ، وأنت عليّ بذلك . ثم جلس عتبة على جمله ، فسار في المشركين من قريش يقول : يا قوم أطيعوني ، ولا تقاتلوا هذا الرجل وأصحابه ، واعصبوا هذا الأمر برأسي ، واجعلوا جبنها [٣] فيّ ، فإن منهم رجالا قرابتهم قريبة ؛ ولا يزال الرجل منكم ينظر إلى قاتل أبيه وأخيه فيورث ذلك بينكم شحناء وأضغانا ، ولن تخلصوا إلى قتلهم حتى يصيبوا منكم عددهم ، مع أنه لا آمن أن تكون الدائرة عليكم ، وأنتم لا تطلبون إلّا دمَ القتيل منكم ، والعير التي أصيبت ، وأنا أحتمل ذلك ، وهو عليّ يا قوم ؛ إن يك محمد كاذبا يكفيكموه ذؤبان العرب ، وإن يك مَلِكا كنتم في ملك ابن أخيكم ، وإن يك نبيًّا كنتم أسعدَ الناس به ! يا قوم لا تردُّوا نصيحتي ، ولا تسفّهوا رأيي . فحسده أبو جهل حين سمع خطبته ، وقال : إن يرجع النّاس عن خطبة عتبة يكن سيّد الجماعة ، وكان عتبة أنطقَ الناس ، وأطولهم لسانا ، وأجملهم جمالًا ، ثم قال عتبة لهم : أنشدكم الله في هذه الوجوه التي كأنها المصابيح ، أن تجعلوها أندادا لهذه الوجوه التي كأنّها وجوهُ الحيّات ! فلما فرغ عتبة من كلامه قال أبو جهل : إنّ عتبة يشير عليكم بهذا

---

(١) الجحف : التروس .

(٢) مغازي الواقديّ ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) في الأصول : « جبنها » ، وأثبت ما في الواقدي .

لأنّ محمدا ابن عمه ، وهو يكره أن يقتل ابنه وابن عمه ، امتلأ والله سَحْرُك يا عتبة وجُبُنت حين التقت حَلْقتا البطان [1] . الآن تخذّل بيننا وتأمرنا بالرجوع ! لا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد . فغضب عتبة ، فقال : يامصفّر استه ، ستعلم أيّنا أجبن وألأم ! وستعلم قريش من الجبان المفسد لقومه ! وأنشد :

هــــذا جنايَ وخياره فيه   وكلّ جانٍ يده إلى فيه [2]

قال الواقدىّ : وذهب أبو جهل إلى عامر بن الحضرمىّ ، أخي عمرو بن الحضرمىّ المقتول بنخلة ، فقال له : هذا حليفك ـ يعني عتبة ـ يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، ويخذّل بين الناس ! قد تحمل دم أخيك ، وزعم أنك قابل الدّية ، ألا تستحي ؟ تقبل الدية وقد قدرت على قاتل أخيك ! قم فانشد خفرتك ؛ فقام عامر بن الحضرمىّ فاكتشف [3] ، ثم حثا على استه التراب ، وصرخ : واعمراه ! يخزّى بذلك عتبة ؛ لأنه حليفه من بين قريش ؛ فأفسد على الناس الرأيَ الذي دعاهم إليه عُتبة ، وحلف عامر لا يرجع حتّى يقتل من أصحاب محمد . وقال أبو جهل لعُمير بن وهب : حرّش بين الناس ، فحمل عمير فناوش المسلمين ، لأن ينقض الصف ، فثبت المسلمون على صفّهم ، ولم يزولوا ، وتقدّم ابن الحضرمى فشدّ على القوم ، فنشبت الحرب [4] .

قال الواقدىّ : فروى نافع بن جبير عن حكيم بن حزام ، قال : ما أفسد الرأى أبو جهل على الناس ، وحرّش بينهم عامر بن الحضرمىّ فأقحم فرسه ، كان أوّل من خرج إليه من المسلمين مهجّع مولى عمر بن الخطاب ، فقتله عامر ، وكان أوّل قتيل قتل من الأنصار حارثة ابن سراقة ، قتله حبان بن العرقة [5] .

قال الواقدىّ : وقال عمر بن الخطاب فى مجلس ولايته : يا عميرَ بن وهب ، أنت

---

(١) حلقتا البطان ، كناية عن اشتداد الأمر.
(٢) مغازى الواقدى ٥٨ ، ٥٩
(٣) اكتشف : تعرى
(٤) الواقدى ٥٩
(٥) الواقدى ٦٠ . « ويقال : عمير بن الحمام ، قتله خالد بن الأعلم العقيلى » .

حاذَرْنا للمشركين يوم بدر ، نصعّد في الوادي ونصوّب ، كأنّي انظر إلى فرسك تحمك تحبير المشركين أنه لا كمين لنا ولا مدد ! قال : إي والله يا أمير المؤمنين ، وأخرى ، أنا والله الذي حرّشت بين الناس يومئذ ، ولكن الله خاذلنا بالإسلام ، وهدانا له ؛ وما كان فينا من الشّرك أعظم من ذلك ، قال عمر : صدقت[١] .

قال الواقدي : وكان عتبة بن ربيعة كلّم حكيم بن حزام ، وقال : ليس عند أحد خلاف إلا عند ابن الحنظليّة ، فاذهب إليه ، فقل له : إنّ عتبة يحمل دم حليفه ، ويضمن العير . قال حكيم : فدخلت على أبي جهل ، وهو يتخلّق بخلوق طيب ، ودرعه موضوعة بين يديه ، فقلت : إن عتبة بن ربيعة بعثني إليك ، فأقبل عليّ مغضباً فقال : ما وجد عتبة أحداً يرسله غيرك ! فقلت : والله لو كان غيره أرسلني ما مشيت في ذلك ، ولكني مشيتُ في إصلاح بين الناس ، وكان أبو الوليد سيّد العشيرة . فغضب غضبة أخرى . قال : وتقول أيضاً سيّد العشيرة ، فقلت : أنا أقوله ، وقريش كلّها تقوله ، فأمر عامراً أن يصيح بخفرته ، واكتشف ، وقال : إنّ عُتبة جاع ، فاسقوه سويقاً ، وجعل المشركون يقولون : عتبة جاع ، فاسقوه سويقاً ، وجعل أبو جهل يسرّ بما صنع المشركون بعتبة . قال حكيم : فجئت إلى منبه بن الحجاج فقلت له مثل ما قلت لأبي جهل ، فوجدته خيراً من أبي جهل ، قال : نعمّا مشيت فيه ، وما دعا إليه عتبة ! فرجعت إلى عتبة فوجدته قد غضب من كلام قريش ، فنزل عن جمله ، وقد كان طاف عليهم في عسكرهم يأمرهم بالكفّ عن القتال ، فيأبون ، فحمى ، فنزل فلبس دِرْعه ، وطلبوا له بَيْضَةً فلم يوجد في الجيش بَيْضة تسع رأسه من عِظَم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجَر ، ثم برز راجلا بين أخيه شيبة وبين ابنه الوليد ابن عتبة ، فبينا أبو جهل في الصفّ على فرس أنثى ، حاذاه عُتْبة ، وسلّ سيفه ، فقيل : هو والله يقتله ، فضرب بالسيف عُرقوب فرس أبي جهل ، فاكتسعت[٢] الفرس ،

(١) مغازي الواقدي ٦٠ (٢) اكتسعت الفرس : سقطت من ناحية مؤخرها ورمت به .

وقال : انزل ، فإنّ هـذا اليوم ليس بيوم ركوب ؛ ليس كلّ قومك راكب ، فنزل أبو جهـل وعُتْبة يقول : سيعلم أيّنا شؤم عشيرته الغداة ! قال حكيم : فقلت : تالله ما رأيتُ كاليوم !

قال الواقديّ : ثم دعا عُتْبة إلى المبارزة ورسول الله صلى الله عليـه وآله فى العَرِيش ، وأصحابه على صفوفهم ، فاضطجع ، فغشيَه النوم ، وقال : لا تقاتلوا حتى أوذنـكم ، وإن كثبوكم فارمُوهم ولا تسلُّوا السيوفَ حتى يغشَوكم . فقال أبو بكر : يارسول الله قددنا القوم، وقد نالوا منّا ، فاستيقظ وقد أراه الله إيّاهم فى منامه قليلا ، وقلّل بعضهم فى أعين بعض ، ففزع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو رافع يديه يناشد ربّه ماوعده من النصر، ويقول: «اللهمّ إن تظهر على هذه العصابة يظهر الشرك ، ولا يقم لك دين» ، وأبو بكر يقول : والله لينصرنّك الله وليبيضنّ وجهك . قال عبد الله بن رواحة : يارسول الله ، إنّى أشيرُ عليك ، وأنت أعظم وأعـلم بالله من أن يشار عليك ، إنّ الله أجلّ وأعظم من أن ينشَد وعـده ! فقال عليـه السلام : يابن رواحة ، ألا أنشدُ الله وعدَه ، إن الله لا يخلف الميعاد ! وأقبل عُتْبة يعمِد إلى القتال ، فقال له حكيم بن حزام : مهلاً مهلاً يا أبا الوليد ! لا تنه عن شىء وتـكون أوّله [(١)] .

قال الواقديّ: قال خفاف بن إيماء : فرأيت أصحابَ النبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدر ، وقد تصافّ النّاس وتزاحفوا ، وهم لا يسلّون السيوف ، ولـكنهم قد انتضوا القِسِيّ ، وقد تترّس بعضهم عن بعض بصفوف متقاربة ، لا فُرَج بينها ؛ والآخرون قد سلّوا السيوف حين طلعوا ، فعجبت من ذلك ، فسألت بعد ذلك رجلا من المهاجرين ، فقال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله ألا نسلّ السيوف حتى يغشونا [(٢)] .

قال الواقديّ : فلمـا تزاحف الناس قال الأسود بن عبد الأسد المخزومى حين دنا من

---

(١) مغازى الواقدى ٦٠ ، ٦١

الحوض : أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتنّ دونه. فشدّ حتى دنا من الحوض ، واستقبله حمزة بن عبد المطلب ، فضربه فأطنّ (١) قدمه ، فزحف الأسود ليبرّ قسمه زعم ، حتى وقف فى الحوض فهدمه برجله الصحيحة ، وشرب منه ، وأتبعه حمزة ، فضربه فى الحوض فقتله ، والمشركون ينظرون ذلك على صفوفهم (٢) .

قال الواقدىّ : ودنا الناس بعضهم من بعض ، فخرج عتبة وشيبة والوليد حتى فصلوا من الصفّ ، ثم دعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار ، وهم بنو عفراء . معاذ ومعوّذ وعوف ، بنو الحارث ـ ويقال : إنّ ثالثهم عبد الله بن رواحة ، والثابت عندنا أنهم بنو عفراء ـ فاستحى رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ، وكره أن يكون أوّل قتال لقىَ المسلمون فيه المشركين فى الأنصار ، وأحبّ أن تكون الشوكة لبنى عمّه وقومه ، فأمرهم ، فرجعوا إلى مصافّهم، وقال لهم خيرا ، ثم نادى منادى المشركين : يامحمد ، أخرجْ إلينا الأكفاء من قومنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : يابنى هاشم ، قوموا فقاتلوا بحقّكم الذى بعث الله به نبيّكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله . فقام حمزة بن عبد المطّلب وعلىّ بن أبى طالب وعُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف ، فمشوا إليهم ، فقال عتبة : تكلّموا نعرفكم ـ وكان عليهم البيض ، فأنكروهم ـ فإن كنتم أكفاء قاتلناكم (٣) .

* * *

وروى محمد بن إسحاق فى كتاب " المغازى " خلاف هذه الرواية ، قال : إن بنى عَفْراء وعبد الله بن رَوَاحة برزوا إلى عُتبة وشيبة والوليد ، فقالوا لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، فقالوا : ارجعوا فما لنا بكم من حاجة ! ثم نادى مناديهم : يامحمد

---

(١) أطنّ قدمه : قطعها
(٢) على صفوفهم : أى على حالتهم التى كانوا عليها
(٣) مغازى الواقدى ٦٢ ، ٦٣

أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا،فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قم يافلان ، قم يافلان، قم يافلان [1] .

قلت : وهذه الرواية أشهر من رواية الواقدى ، وفى رواية الواقدى مايؤكد صحة رواية محمد بن إسحاق ، وهو قوله : إنّ منادى المشركين نادى : « يامحمد ، أخرج إلينا الأكفاء من قومنا» فلو لم يكن قد كلّمهم بنو عفراء،وكلّموهم وردّوهم ، لما نادى مناديهم بذلك. ويدلّ على ذلك قول بعض القرشيّين لبعض الأنصار فى فخر فخرّ به عليه : أنا من قوم لم يرضَ مشركوهم أن يقتلوا مؤمنى قومك .

قال الواقدىّ : فقال حمزة : أنا حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله ، فقال عتبة : كفء كريم ، وأنا أسد الحلفاء ، من هذان معك ؟ قال : على بن أبى طالب وعبيدة ابن الحارث بن المطلب ، فقال : كفآن كريمان [2] .

قال الواقدىّ : قال ابن أبى الزناد : حدثنى أبى ، قال : لم أسمع لعُتْبة كلمة قطّ أوهَن من قوله : « أنا أسد الحلفاء » يعنى بالحلفاء الأجمة .

قلت : قد روى هذه الكلمة على صيغة أخرى : « وأنا أسد الحُلَفاء » ، وروى : « أنا أسد الأحلاف » .

قالوا فى تفسيرها : أراد أنا سيّد أهل الحلف لمطيّبين ، وكان الذين حضروه بنى عبدمناف وبنى أسد بن عبد العزّى وبنى تَيْم وبنى زُهْرة وبنى الحارث بن فهر ؛ خمس قبائل . وردّ قوم هذا التأويل ، فقالوا : إن المطيّبين لم يكن يقال لهم: الحلفاء ولا الأحلاف ، وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الّذين وقع التحالف لأجلهم، وهم بنو عبد الدار ، وبنو مخزوم، وبنو سَهم، وبنو جُمَح،وبنو عدىّ بن كعب؛ خمس قبائل . وقال قوم فى تفسيرها : إنما عنى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، وفيها : « قم ياعبيدة بن الحارث ، قم ياحمزة ، قم ياعلى »
(٢) مغازى الواقدى ٦٣

حِلف الفضول ، وكان بعد حلف المطيبين بزمان ، وشهد حلف الفضول رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صغير فى دار ابن جُدْعان ، وكان سببه أنّ رجلا من اليمن قدم مكة بمتاع ، فاشتراه العاص بن وائل السهمىّ ومطله بالثمن حتى أتعبه ، فقام بالحِجْر وناشد قريشا ظلامته ، فاجتمع بنو هاشم وبنو أسد بن عبد العُزّى وبنو زهرة ، وبنو تيم ، فى دار ابن جُدْعان ، فتحالفوا وغمسوا أيديهم فى ماء زمزم ، بعد أن غسلوا به أركان البيت ، أن ينصروا كلّ مظلوم بمكة ، ويردّوا عليه ظلامته ، ويأخذوا على يد الظالم ، وينهوا عن كلّ منكر ، ما بلّ بحرٌ صوفة ، فسمى حلف الفضول لفضله ، وقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : « شهدته وما أحبّ أن لى به حُمْرَ النعم ، ولا يزيده الإسلام إلا شدّة » . وهذا التفسير أيضا غير صحيح ، لأن بنى عبد الشمس لم يكونوا فى حِلْف الفضول ، فقد بان أن ما ذكره الواقدىّ أصح وأثبت .

قال الواقدىّ : ثم قال عتبة لابنه : قم ياوليد ، فقام الوليد وقام إليه علىّ ، وكانا أصغرَ النفر ، فاختلفا ضربتين ، فقتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، ثم قام عتبة ، وقام إليه حمزة فاختلفا ضربتين ، فقتله حمزة رضى الله عنه ، ثم قام شيبة ، وقام إليه عُبيدة ، وهو يومئذ أسنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فضرب شيبةُ رِجْل عبيدة بذُباب السيف ، فأصاب عضلة ساقه ، فقطعها وكرّ حمزة وعلىّ على شيبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة فحازاه إلى الصفّ ، ومخ ساقه يسيل ، فقال عبيدة : يارسول الله ، ألستُ شهيداً ؟ قال : بلى ، قال : أما والله لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنى أحق بما قال حين يقول :

كذبتمْ وبيتِ الله نخلى محمّداً ولمّا نطاعنْ دونهُ ونناضلُ
ونُسْلِمُهُ حتى نُصرَّعَ حولَهُ ونذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ

ونزلت فيهم هذه الآية : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [1] .

---

(١) سورة الحج ١٩ والخبر فى الواقدى ٦٣ ، ٦٤

وروى محمد بن إسحاق أن عتبة بارزَ عُبيدة بن الحارث ، وأنّ شيبة بارز حمزة بن عبد المطلب ، فقتل حمزة شيبة ، لم يمهله أن قتله ؛ ولم يمهل علىٌّ الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت[١] صاحبه ، وكرّ حمزة وعلىٌّ عليه السلام على عُتْبة بأسيافهما ، حتى دفّفا عليه[٢] ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى الصف[٣] .

قلت : وهذه الرواية توافق ما يذكره أمير المؤمنين عليه السلام فى كلامه ، إذ يقول لمعاوية : وعندى السيفُ الذى أعضضتُه بأخيك وخالك وجدّك يوم بدر . ويقول فى موضع آخر : قد عرفت مواقع نصالها فى أخيك وخالك وجدّك، وما هى من الظالمين ببعيد .

واختار البلاذرىّ رواية الواقدىّ : وقال : إن حمزة قتل عتبة ، و إنّ عليا عليه السلام قتل الوليد ، وشرك فى قتل شيبة[٤] .

وهذا هو المناسب لأحوالهم من طريق السّنّ ؛ لأن شيبة أسنّ الثلاثة ، فجُعل بإزاء عبيدة وهو أسنّ الثلاثة ، والوليد أصغر الثلاثة سنًّا ، فجُعل بإزاء على عليه السلام ، وهو أصغر الثلاثة سنا ، وعتبة أوسطهم سنًّا ، فجعل بإزاء حمزة وهو أوسطهم سنًّا . وأيضا فإنّ عتبة كان أمثلَ الثلاثة ، فاقتضى القياس أن يكونَ قِرنه أمثلَ الثلاثة ، وهو حمزة إذ ذاك ، لأنّ عليا عليه السلام لم يكن قد اشتهر أمره جدا ، و إنما اشتهر الشُّهرة التامّة بعد بدر . ولمن روى أنّ حمزة بارز شيبة — وهى رواية ابن إسحق — أن ينتصر بشعر هند بنت عتبة ترثى أباها :

أعينىّ جودا بدمع سَرِبْ ... على خير خِنْدِف لم ينقلبْ[٥]

تداعَى له رهطُه قُصْرةً ... بنو هاشم وبنـــو المطّلبْ[٦]

يذيقونه حرّ أسيافهم ... يعلّونه بعـــد ما قد عَطِبْ[٧]

---

(١) أثبته : جرحه

(٢) ابن هشام : « دففا عليه » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥

(٣) أنساب الأشراف ١ : ٢٩٧

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٤١ ،

(٦) يقال : هو ابن عمى قصرة ، أى قريب . وفى ا

والواقدى : « عدوه »

(٧) ا : « شعب » .

فإذا كانت قد قالت إن عتبة أباها أذاقه بنو هاشم وبنو المطلب حرّ أسيافهم ، فقد ثبت أن المبارز لعتبة إنما هو عُبيدة لأنه من بنى المطلب جرح عتبة ، فأثبته ثم ذفّف[1] عليه حمزة وعلى عليه السلام . فأما الشيعة ، فإنها تروى أن حمزة بادر عتبة فقتله ، وأنّ اشتراك علىّ وحمزة إنما هو فى دم شيبة بعد أن جرحه عبيدة بن الحارث ، هكذا ذكر محمد ابن النعمان فى كتاب " الإرشاد " ، وهو خلاف ماتنطق به كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية ، والأمر عندى مشتبه فى هذا الموضع .

وروى محمد بن النعمان ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنّه كان يذكر يوم بدر ويقول : أختلف أنا والوليد بن عتبة ضربتين ، فخطأتنى ضربته ، وأضربه فاتقانى بيده اليسرى ، فأبانها السيف ، فكأنى أنظر إلى وميض خاتم فى شماله ، ثم ضربته أخرى فصرعته وسلبتُه ، فرأيت به الرَّدْع[2] من خَلُوق ، فعلمت أنه قريب عهد بعرس .

* * *

قال الواقدىّ : وقد روىَ أنّ عُتبة بن ربيعة حين دعا إلى البراز ، قام إليه ابنه أبو حُذَيفة بن عتبة يبارزه ، فقال له النبى صلى الله عليه وآله : اجلس ، فلما قام إليه النفر أعان أبو حذيفة على أبيه عُتبة بضربة[3] .

قال الواقدىّ : وأخبرنى ابن أبى الزّناد، عن أبيه، قال . شيبة أكبر من عتبة بثلاث سنين، وحمزة أسنّ من النبى صلى الله عليه وآله بأربع سنين ، والعبّاس أسنّ من النبىّ صلى الله عليه وآله بثلاث سنين[4] .

قال الواقدىّ : واستفتح أبو جهل يوم بدر ، فقال : اللهمّ أقطعُنا للرّحم وآتانا بما لا يعلم، فأحِنه الغداة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ... ﴾[5] الآية .

---

(١) ذفف عليه : أى أجهز .
(٢) الردع : « الزعفران » .
(٣) مغازى الواقدى ٦٤
(٤) مغازى الواقدى ٦٥ ؛ والخبر هنا أوفى وأشمل .
(٥) سورة الأنفال ١٩ ، والخبر فى الواقدى ٦٥ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٤٤١ (طبعة المعارف)

قال الواقديّ: وروى عُروة عن عائشة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعل شعار المهاجرين يوم بدر: يابني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يابني عبد الله، وشعار الأوس: يابني عبيد الله.

قال وروى زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، أنّ شعار رسول الله صلى الله عليه وآله كان يوم بدر يامنصور أمت[1].

قال الواقديّ: ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن قتل أبي البختريّ، وكان قد لبس السلاح بمكة يوماً قبل الهجرة في بعض ما كان ينال النبي صلى الله عليه وآله من الأذى، وقال: لا يعرض اليوم أحدٌ لمحمد بأذى إلا وضعت فيه السلاح. فشكر ذلك له النبيّ صلى الله عليه وآله. قال أبو داود المازنيّ: فلحقتُه يوم بدر، فقلت له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد نهى عن قتلك إن أعطيت بيدك، قال: وما تريد إليّ! إنْ كان قد نهى عن قتلي، فقد كنتُ أبليتُه ذلك، فأمّا أن أعطي بيدي، فواللات والعزّى لقد علمتْ نسوة بمكة أني لا أعطي بيدي، وقد عرفتُ أنك لا تدعني، فافعل الذي تريد، فرماه أبو داود بسهم، وقال: اللهمّ سهمك! وأبو البختريّ عبدك، فضعه في مقتله؛ وأبو البختري دارع، ففتق السهم الدرع فقتله.

قال الواقديّ: ويقال إنّ المجذّر بن زياد قتل أبا البختريّ ولا يعرفه، وقال المجذّر في ذلك شعراً عُرف منه أنه قاتله[2].

* * *

وفي رواية محمد بن إسحاق: أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله نهى يوم بدر عن قتل أبي البختريّ، واسمه الوليد بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزّى، لأنه كان أكفّ

---

(١) مغازي الواقدي ٦٦ (٢) مغازي الواقدي ٧٥

الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان فيمن قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم ، فلقيه المجذّر بن ذياد البلوي حليف الأنصار ، فقال له : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهانا عن قتلك ، ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مُلَيحة ، فقال أبو البختري : وزميلي ! قال المجذّر : والله ما نحن بتاركي زميلك ، ما نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله إلا عنك وحدك[1] ، قال : إذاً والله لأموتنّ أنا وهو جميعا ، لا تتحدث عني نساء أهل مكة أني تركت زميلي حرصا على الحياة ، فنازله المجذّر ، وارتجز أبو البختري[2] فقال :

لن يُسلِم ابن حرّة زميلَهُ ... حتى يموت أو يرى سبيلَهُ

ثم اقتتلا ، فقتله المجذّر ، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره ، وقال : والذي بعثك بالحق لقد جهدت أن يستأسر فآتيك به ، فأبى إلا القتال فقاتلته[3] فقتلته[4]

* * *

قال الواقدي : ونهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل ، وقال : أسروه ولا تقتلوه ، وكان كارها للخروج إلى بدر ، فلقيه خبيب بن يساف فقتله ولا يعرفه ، فبلغ النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك ، فقال : لو وجدته قبل أن يقتل لتركته لنسائه . ونهى عن قتل زمعة بن الأسود فقتله ثابت بن الجذع ، ولا يعرفه .

قال الواقدي : وارتجز عدي بن أبي الزّغباء يوم بدر ، فقال :

أنا عديّ والسَّحَلْ ... أمشي بها مَشْيَ الفَحَلْ

يعني درعه . فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : مَنْ عديّ ؟ فقال رجل من القوم : أنا يارسول الله ، قال : وماذا ؟ [قال : ابن فلان ، قال : لست أنت عديّاً ، فقال عديّ بن أبي

(١) ابن هشام : « ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك » .
(٢) ابن هشام : « فقال أبو البختري حين نازله المجذّر ، وأبى إلا القتال » .
(٣) ابن هشام : « إلا أن يقاتلني » (٤) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، ٢٧١

الزعباء : أنا يارسول الله عدىّ ، قال : وماذا][1] ؟ قال : « والسَّحَل ، أمشى بهـا مشى الفَحَل » ، قال النبي صلى الله عليه وآله : وما السَّحَل ؟ قال : درعى ، فقال صلى الله عليه وآله « نعم العدىّ ، عدىّ بن أبي الزّعباء »[2] .

قال الواقدى : وكان عقبة بن أبى مُعَيط قال بمكّة حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة :

يا راكبَ الناقة القَصْواء هاجِرَنا ... عمّا قليلٍ ترانى راكبَ الفَرَسِ

أعلُ رُمحِى فيكم ثم أُنهِلُهُ ... والسّيفُ يأخذ منكم كلّ ملتبِسِ

فبلغ قولُه النبىّ صلى الله عليه وآله ، فقال : « اللهمّ أكبّه لمنخرِه واصرعه » ؛ فجمح به فرسُه يوم بدر ، بعد أن ولّى الناس ، فأخذه عبد الله بن سلِمة العجلانىّ أسيراً ، وأمر النبىّ صلى الله عليه وآله عاصم بن أبى الأفلح ، فضرب عنقه صبْراً[3] .

قال الواقدىّ : وكان عبد الرحمن يحدّث يقول : إنى لأجمع أدراعاً يوم بدر ، بعد أن ولّى الناس ، فإذا أميّة بن خلَف ـ وكان لى صديقا فى الجاهلية ، وكان اسمى عبد عمرو ، فلما جاء الإسلام تسمّيت عبدَ الرحمن ، فكان يلقانى بمكّة فيقول : ياعبد عمرو ، فلا أجيبه ، فيقول : إنى لا أقول لك عبدالرحمن ، إنّ مسيلمة باليمامة[4] تسمّى بالرحمن ، فأنا لا أدعوك إليه ، فكان يدعونى عبد الإله ، فلما كان يوم بدر رأيته وكأنه جمل يُساق ، ومعه ابنه على ، فنادانى : ياعبد عمرو ، فأبيت أن أجيبه ، فنادانى : ياعبد الإله ، فأجبته ، فقال : أما لكم حاجة فى اللّبن ؟ نحن خير لك من أدراعك هـذه ، فقلت : امضيا ، فجعلت أسوقهما أمامى ، وقد رأى أميّة أنه قد أمِن بعضَ الأمن ، فقال لى أميّة : رأيت رجلاً فيكم اليوم معلِماً فى صدره بريشة نعامة ، من هو ؟ فقلت : حمزة بن عبد المطلب ، فقال : ذاك الذى

---

(١) من مغازى الواقدى .
(٢) مغازى الواقدى ٧٦
(٣) مغازى الواقدى ٧٦ ، ٧٧
(٤) الواقدى « يتسمى » .

فعل بنا الأفاعيل ! ثم قال : من رَجُلٌ دحداح قصير معلَم بعصابة حمراء ؟ قلت : ذاك رجل من الأنصار ، يقال له : سِماك بن خَرَشة ، قال : وبذاك أيضاً ياعبد الإله صرنا اليوم جَزَراً لكم ! قال : فبينا هو معي أرخيه⁽¹⁾ أمامي ، ومعه ابنه ، إذ بصر به بلال وهو يعجن عجيناً له ، فترك العجين ، وجعل يفتِلُ يديه منه فتلاً ذريعاً،وهو ينادي : يامعشر الأنصار ، أميّة بن خلف رأس الكفر ! لا نجوتُ إن نجوتَ ـ قال : لأنه كان يعذّبه بمكّة ـ فأقبلت الأنصار كأنّهم عُوذٌ حنّت إلى أولادها ، حتى طرحوا أميّة على ظهره ، واضطجعت عليه أحميه منهم ، فأقبل الحبّاب بن المنذر ، فأدخل سيفه ، فاقتطع أرنبة أنفه، فلما فقد أميّة أنفه ، قال لي : إيهاً عنك ! أي خلّ بيني وبينهم ، قال عبد الرحمن فذكرت قول حسان :

• أو عن ذلك الأنف جادع •

قال : ويقبل إليه خُبَيب بن يَساف ، فضربه حتى قتله ، وقد كان أميّة ضرب خُبيب ابن يساف حتى قطع يده من المنكب،فأعادها النبيّ صلى الله عليه وآله فالتحمت واستوت، فتزوج خُبَيب بن يساف بعد ذلك ابنة أميّة بن خلف ، فرأت تلك الضربة ، فقالت : لا يشلّ الله يدَ رجلٍ فعل هذا ! فقال خبيب : وأنا والله قد أوردته شَعُوب ، فكان خُبَيب يحدّث يقول : فأضربه فوق العاتق ، فأقطع عاتقه حتى بلغت مؤتَزَره ، وعليه الدّرع ، وأنا أقول : خذها وأنا ابن يساف ! وأخذت سلاحه ودرعه ، وأقبل عليّ بن أمية فتعرّض له الحبّاب، فقطع رجله ، فصاح صيحة ماسمع مثلها قطّ ، ولقيه عمّار فضربه ضربة فقتله . ويقال : إنّ عمّاراً لاقاه قبل ضربة الحبّاب ،فاختلفا ضربات ، فقتله عمار . والأوّل أثبت ، أنه ضربه بعد أن قطعت رجله⁽²⁾ .

قال الواقديّ : وقد سمعنا في قتل أميّة غير ذلك ، حدثني عُبيد بن يحيي ، عن معاذ بن

(١) أرخيه : أسوقه .
(٢) مغازي الواقدي ٧٧ ، ٧٨ .

رفاعة ، عن أبيه ، قال : لمّا كان يوم بدْر وأخذنا بأميّة بن خلف ، وكان له فيهم شأن، ومعى رمحى ، ومعه رمحه ، فتطاعنّا حتى سقطتْ أزجّتُها ، ثم صرنا إلى السّيفين فتضاربنا بهما حتى انثلما ، ثم بصرت بِفَتْق فى درعه تحت إبطه ، فخششت السيف فيه حتى قتلته ، وخرج السيف عليه الوَدَك [1] .

قال الواقدىّ : وقد سمعنا وجهاً آخر : حدثنى محمد بن قُدامة بن موسى ، عن أبيه ، عن عائشة بنت قدامة ، قالت : قال صفوان بن أميّة بن خلف يوما : ياقُدام ـ لقدامة بن مظعون ـ أنت المشلِي [2] بأبى يوم بدر الناس ! فقال قدامة : لا والله مافعلت ، ولو فعلت مااعتذرت من قتل مشرك . قال صفوان : فمن ياقدام المشلِي به يوم بدر ؟ قال : رأيت فتيةً من الأنصار أقبلوا إليه ، فيهم معمر بن حُبيب بن عبيد بن الحارث ، يرفع سيفه و يضعه فيه ، فقال صفوان : أبو قرد ! وكان مَعْمر رجلا دميماً ، فسمع بذلك الحارث بن حاطب ، فغضب له ، فدخل على أمّ صفوان ، فقال ، ما يدعُنا صفوان من الأذى فى الجاهليّة والإسلام ! قالت : وما ذاك ؟ فأخبرها بمقالةِ صفوان لمعمر حين قال : أبو قرد ! فقالت أمّ صفوان : ياصفوان ، أتنتقص معمر بن حبيب من أهل بدْر ! والله لا أقبل لك كرامة سنةً . قال صفوان : ياأمّة ، لا أعود والله أبدا ، تكلّمتُ بكلمة لم ألقِ لها بالا [3] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمد بن قُدامة ، عن أبيه ، عن عائشة بنت قدامة ، قالت : قيل لأمّ صفْوان بن أميّة ـ ونظرت إلى الحبّاب بن المنذر بمكّة : هـذا الذى قطع رِجْل علىّ بن أمية يومَ بدْر ، قالت : دعونا عن ذكر مَنْ قُتِل عَلَى الشِّرْك ، قد أهان الله عليا بضربة الحبّاب بن المنذر ، وأكرم الله الحبّاب بضربته عليا ، ولقد كان على الإسلام حين خرج من هاهنا ، فقتل على غير ذلك [4] .

* * *

(١) مغازى الواقدى ٧٨ ، ٧٩

(٢) المشلى : المغرى .

(٣) مغازى الواقدى ٧٩

(٤) مغازى الواقدى ٧٩ ، ٨٠ ، وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٣

فأمّا محمد بن إسحاق ، فإنه قال : قال عبد الرحمن بن عوف : أخذت بيدِ أميّة بن خلَف وبيد ابنه عليّ بن أمية أسيرين يوم بَدْر ، فبينا أنا أمشي بينهما ، رآنا بلال — وكان أميّة هو الذى يعذّب بلالا بمكّة ، يخرجه إلى رَمْضاء (١) مكّة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمرُ بالصّخْرة العظيمة فتوضع بحرارتها على صدره ، ويقول له : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد ! فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ ! لا يزيده عَلَى ذلك — فلمّا رآه صاح : رأس الكفر أميّة بن خلَف ، لا نجوتُ إن نجوتَ ! قال عبد الرحمن : فقلت أى بلال ، أسيرى ! فقال : لا نجوتُ إن نجا ، فقلت : استمع يابن السوداء ، قال : لا نجوت إن نجا ، ثم صرخ بأعلى صوتِه : يا أنصار الله ، أميّة بن خلَف رأس الكفر ، لا نجوتُ إن نجا ، فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المُسْكة (٢) ، وأنا أذبّ عنه ، (٣) ويحذف عمّار بن ياسر عليا ابنه بالسيف ، فأصاب رجله ، فوقع وصاح أميّة صيحةً ما سمعت مثلَها قط (٣) ، فخلّيت عنه ، وقلت : انجُ بنفسك ولا نجاء به ! فوالله ما أغنِي عنك شيئا ، قال : فهبروهما (٤) بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن بن عوف ، يقول : رحِم الله بلالا ! أذهب أدرعِي ، وفجعني بأسيرِي (٥) !

* * *

قال الواقدىّ : وكان الزبير بن العوام يحدّث فيقول : لمّا كان يومئذ لقيتُ عبيدة ابن سعيد بن العاص على فرس ، عليه لأمة كاملة لا يُرى منه إلا عيناه ، وهو يقول — وكانت له صبيّة صغيرة ، يحملها وكان لها بُطَين وكانت مقسّمة : أنا أبو ذات الكرش ، أنا أبو ذات

---

(١) الرمضاء : الرمل الشديد الحرارة من الشمس .

(٢) المسكة : السوار .

(٣ — ٣) ابن هشام : « فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أميـة صيحة عظيمة ما سمعت بمثلها قط » .

(٤) هبروهما : قطعوا لحمهما ؛ تقول : هبرت اللحم إذا قطعته قطعاً

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٢ ، ٢٧٣

الكرش . قال : وفى يدى عَنَزَة [١] فطعن بها فى عينه ووقع ، وأطؤه برجلى عَلَى خدّه ، حتى أخرجت العَنَزَة متعقفة ، وأخرجت حدقته ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله تلك العَنَزَة ، فكانت تحمل بين يديه ، ثم صارت تحمل بين يدى أبى بكر وعمر وعثمان [٢] .

قال الواقدىّ : وأقبل عاصم بن أبى عوف بن صُبَيرة السَّهمىّ ، لما جال الناس واختلطوا ، وكأنه ذئب ، وهو يقول : يامعشرَ قريش ، عليكم بالقاطع مفرّق الجماعة، الآتى بما لا يعرف ، محمد ، لا نجوتُ إن نجا ! ويعترضه أبو دُجانة ، فاختلفا ضربتين ، ويضربه أبو دجانة فقتله ، ووقف عَلَى سَلَبه يسلبه ، فمرّ به عمر بن الخطاب ، فقال : دع سَلَبه حتى يُجهض [٣] العدوّ ، وأنا أشهد لك به [٤] .

قال الواقدىّ : ويقبل معبد بن وهب ، أحد بنى عامر بن لؤىّ ، فضرب أبا دُجانة ضربة برّك منها أبو دُجانة كما يبرك الجمل ، ثم انتهض ، وأقبل عَلَى معبد ، فضربه ضربات لم يصنع سيفه شيئاً ، حتى يقع معبد بحفرة أمامه لا يراها ، ونزل أبو دُجانة عليه ، فذبحه ذبحاً ، وأخذ سلبه [٥] .

قال الواقدىّ : ولما كان يومئذ ، ورأت بنو مخزوم مقتل مَنْ قُتِل ، قالت : أبو الحكم ! لا يخلص إليه ، فإن ابنَىْ ربيعة عَجِلا وبطرا ، ولم تحام عنهما [٦] عشيرتهما . فاجتمعت بنو مخزوم ، فأحدقوا به ، فجعلوه [فى] [٧] مثل الحرجة ، وأجمعوا أن يلبسوا لأمة أبى جهل رجلاً منهم ، فألبسوها عبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة ، فصمد له علىّ عليه السلام ، فقتله وهو يراه أبا جهل ، ومضى عنه وهو يقول : أنا ابن عبد المطلب ! ثم ألبسوها أبا قيس بن

---

(١) العنزة : شبيه العكازة ، أطول من العصا وأقصر من الرمح ، لها زج من أسفلها .
(٢) مغازى الواقدى ٨٠ . (٣) ا والواقدى : « يجهض » .
(٤) مغازى الواقدى ٨١ . (٥) مغازى الواقدى ٨٠ ، ٨١
(٦) كذا فى ا ، وفى ب والواقدى : « عليهما » . (٧) من الواقدى

الفاكه بن المغيرة ، فصمَد له حمزة وهو يراه أبا جهل ، فضربه فقتله وهو يقول : خذها وأنا ابن عبد المطلب ! ثم ألبسوها حَرْملة بن عمرو ، فصمَد له عليّ عليه السلام فقتله ، ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلم ، فأبى أن يلبسها ، قال معاذ بن عمرو بن الجموح : فنظرت يومئذ إلى أبي جهل في مثل الحَرَجَة ، وهم يقولون : أبو الحكم ! لا يُخلص إليه ، فعرفت أنه هو ، فقلت : والله لأموتنّ دونه اليوم أو لأخلصنّ إليه ، فصمدت له ، حتى إذا أمكنني منه غِرّة حملت عليه ، فضربته ضربة طرحت رجله من السّاق ، فشبّهتها النّواة تنزو من تحت المراضخ ، فأقبل ابنه عِكرمة عليّ فضربني على عاتقي ، فطرح يدي من العاتق ، إلا أنه بقيت جلدة ، فذهبت أسحب يدي بتلك الجلدة خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها رجلي ، ثم تمطّيت عليها فقطعتها ، ثم لاقيت عِكرِمة وهو يلوذ كلّ ملاذ ، ولو كانت يدي معي لرجوت يومئذ أن أصيبه . ومات معاذ في زمن عثمان [1] .

قال الواقديّ : فروى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله نفّل معاذ بن عمرو بن الجموح سيفَ أبي جهل ، وأنه عند آل معاذ بن عمرو اليوم وبه فلّ ، بعد أن أرسل النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عكرمة بن أبي جهل ، يسأله مَنْ قتل أباك ؟ قال : الذي قطعت يده ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله سيفَه إلى معاذ بن عمرو ، لأن عكرمة بن أبي جهل قطع يده يوم بدر [2] .

قال الواقديّ : وما كان بنو المغيرة يشكّون أن سيف أبي الحكم صار إلى معاذ بن عمرو بن الجموح ، وأنه قاتله يوم بدر [2] .

قال الواقديّ : وقد سمعت في قتله وأخذ سلبه غير هذا ؛ حدّثني عبد الحميد بن جعفر ، عن عمر بن الحكم بن ثوبان ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : عبّأنا رسول الله صلى الله عليه وآله بليل ، فأصبحنا ونحن على صفوفنا ، فإذا بغلامين ، ليس منهما واحد إلّا قد

---

(١) مغازي الواقدي ٨١

(٢) مغازي الواقدي ٨١ ، ٨٢

ربطت حمائل سيفه فى عنقه لصغره ، فالتفت إلىَّ أحدهما ، فقال : ياعمّ ، أيهم أبو جهل ؟ قال : قلت : وما تصنع به يا ابن أخى ؟ قال : بلغنى أنه يسبّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ، فحلفت : لئن رأيته لأقتلنه أو لأموتنّ دونه . فأشرت إليه ، فالتفت إلىّ الآخر ، وقال لى مثل ذلك ، فأشرت له إليه ، وقلت له : من أنتما ؟ قالا : ابنا الحارث ، قال : فجعلا لا يطرفان عن أبى جهل ؛ حتى إذا كان القتال خلصا إليه فقتلاه وقتلهما[١] .

قال الواقدىّ : فحدثنى محمد بن عوف ، عن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت ، قال : لما كان يومئذ ، قال عبد الرحمن ، ونظر إليهما عن يمينه وعن شماله : ليته كان إلى جنبى مَنْ هو أبدن من هذين الصبيين ! فلم أنشب أن التفتّ إلى عوف ، فقال : أيهم أبو جهل ؟ فقلت : ذاك حيث ترى ، فخرج يعدو إليه كأنه سَبُع ، ولحقه أخوه ، فأنا أنظر إليهم يضطربون بالسيوف ؛ ثم نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يمرّ بهم فى القتلى ، وهما إلى جانب أبى جهل[٢] .

قال الواقدىّ : وحدثنى محمد بن رفاعة بن ثعلبة ، قال : سمعتُ أبى ينكر ما يقول الناس فى ابنى عَفْراء من صِغَرهما ، ويقول : كانا يوم بدر أصغرهما ابن خمس وثلاثين سنة ، فهذا يربطُ حمائل سيفه ! قال الواقدىّ : والقول الأوّل أثبت[٣] .

وروى محمد بن عمار بن ياسر ، عن رُبَيِّع بنت معوّذ ، قالت : دخلتُ فى نسوةٍ من الأنصار على أسماء أمّ أبى جهل فى زمن عمر بن الخطاب ، وكان ابنها عبد الله بن أبى ربيعة يبعث إليها بعِطْرٍ من اليمن ، فكانت تبيعه إلى الأعطية ، فكنّا نشترى منها ، فلما جعلت لى فى قوارير ، ووزنت لى كما وزنت لصواحبى ، قالت : اكتبنَ لى عليكنّ حقى ، قلت : نعم ، اكتب لها على الرُّبَيِّع بنت معوذ ، فقالت : أسماء خلقى : وإنك

(١) مغازى الواقدى ٨٢ ، ٨٣ (٢) مغازى الواقدى ٨٣
(٣) مغازى الواقدى ٨٣

لابنة قاتل سيده ! فقلت : لا ، ولكن ابنة قاتل عبده ، فقالت : والله لا أبيعك شيئاً أبداً ، فقلت : أنا والله لا أشترى منك أبداً ، فوالله ماهو بطيب ولا عَرْف ؟ والله يابنيّ ما شممت عطراً قطّ كان أطيبَ منه ، ولكنّي يابنيّ غضبت [١] .

قال الواقديّ : فلما وضعت الحرب أوزارها ، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلتمَس أبو جهل ، قال ابن مسعود : فوجدته فى آخر رَمَق ، فوضعت رجلى على عنقه ، فقلت : الحمدُ لله الذى أخزاك ! قال : إنما أخزى الله العبد ابن أمّ عَبْد ! لقد ارتقيتَ يارويعى الغنم مرتقى صعباً ! لمن الدّبْرة ؟ قلت : لله ولرسوله ، قال ابن مسعود : فأقلع بيضتَه عن قفاه ، وقلت : إنى قاتلك ، قال : لستَ بأوّل عبد قتل سيّده ، أما إنّ أشد ما لقيتُه اليوم لَقتلك إيّاى ؛ ألا يكون وَلِى قتلى رجلٌ من الأحلاف أومن المطيّبين ! قال : فضربه عبد الله ضربةً وقع رأسه بين يديه ، ثم سلبه ، وأقبل بسلاحه ودِرْعه وبيضته ، فوضعها بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : أبشرْ يانبيّ الله بقتل عدوّ الله أبى جهل ! فقال رسول الله : أحقٌّ ياعبد الله ! فوالّذى نفسى بيده لهو أحبُّ إلىّ من حُمْر النّعم ! أو كما قال . ثم قال : إنه أصابه جَحْش [٢] من دفع دفعته فى مأدبة ابن جُدْعان ، فجحشت ركبتُه فالتمسوه ؛ فوجدوا ذلك الأثر [٣] .

قال الواقديّ : وروى أنّ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ كان عند النبى صلى الله عليه وآله تلك الساعة ، فوجد فى نفسه ، وأقبل على ابن مسعود ، وقال : أنت قتلته ؟ قال : نعم ، الله قتله ! قال أبو سلمة : أنت وُلِّيت قتله ؟ قال : نعم ، قال : لوشاء لجعلك فى كُمّه ! فقال ابن مسعود : فقد والله قتلتُه وجرّدتُه ؛ فقال أبو سلمة : فما علامته ؟ قال : شامةسوداء ببطن فخذه اليمنى ؛ فعرف أبو سلمة النّعْت ، فقال : أجرّدته ، ولم يجرّد قرشى غيره ! فقال

---

(١) مغازى الواقدى ٨٤

(٢) الجحش : الخدش ، أو فوقه دون الجرح

(٣) الواقدى ٨٤ ، ٨٥

ابن مسعود : إنه والله لم يكن في قريش ولا في حُلفائها أحدٌ أعدَى لله ولا لرسوله منه ؛ وما أعتذر من شيء صنعته به . فأمسك أبو سلمة[١] .

قال الواقديّ : وسُمع أبو سلمة بعد ذلك يستغفر الله من كلامه في أبي جهل ، وقال : اللهمّ إنك قد أنجزت ما وعدتَني ، فتمّم عليّ نعمتك . قال : وكان عبد الله بن عتبة بن مسعود ، يقول : سيف أبي جهل عندنا محلّى بفضّة ، غنمه عبد الله بن مسعود يومئذ[١] .

قال الواقديّ : اجتمع قولُ أصحابنا أنّ معاذ بن عمرو وابنَيْ عفراء أثبتوه ، وضرب ابن مسعود عنقه في آخر رمَق ، فكلّ شرك في قتله[١] .

قال الواقديّ : وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على مصرع ابنَيْ عفراء ، فقال : يرحم الله ابني عفراء ؛ فإنهما قد شركا في قتل فرعون هذه الأمّة ، ورأس أئمة الكفر ، فقيل : يا رسولَ الله ومَنْ قتله معهما ؟ قال : الملائكة ، ودفّف عليه ابن مسعود ؛ فكان قد شرك في قتله[٢] .

قال الواقديّ : وحدثني معمر ، عن الزهريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : اللهمّ اكفني نوفل بن العدويّة - وهو نوفل بن خُويلد ، من بني أسد بن عبد العُزّى - وأقبل نوفل يومئذ يصيحُ وهو مرعوب ، قد رأى قتل أصحابه ، وكان في أوّل ما التقوا هم والمسلمون ، يصيح بصوت له زجَل ، رافعا عقيرته : يا معشر قريش ، إن هذا اليوم يوم العَلاء والرفعة . فلما رأى قريشا قد انكشفت جعل يصيح بالأنصار : ما حاجتكم إلى دمائنا ؟ أما ترون مَنْ تقتلون ؟ أما لكم في اللبن من حاجة ! فأسره جبّار بن صَخْر ، فهو يسوقه أمامه ، فجعل نوفل يقول لجبّار ، ورأى عليا عليه السلام مقبلا نحوه : يا أخا الأنصار ، مَنْ هذا واللات والعزّى ! إنّي لأرى رجلا ، إنه ليريدني ! قال

---

(١) مغازي الواقدي ٨٥ (٢) مغازي الواقدي ٨٥ ، ٨٦

جبار : هـذا على بن أبى طالب ، قال نوفل : تالله ما رأيتُ كاليوم رجلا أسرع فى قومه! فصمّد له على عليه السلام فيضربه فيشب سيف علىّ فى حَجَفته[1] ساعة ، ثم ينزعه فيضرب به ساقيه، ودِرْعه مشتمرة ، فيقطعها ، ثم أجهز عليه فقتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ له علم بنوفل بن خويلد ؟ قال علىّ عليه السلام : أنا قتلته ، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه[2]

قال الواقدىّ : وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال ، فالتقى هو وعلىّ عليه السلام ، وقتله علىّ ، فكان عمر بن الخطاب يقول لابنه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص: مالى أراك معرِضاً ، تظن أنى قتلت أباك ! فقال سعيد : لو قتلته لكان على الباطل وكنتَ على الحقّ ، قال : فقال عمر : إنّ قريشاً أعظم الناس أحلاما ، وأكثرها أمانة ، لا يبغيهم أحدٌ العوائلَ إلا كبّه الله لفيه[3] .

قال الواقدىّ : وروى أنّ عمر قال لسعيد بن العاص : مالى أراك معرضا كأنى قتلت أباك يوم بدر ؟ وإن كنت لا أعتذر من قتل مشرك ، لقد قتلت خالى بيدى العاص بن هاشم بن المغيرة .

* * *

ونقلت من غير كتاب الواقدى أنّ عثمان بن عفان وسعيد بن العاص حضرا عند عمر فى أيام خلافته ، فجلس سعيد بن العاص حَجْرة[4] فنظر إليه عمر ، فقال : مالى أراك مُعرِضاً كأنى قتلت أباك ! إنى لم أقتله ، ولكنه قتله أبو حسن ! وكان على عليه السلام حاضرا ، فقال : اللهمّ غفرا ! ذهب الشِّرْك بما فيه ، ومحا الإسلام ما قبله ؛ فلماذا تهاجُ

---

(١) الحجفة : الترس
(٢) مغازى الواقدى ٨٦
(٣) مغازى الواقدى ٨٦ ، ٨٧
(٤) حجرة : أى ناحية .

القلوب ! فسكت عمر ، وقال سعيد : لقد قتله كفء كريم ؛ وهو أحب إلىّ من أن يقتله من ليس من بنى عبد مناف .

قال الواقدىّ : وكان علىّ عليه السلام يحدّث ، فيقول : إنى يومئذ بعد ما متع[1] النهار ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم ، خرجت فى إثر رجل منهم ، فإذا رجل من المشركين على كثيب رمل وسعد بن خُيثمة ، وهما يقتتلان حتى قتل المشرك سعد بن خيثمة ، والمشرك مقنّع فى الحديد ، وكان فارسا ، فاقتحم عن فرسه ، فعرفنى وهو معلم ، فنادانى : هلمّ يابن أبى طالب إلى البراز ! فعطفت إلى البراز ، فعطفت عليه ، فانحط إلىّ مقبلا ، وكنت رجلا قصيراً ، فانحططت راجعا لكى ينزل إلىّ ، كرهت أن يعلونى ، فقال : يابن أبى طالب ، فررت ! فقلت : قريب مفرّ ابن الشتراء ، فلما استقرّت قدماى وثبت أقبل فلما دنا منى ضربنى فاتقيت بالدّرقة ، فوقع سيفه ، فلحج[2] فأضربه على عاتقه وهو دارع ، فارتعش ، ولقد قطّ سيفى درعه ، فظننت أنّ سيفى سيقتله ، فإذا بريق سيف من ورائى ، فطأطأت رأسى ، ويقع السيف ، فأطنّ قِحف رأسه بالبيضة ، وهو يقول : خذها وأنا ابن عبد المطلب ، فالتفتّ من ورائى ، فإذا هو حمزة عمّى[3] ، والمقتول طُعيمة ابن عدىّ[4] .

* * *

قلت : فى رواية محمد بن إسحاق بن يسار أنّ طُعَيمة بن عدىّ قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، ثم قال : وقيل : قتله حمزة[5] .

وفى رواية الشّيعة قتله على بن أبى طالب ، شجَره بالرمح ، فقال له : والله لا تخاصمنا فى الله بعد اليوم أبدا ؛ وهكذا روى محمد بن إسحاق .

---

(١) الواقدى : « ارتفع » .
(٢) الواقدى : يعنى « لزم » .
(٣) الواقدى : « حمزة بن عبد المطلب » .
(٤) مغازى الواقدى ٨٧
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧

وروى محمد بن إسحاق قال ، وخرج النبي صلى الله عليه وآله من العريش إلى الناس ينظر القتال ، فحرّض المسلمين وقال : كلّ امرئ بما أصاب ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل في جملة ، فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلّا أدخله الله الجنة . فقال عُمير بن الحُمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ! فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يَقْتُلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتل[1] .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة أنّ عوف بن الحارث — وهو ابن عفراء — قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : يا رسول الله ، ما يُضحِكُ الرب من عبده ؟ قال : غمسه يده في العدو حاسراً . فنزع عوف درعاً كانت عليه وقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل[2] .

قال الواقدي وابن إسحاق : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كفّاً من البطحاء ، فرماهم بها ، وقال : شاهت الوجوه[3] ! اللهمّ أرعب قلوبهم ، وزلزل أقدامهم . فانهزم المشركون لا يلوون على شيء ، والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويأسرون[2] .

قال الواقدي : وكان هبيرة بن أبي وهب المخزومي لما رأى الهزيمة انخزل ظهره فعقر ، فلم يستطع أن يقوم ، فأتاه أبو أسامة الجشمي حليفه ، ففتق درعه واحتمله — ويقال : ضرب به أبو داود المازني بالسيف فقطع درعه ، ووقع لوجهه ، وأخلد إلى الأرض ، وجاوزه أبو داود — وبصُر به ابنا زهير الجشميان مالك ، وأبو أسامة ، وهما حليفاه ، فذبّا عنه حتى نجوا به ، واحتمله أبو أسامة ومالك يذبّ عنه ، حتى خلّصاه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : حماه كلباه الحليفان[4] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨
(٣) بعدها في ابن هشام : « ثم نفحهم بها »
(٤) مغازي الواقدي ٨٩ مع اختلاف في الرواية

قال الواقديّ : وحدثني عمر بن عثمان عن عُكّاشة بن محصن ، قال : انقطع سيفي يوم بدر ، فأعطاني رسول الله صلى الله عليه وآله عوداً ، فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت به حتى هزم الله المشركين ، ولم يزل ذلك السيف عند عُكّاشة حتى هلك .

قال : وقد روى رجالٌ من بني عبد الأشهل عدّة ، قالوا : انكسر سيف سَلَمة بن أسلم[1] بن حريش[2] يوم بدر ، فبقي أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب[3] ، فقال : اضرب به ، فإذا هو سيف جيّد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد[4] .

قال الواقديّ : وأصاب حارثة بن سُراقة ، وهو يكرع في الحوض سهمٌ غَرَب[5] من المشركين فوقع في نحره ، فمات ، فلقد شرب القوم آخرَ النهار من دمه ؛ وبلغ أمّه وأخته ـ وهما بالمدينة مقتله ـ فقالت أمّه : والله لا أبكي عليه ؛ حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وآله فأسأله ، فإن كان في الجنّة لم أبكِ عليه ، وإن كان في النار بكيته لعمر الله ، فأعولته ! فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر جاءت أمّه إليه ، فقالت : يارسول الله ، قد عرفتَ موضع حارثة في قلبي ، فأردت أن أبكيَ عليه ، ثم قلت : لا أفعلُ حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ؛ فإن كان في الجنّة لم أبكِه ، وإن كان في النار بكيتُه وأعولته ! فقال النبي صلى الله عليه وآله : «هَبِلْتِ : أجنّة واحدة ! إنها جنان كثيرة ، والذي نفسي بيده إنه لفي الفردوس الأعلى» ، قالت : فلا أبكي عليه أبدا .

قال الواقديّ : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله حينئذ بماء في إناء ، فغمس يده فيه ومضمض فاه ، ثم ناول أمّ حارثة بن سراقة ، فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ،

---

(١) ب : «أشهل» ، وصوابه من ا والواقدي وابن هشام
(٢) ا : «حريش» ، والصواب ما في ب والواقدي
(٣) في اللسان : «عذق ابن طاب نخلة بالمدينة ، وقيل ابن طاب ضرب من الرطب هنالك» .
(٤) مغازي الواقدي ٨٨
(٥) سهم غرب : لا يدرى راميه .

ثم أمرها فنصحتا فى جيوبهما ، ثم رجعت من عند النبى صلى الله عليه وآله ، وما بالمدينة امرأتان أقرّ عينا منهما ولا أسرّ[1] .

قال الواقدىّ : وكان حكيم بن حزام يقول : انهزمنا يوم بدر ، فجعلت أسعى وأقول: قاتل الله ابن الحنظلية ! يزعم أنّ النهار قد ذهب ، والله إن النهار لكما هو ! قال حكيم : وما ذاك بى إلا حبّ أن يأتى الليل فيقصر عنا طلب القوم ، فيدرك حكيم عبيد الله وعبد الرحمن بنى العوام على جمل لهما ، فقال عبد الرحمن لأخيه انزل فاحمل أبا خالد ، وكان عُبيد الله رجلاً أعرج ، لا رُجْلة[2] به ، فقال عبيد الله: إنه لا رُجلة بى كما ترى ؛ وقال عبد الرحمن: والله أن لا بدّ منه ، ألا نحمل رجلاً، إن متنا كفانا ما خلفنا من عيالنا ، وإن عشنا حملنا كلّنا ! فنزل عبد الرحمن وأخوه الأعرج ، فحملاه ، فكانوا يتعاقبون الجمل ، فلما دنا من مكّة وكان بمرّ الظّهران ، قال : والله لقد رأيت هاهنا أمراً ما كان يخرج على مثله أحد له رأى، ولكنه شؤم ابن الحنظلية ! إنّ جزوراً نحرت هاهنا فلم يبق خباء إلا أصابه من دمها . فقالا : قد رأينا ذلك ؛ ولكن رأيناك وقومك قد مضيتم فمضينا معكم ، ولم يكن لنا معكم أمر .

قال الواقدىّ : حدّثنى عبد الرحمن بن الحارث عن مخلد بن خفاف ، عن أبيه ، قال : كانت الدّروع فى قريش كثيرة يومئذ ؛ فلمّا انهزموا جعلوا يلقونها ، وجعل المسلمون يتبعونهم ويلقطون ما طرحوا ، ولقد رأيتنى يومئذ التقطت ثلاث أدرع جئت بها أهلى ، فكانت عندنا بعد ، فزعم لى رجلٌ من قريش – ورأى دِرعاً منها عندنا فعرفها – قال : هذه دِرْع الحارث بن هشام[3] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى محمد بن حميد ، عن عبد الله بن عمرو بن أميّة ، قال : أخبرنى من انكشف من قريش يومئذ منهزما ، وإنه ليقول فى نفسه : ما رأيتُ مثل هذا فرّ منه إلّا النساء[4] !

---

(١) مغازى الواقدى ٨٨

(٢) الرجلة : بالضم : القوة على المشى .

(٣) مغازى الواقدى ٨٩ ، ٩٠

(٤) مغازى الواقدى ٩٠

قال الواقدى : كان قَبَاث بن أشيم الكنانى يقول : شهدت مع المشركين بدراً ، وإنى لأنظر إلى قلة أصحاب محمد فى عينى ، وكثرة من معنا من الخيل والرَّجْل ، فانهزمتُ فيمن انهزم ، فلقد رأيتنى وإنى لأنظر إلى المشركين فى كل وجه ، وإنى لأقول فى نفسى: ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ! وصحبنى رجل ، فبينا هو يسير معى إذ لحقنا من خلفنا ، فقلت لصاحبى : أبك نهوض ؟ قال : لا والله مابى ! قال : وعُفِّر وترفعت ، فلقد صبحت غَيْقَة - قال: وغَيْقَةُ عن يسار السقيا بينها وبين الفُرع ليلة وبين الفُرع والمدينة ثمانية بُرُد - قبل الشمس ؛ كنت هاديا بالطريق ؛ ولم أسلك المحاجّ وجئت من العِظْلم فتنكّبت عنها ، فلقيني رجل من قومى بغيقة ، فقال : ما وراءك ؟ قلت : لا شىء ؟ قُتلنا وأُسِرنا وانهزمنا ، فهل عندك من حُملان ؟ قال : فحملنى على بعير ، وزوّدنى زاداً ، حتى لقيت الطريق بالجحفة ، ثم مضيت حتى دخلت مكة ؛ وإنى لأنظر إلى الحيسمان بن حابس الخزاعى بالغميم ، فعرفت أنه يتقدم ينعى قريشا بمكة ، فلو أردت أن أسبقه لسبقته، فتنكّبت[2] عنه حتى سبقنى ببعض النهار، فقدمت وقد انتهى إلى مكة خبر قتلاهم، وهم يلعنون الخزاعىّ ، ويقولون : ما جاءنا بخير ! فمكثت بمكة ، فما كان بعد الخندق ، قلت: لو قدمت المدينة ، فنظرت ما يقول محمد ! وقد وقع فى قلبى الإسلام ، فقدمت المدينة ، فسألت عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالوا : هو ذاك فى ظل المسجد مع ملإ من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم ، فسلمت فقال : ياقباث بن أشيم ، أنت القائل يوم بدر : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النساء ! قلت : أشهد أنك رسول الله ، وأن هذا الأمر ما خرج منى إلى أحد قط ولا ترمرمت[3] به ؛ إلا شيئا حدثت به نفسى ، فلولا أنك نبىّ ما أطلعك الله عليه ؛ هلم حتى أبايعك فأسلمت[4] .

---

(١) الواقدى : « المحاج » .
(٢) ب : « فنكبت » ، وأثبت ما فى ا والواقدى .
(٣) ما ترمرمت به ؛ أى ما نطقت به .
(٤) مغازى الواقدى ٩٠ ، ٩١ .

قال الواقدى : وقد روى أنه لما توجّه المشركون إلى بدر كان فتيان ممّن تخلف عنهم بمكة سمّارا يسمرون بذى طُوًى فى القمر حتى يذهب الليل ، يتناشدون الأشعار ويتحدثون ، فبينام كذلك إذ سمعوا صوتا قريبا منهم ولا يرون القائل ، رافعا صوته يتغنّى :

أراد الحنيفيّون بدراً مصيبة ... سينقضّ منها ركنُ كِسرى وقيصرا
أرنّت لها صُمّ الجبال وأفزعت ... قبائل ما بين الوتير فخيبرا[1]
أجازت جبال الأخشبين وجُرّدت ... حرائرُ يضربن الترائبَ حُسّرا[2]

قال الواقدىّ : أنشدنيه[3] ، ورواه لى عبد الله بن أبى عُبيدة ، عن محمّد بن عمّار بن ياسر ، قال : فاستمعوا الصوت ، فلا يرون أحداً ، فخرجوا فى طلبه ، فلم يروا أحداً ، فخرجوا فزعين ، حتى جاروا الحِجْر ، فوجدوا مشيخةً منهم جلّةً سمّارا ، فأخبروهم الخبر ، فقالوا لهم : إنْ كان ماتقولون ، فإنّ محمدا وأصحابه يسمّون الحنيفيّة . قال : فلم يبق أحدٌ من الفتيان الّذين كانوا بذى طوًى إلا وَعِك ، فما مكثوا إلاّ ليلتين أو ثلاثا ، حتى قدم الحَيْسُمان[4] الخزاعىّ بخبر أهل بدر ، ومن قتل منهم ، فجعل يخبرهم ، فيقول : قتِل عتبة وشيْبة ابنا ربيعة ، وقتِل ابنا الحجاج وأبو البخترىّ ، وزمعة بن الأسود — قال : وصفوان بن أمية فى الحِجْر جالس يقول : لا يعقل هذا شيئاً مما يتكلّم به اسلوه عنّى ، فقالوا : صفوان بن أميّة لك به علم ؟ قال : نعم ، هو ذاك فى الحِجْر ، ولقد رأيت أباه وأخاه مقتولين ، ورأيت سُهيل بن عمرو والنّضر بن الحارث أسيرَيْن ، رأيتهما مقرونين فى الحبال[5] .

---

(١) كذا فى ا والواقدى ، وفى ب : « وخيبرا » .
(٢) كذا فى ا ، وفى ب : « الترائب وحسرا » (٣) الواقدى : « أنشدنى » .
(٤) فى الأصول : « الحيسان » ، والصواب ما أثبته من الواقدى والبلاذرى وابن هشام والطبرى .
(٥) مغازى الواقدى ١١٤

قال الواقدىّ : وبلغ النجاشىّ مقتلُ قريش وما ظفّر الله به(١) رسوله ، فخرج فى ثوبين أبيضين ، ثم جلس على الأرض ، ودعا جعفر بن أبى طالب وأصحابه ، فقال : أيّكم يعرف(٢) بدراً ؟ فأخبروه ، فقال : أنا عارف بها ، قد رعيتُ الغنم [فى](٣) جوانبها ، هى من الساحل على بعض نهار ، ولكنى أردتُ أن أتثبّت منكم ، قد نصر الله رسوله ببدر ، فاحمَدوا الله على ذلك . فقال بطارقته : أصلح الله الملك ! إن هذا شىء لم تكن تصنعه ، يريدون لبسَ البياض والجلوس على الأرض ، فقال : إن عيسى بن مريم كان إذا حدثَتْ له نعمة ازداد بها تواضعا(٤) .

قال الواقدىّ : فلمّا رجعت قريش إلى مكّة ، قام فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال : يامعشرَ قريش ، لا تبكوا على قتلاكم ، ولا تنحْ عليهم نائحة ، ولا يندبهم شاعر ، وأظهروا الجلد والعزاء ، فإنكم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم فأكلّكم [ذلك](٥) عن عداوة محمد وأصحابه ، مع أن محمداً إن بلغه وأصحابه ذلك شمتوا بكم ، فتكون أعظم المصيبتين ، ولعلّكم تدركون ثأركم ، فالدّهن والنساء علىّ حرام حتى أغزو محمداً . فمكثتْ قريش شهراً لا يبكيهم شاعر ، ولا تنوح عليهم نائحة .

قال الواقدىّ : وكان الأسود بن المطلب قد ذهب بصره ، وقد كَمِد على مَنْ قتل من ولده ، وكان يحبّ أن يبكى عليهم فتأبى عليه قريش ذلك ، فكان يقول لغلامه بين اليومين : ويلك ! احمل معى خمرا ! واسلك بى الفجّ الذى سلكه أبو حكيمة — يعنى زمعة ولده المقتول ببدر — فيأتى به غلامه على الطريق عند ذلك الفجّ فيجلس ، فيسقيه الخمر

(١) الواقدى : « نبيه » . (٢) الواقدى : « أين بدر » . (٣) من ا والواقدى

(٤) الواقدى ١١٥ : « تلبس ثوبين وتجلس على الأرض ؟ فقال : إنّا من قوم إذا أحدث الله لهم نعمة ازدادوا بها تواضعاً . ويقال : إنه قال : إن عيسى بن مريم عليه السلام كان إذا حدثت له نعمة ازداد بها تواضعاً » . والخبر فى الواقدى ١١٤

(٥) من الواقدى ١١٥ .

حتى ينتشى ، ثم يبكى على أبى حَكيمة وإخوته ، ثم يحثى التراب على رأسه ، ويقول لغلامه : ويحك !! اكتم علىّ ، فإنى أكره أن تعلم بى قريش ، إنى أراها لم تجمع البكاء على قتلاها[1] .

قال الواقدى : حدثنى مصعب بن ثابت عن عيسى بن معمر ، عن عبّاد بن عبد الله ابن الزبير ، عن عائشة قالت : قالت قريش حين رجعوا إلى مكة : لا تبكُوا على قتلاكم ، فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا فى أسراكم ، فيأرب[2] بكم القوم ، ألا فأمسكوا عن البكاء .

قال : وكان الأسود بن المطلب أصيب له ثلاثة من ولده : زمْعة وعقيل والحارث بن زمعة ، فكان يحب أن يبكى على قتلاه ، فبينا هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلامه — وقد ذهب بصره — : انظر ، هل بكت قريش على قتلاها ! لعلّى أبكى على أبى حَكيمة — يعنى زَمْعة — فإنّ جوفى قد احترق ، فذهب الغلام ورجع إليه ، فقال : إنّما هى امرأة تبكى على بعيرها قد أضلّته . فقال الأسود :

تبكّى أن يضلّ لها بعيرٌ	ويمنعها من النّوم السهودُ[3]
فلا تبكى على بَكْرٍ ولكن	على بَكْرٍ تصاغرت الجدُودُ[4]
فبكّى إن بكيت على عقيلٍ	وبكّى حارثًا أسَدَ الأسودِ
وبكّيهم ولا تَسِمى جميعًا[5]	فما لأبى حَكيمة من نديدِ

---

(١) مغازى الواقدى ١٤٤ (٢) فيأرب : فيشتد .

(٣) الخبر والشعر — مع اختلاف الرواية — فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ ، والشعر أيضاً فى ديوان الحماسة — بشرح المرزوقى ٢ : ٨٧٢ .

(٤) الحماسة : « تقاصرت الجدود » ، قال المرزوقى : « هو تفاعل من القصور والحجر ؛ لا القصر الذى هو ضد الطول » ، وفى الواقدى عن هشام : سمعت أبى ينشد « تصاغرت الجدود » ، ولا ينكر « الجدود » .

(٥) لا تسمى ، أى لا تسأمى .

هل بدر سَراة بنى هُصيص ومخـزوم ورهط أبى الوليـــد
ألا قد ساد بعدهمُ رجالٌ ولولا يومُ بدرٍ لم يســـودُوا

قال الواقدىّ : ومشت نساء من قريش إلى هند بنت عتبة ، فقلن : ألا تبكين على أبيك وأخيك وعمّك وأهل بيتك ! فقالت : حلأنى [(١)] أن أبكيهم ، فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بنا ونساء بنى الخزرج ، لا والله حتى أثأر محمدا وأصحابه ، والدّهن علىّ حرام إن دخل رأسى حتى نغزوَ محمدا ! والله لو أعلم أنّ الحزن يذهب عن قلبى لبكيتُ ، ولكن لا يذهبه إلا أن أرى ثأرى بعينى من قتلة الأحبّة ، فمكثت على حالها لا تقرب الدّهن ، ولا قربت فراش أبى سفيان من يوم حلفت حتى كانت وقعة أُحُد [(٢)] .

قال الواقدىّ : وبلغ نوفل بن معاوية الدّيلى وهو فى أهله ـ وقد كان شهد معهم بدرا ـ أنّ قريشا بكتْ على قتلاها؛ فقدم مكّة ، فقال: يامعشر قريش ، لقد خفّت أحلامكم ، وسفِه رأيكم ، وأطعتم نساءكم ، أمثل قتلاكم يبكى عليهم ! هم أجلّ من البكاء ، مع أنّ ذلك يذهب غيظكم عن عداوة محمد وأصحابه ، فلا ينبغى أن يذهب الغيظ عنكم ، إلا أن تدركوا ثأركم من عدوّكم . فسمع أبو سفيان بن حرب كلامه ، فقال : ياأبا معاوية ، غُلبت ، والله ما ناحت امرأة من بنى عبد شمس على قتيل لها إلى اليوم ، ولا بكاه شاعر إلا نهيتُه حتى ندرك ثأرنا من محمد وأصحابه ، وإنى لأنا الموتور الثائر ، قتل ابنى حنظلة، وسادة أهل هذا الوادى ؛ أصبح هذا الوادى مقشعرًا لفقدهم [(٣)] !

قال الواقدىّ : وحدّثنى معاذ بن محمد الأنصارىّ ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لما رجع المشركون إلى مكّة ، وقد قتل صناديدهم وأشرافهم ، أقبل عمير بن وهب بن عمير الجُمَحىّ حتى جلس إلى صفوان بن أمية فى الحِجْر ، فقال صفوان بن أمية : قبّح العيش

(١) حلأنى : منعنى
(٢) مغازى الواقدى ١١٦ ، ١١٧
(٣) مغازى الواقدى ١١٨

بعد قتلى بدر ! قال عمير بن وهب : أجل والله ، مافي العيش بعدهم خير ، ولولا دين علىّ لا أجد له قضاء ، وعيال لا أدع لهم شيئاً ، رحلتُ إلى محمد حتى أقتله إن ملأتُ عيني منه ؛ فإنه بلغني أنه يطوف في الأسواق ، فإن لي عندهم علة ، أقول : قدمت على ابني هـذا الأسير . ففرح صفوان بقوله ، وقال : يا أبا أمية ، وهل نراك فاعلا ؟ قال : إي ورب هـذه البنية ! قال صفوان : فعلىّ دينك ، وعيالك أسوة عيالي ، فأنت تعلم أنه ليس بمكة رجل أشد توسعا على عياله مني . قال عمير : قد عرفت ذلك يا أبا وهب . قال صفوان : فإن عيالك مع عيالي ، لا يسعني شيء ونعجز عنهم ، ودينك علىّ . فحمله صفوان على بعيره ، وجهزه وأجرى على عياله مثل ما يجري على عيال نفسه ، وأمر عمير بسيفه فشحذ وسم ، ثم خرج إلى المدينة ، وقال لصفوان : اكتم علىّ أياما حتى أقدمها . وخرج فلم يذكره صفوان ، وقدم عمير ، فنزل على باب المسجد ، وعقل راحلته ، وأخذ السيف فتقلده ، ثم عمد نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون[1] ، ويذكرون نعمة الله عليهم في بدر ، ورأى عميرا وعليه السيف ، ففزع عمر منه ، وقال لأصحابه : دونكم الكلب ! هـذا عمير بن وهب عدو الله الذي حرش بيننا يوم بدر ، وحزرنا للقوم ، وصعد فينا وصوب ، يخبر قريشا أنه لا عدد لنا ولا كمين . فقاموا إليه فأخذوه ، فانطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يارسول الله ؛ هذا عمير بن وهب ، قد دخل المسجد ومعه السلاح ، وهو الغادر الخبيث الذي لا يؤمن على شيء ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : أدخله علىّ ، فخرج عمر فأخذ بحمائل سيفه ، فقبض بيده عليها ، وأخذ بيده الأخرى قائم السيف ، ثم أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما رآه ، قال : ياعمر ، تأخر عنه ، فلما دنا عمير إلى النبي صلى الله عليـه وآله قال : أنعم صباحا ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله : قد أكرمنا الله عن تحيتك ، وجعل تحيتنا السلام ، وهي تحية أهل الجنة . قال عمير : إن عهدك بها لحديث ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : قد أبدلنا

---

(١) الواقدي : « فنظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو في نفر من أصحابه يتحدثون »

الله خيرا ، فما أقدمك ياعمير ؟ قال : قدمت فى أسيرى عندكم تفادونه وتقاربوننا فيه ، فإنكم العشيرة والأصل ! قال النبىّ صلى الله عليه وآله . فما بالُ السيف ! قال عمير : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنتْ من شىء ، إنما نسيته حين نزلت وهو فى رقبتى ، ولعمرى إنّ لى لهمًّا غيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أصدق ياعمير . ماالذى أقدمك ؟ قال : ماقدمت إلّا فى أسيرى ، قال صلى الله عليه وآله : فما شرطتَ لصفوان بن أميّة فى الحِجْر ؟ ففزع عمير ، وقال : ماذا شرطتُ له ؟ قال : تحمّلْتَ بقتلى ، على أن يقضىَ دينَك ، ويعول عيالَك ، والله حائل بينك وبين ذلك ! قال عمير : أشهد أنك رسول الله وأنك صادق ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، كنّا يارسول الله نكذّبك بالوحى ، وبما يأتيك من السماء ، وإن هذا الحديث كان بينى وبين صفوان كما قلت ، لم يطّلع عليه غيره وغيرى ، وقد أمرته أن يكتمه[1] ليالى ، فأطلعك الله عليه ، فآمنت بالله ورسوله ، وشهدت أنّ ماجئت به حق . الحمد لله الذى ساقنى هذا المساق ! وفرح المسلمون حين هداه الله ، وقال عمر بن الخطاب : لخنزيرٌ كان أحبّ إلىّ منه حين طلع ، وهو الساعة أحبّ إلىّ من بعض ولدى . وقال النبى صلى الله عليه وآله : « علّموا أخاكم القرآن ، وأطلقوا له أسيره » ، فقال عمير : يارسولَ الله ، إنّى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، فلله الحمد أن هدانى ، فأْذنْ لى فألحق قريشا فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، فلعل الله يهديهم ويستنقذهم من الهلكة ـ فأذن له فخرج ، فلحق بمكّة ـ وكان صفوان يسأل عن عمير بن وهب كل راكب يقدم من المدينة ، يقول : هل حدَث بالمدينة من حدث ؟ ويقول لقريش : أبشروا بوقعةٍ تنسيكم وَقْعة بدر ـ فقدم رجل من المدينة فسأله صفوان عن عمير ، فقال : أسلمَ ، فلعنه صفوان ولعنه المشركون بمكّة ، وقالوا : صبأ عمير ، وحلف صفوان ألّا يكلمه أبدا ، ولا ينفعه ، وطرح عياله . وقدم عمير ، فنزل فى أهله ، ولم يأتِ صفوان ، وأظهر الإسلام ، فبلغ صفوانَ : فقال : قد عرفت حين لم يبدأ بى قبل منزله ، وقد كان رجل أخبرنى أنه ارتكس ، لا أكلّمه من رأسى

(١) ا : « يكتم عنى » .

أبدا ، ولا أنفعه ولا عياله بنافعة أبدا ، فوقع عينيه عُمَير وهو فى الحجر فقال : يا أبا وهب ، فأعرض صفوان عنه ، فقال عمير : أنت سيّد من ساداتنا ، أرأيت الذى كنّا عليه من عبادة حَجَر ، والذبح له ! أهـذا دين ! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فلم يجبه صَفْوان بكلمة ، وأسلم مع عمير بشر كثير (١).

قال الواقدىّ : وكان فِتيةٌ من قريش خمسة قد أسلموا ، فاحتبسهم آباؤهم ، فخرجوا مع أهليهم وقومهم إلى بدر ، وهم على الشكّ والارتياب ، لم يخلصوا إسلامهم ؛ وهم : قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن زمعة بن الأسود ، وعلىّ بن أميّة بن خلف ، والعاص بن منبّه بن الحجاج ، فلما قدموا بدراً ، ورأوا قلة أصحاب النبى صلى الله عليه وآله ، قالوا : غرّ هؤلاء دينهم ، ففيهم أنزل : ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ (٢) ، ثم أنزل فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ (٣) إلى تمام ثلاث آيات (٤).

قال : فكتب بها المهاجرون بالمدينة إلى من أقام بمكة مسلما ، فقال جندب بن ضمرة الخزاعىّ : لا عذر لى ولا حجّة فى مقامى بمكة - وكان مريضاً - فقال لأهله : أخرجونى ، لعلى أجد رَوْحاً ! قالوا : أىّ وجهٍ أحبّ إليك ؟ قال : نحو التنعيم ! فخرجوا به إلى التنعيم ، وبين التنعيم ومكّة أربعة أميال من طريق المدينة - فقال : اللهمّ إنى خرجت إليك مهاجرا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ... ﴾ (٥) الآية ، فلما رأى ذلك من كان بمكة ممن يطيق الخروج ، خرجوا ، فطلبهم أبو سفيان فى رجال من المشركين ،

(١) مغازى الواقدى ١١٧ - ١٢٣
(٢) سورة الأنفال ٤٩
(٣) سورة النساء ٩٧ وما بعدها
(٤) مغازى الواقدى ٦٧
(٥) سورة النساء ١٠٠

فردُّوهم وسجنوهم ، فافتتن منهم ناس ، وكان الذين افتتنوا إنما افتتنوا حين أصابتهم البلاء فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ.. ﴾ [1] الآية وما بعدها ، فكتب بها المهاجرون بالمدينة إلى مَن كان بمكة مسلما ، فلما جاءهم الكتاب بما أنزل فيهم ، قالوا : اللهمّ إنّ لك علينا إن أفلتنا ألّا نعدل بك أحدا ، فخرجوا الثانية ، فطلبهم أبو سفيان والمشركون ، فأعجزوهم هربا في الجبال ، حتى قدموا المدينة ، واشتدّ البلاء على مَن ردُّوا من المسلمين ، فضربوهم وآذوهم وأكرهوهم على ترك الإسلام ، ورجع ابن أبي سَرْح مشركا ، فقال لقريش : ما كان يعلّم محمدا إلا ابن قمطة [2] ، عبد نصراني ، لقد كنت أكتب له فأحوّل ما أردت، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ [3] ... ﴾ الآية [4]

* * *

القول في نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتها المشركين

اختلف المسلمون في ذلك ، فقال الجمهور منهم : نزلت الملائكة حقيقة ، كما ينزل الحيوان والحجر من الموضع العالي إلى الموضع السافل .

وقال قوم من أصحاب المعاني غير ذلك .

واختلف أرباب القول الأول ، فقال الأكثرون : نزلت وحاربت ، وقال قوم منهم : نزلت ولم تحارب ، وروى كلّ قوم في نُصْرة قولهم روايات .

فقال الواقديّ في كتاب " المغازي " : وحدّثني عمر بن عقبة ، عن شعبة مولى ابن عباس ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما تواقف الناس أغمي على رسول الله صلى

(١) سورة العنكبوت ١٠

(٢) كذا في الأصول ومغازي الواقدي ، وفي تفسير القرطبي ١٠ : ١٧٧ ، اسمه جبر ، وقيل اسمه يعيش

(٣) سورة النحل ١٠٣ (٤) مغازي الواقدي ٦٧

الله عليه وآله ساعة ، ثم كشف عنه فبشّر المؤمنين بجبرائيل فى جُنْد من الملائكة فى ميمنة الناس ، وميكائيل فى جند آخر فى ميسرة الناس ، وإسرافيل فى جند آخر فى ألف ، وكان إبليس قد تصور للمشركين فى صورة سُراقة بن جعشم المدلجىّ ، يذمر المشركين ، ويخبرهم أنه لا غالب لهم من الناس ، فلما أبصر عدوّ الله الملائكةَ نكص على عقبيه ، وقال : ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ ، فتشبث به الحارث بن هشام ، وهو يرى أنه سُراقة لما سمع من كلامه ، فضرب فى صدر الحارث ، فسقط الحارث ، وانطلق إبليس لا يرى حتى وقع فى البحر ، ورفع يديه قائلا : يا رب موعدك الذى وعدتنى ! وأقبل أبو جهل على أصحابه يحضهم على القتال وقال : لا يغرنكم خذلان سراقة بن جعشم إياكم ، فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه ، سيعلم إذا رجعنا إلى قُدَيد ما نصنع بقومه ! ولا يهولنكم مقتل عُتْبة وشيبة والوليد ، فإنهم عجلوا و بطروا حين قاتلوا ، وايمُ الله لا نرجع اليوم حتى نقرن محمدا وأصحابه فى الحبال ، فلا ألفينّ أحدا منكم قتل منهم أحدا ، ولكن خذوهم أخذاً نعرفهم بالذى صنعوا ، لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد آباؤهم .

قال الواقدىّ : وحدثنى عُتبة بن يحيى ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع ، عن أبيه ، قال : إن كنا لنسمع لإبليس يومئذ خُواراً ودعاء بالثُّبور والويل ، وتصوّر فى صورة سراقة ابن جعشم حتى هرب ، فاقتحم البحر ، ورفع يديه مادًّا لها ، يقول : يارب ما وعدتنى ! ولقد كانت قريش بعد ذلك تعيّر سراقة بما صنع يومئذ ، فيقول : والله ماصنعت شيئا !

قال الواقدىّ : فحدثنى أبو إسحاق الأسلمىّ ، عن الحسن بن عبيد الله ، مولى بنى العباس ، عن عمارة الليثىّ ، قال : حدثنى شيخٌ صيّاد من الحىّ — وكان يومئذ على ساحل البحر — قال : سمعت صياحاً : ياويلاه ! ياويلاه ! قد ملأ الوادى : ياحرباه ياحرباه ! فنظرتُ فإذا سراقة بن جعشم ، فدنوت منه ، فقلت : مالك فداك أبى وأمى ! فلم يَرجِع إلىّ شيئاً ، ثم أراه اقتحم البحر ، ورفع يديه مدًّا ، يقول : يا رب ما وعدتنى ! فقلت

فى نفسى : جُنّ وبيت الله سراقة ! وذلك حين زاغت الشمس ، وذلك عند انهزامهم يوم بدر [١] .

قال الواقدى : قالوا : كانت سيماء الملائكة عمائم قد أرخوها بين أكتافهم ، خضراء وصفراء وحمراء من نور ، والصوف فى نواصى خيلهم .

قال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر ، عن محمود بن لبيد ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : «إن الملائكة قد سوّمت فسوّموا» ، فأعلم المسلمون بالصّوف فى مغافرهم وقلانسهم [٢] .

قال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح قال : كان أربعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يعلَمون [٣] فى الزّحوف : حمزة بن عبد المطلب كان يوم بدر معلِما بريشة نعامة ، وكان على عليه السلام معلِما بصوفة بيضاء ، وكان الزبير معلِما بعصابة صفراء ، وكان أبو دجانة يعلم بعصابة حمراء وكان الزبير يحدث أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق عليها عمائم صفر فكانت على صورة الزبير .

قال الواقدى : فروى عن سُهيل بن عمرو ، قال : لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلِمين يقتلون ويأسرون .

قال الواقدى : وكان أبو أسيد الساعدى يحدّث بعد أن ذهب بصرُه ، ويقول : لو كنت معكم الآن ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشّعب الذى خرجت منه الملائكة ، لا أشكّ فيه ولا أمترى ! قال : وكان أسيد يحدّث عن رجل من بنى غفار حدّثه ، قال : أقبلت أنا وابن عمّ لى يوم بدر ، حتى صعدنا على جبل ، ونحن يومئذ على الشرك ننظر الوقعة وعلى من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب ، إذ رأيت سحابة دنت منّا ، فسمعت منها

---

(١) مغازى الواقدى ٧٠ (٢) مغازى الواقدى ٧٠

(٣) يقال : رجل معلِم بكسر اللام ؛ إذا علم مكانه فى الحرب بعلامة أعلمها .

حمحمة الخيل ، وقعقعة الحديد ، وسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم ! فأما ابنُ عمّى ، فانكشف قناع قلبه ، فمات ، وأما أنا فكدت أهلك ، فتماسكت وأتبعت بصرى حيث تذهب السحابة ، فجاءت إلى النبى صلى الله عليه وأصحابه ، ثم رجعت ، وليس فيها شئ مما كنت أسمع .

قال الواقدى : وحدثنى خارجة بن إبراهيم بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، عن أبيه ، قال : سأل رسول الله صلى الله عليه وآله جبرائيل : مَنْ القائل يوم بدر : أقدم حيزوم ؟ فقال جبرائيل : يا محمد ، ما كلّ أهل السماء أعرف .

قال الواقدى : وحدثنى عبد الرحمن بن الحارث ، عن أبيه ، عن جده ، عبيدة بن أبى عبيدة ، عن أبى رُهْم الغفارى [عن ابن عم له] ، قال : بينا أنا وابن عمّ لى على ماء بدر ، فلما رأينا قلّة من مع محمد وكثرة قريش ، قلنا : إذا التقت الفئتان عمدنا إلى عسكر محمد وأصحابه فانتهبناه ، فانطلقنا نحو المجنبة اليسرى من أصحاب محمد ، ونحن نقول : هؤلاء ربع قريش ، فبينا نحن نمشى فى الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا ، فرفعنا أبصارنا لها ، فسمعنا أصوات الرجال والسلاح ، وسمعنا قائلا يقول لفرسه : « أقدم حيزوم » ، وسمعناهم يقولون : « رويدا تتامّ أخراكم » ، فنزلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم جاءت أخرى مثل تلك فكانت مع النبى صلى الله عليه وآله ، فنظرنا إلى أصحاب محمد وإذاهم على الضّعف من قريش ، فمات ابنُ عمّى ، وأمّا أنا فتماسكت ، وأخبرت النبى صلى الله عليه وآله بذلك ، وأسلمت .

قال الواقدى : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال « ما رُئِىَ الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغضب منه فى يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من نزول الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام ، إلا ما رأى يوم بَدْر » ، قيل : وما رأى

يا رسول الله يوم بدر ؟ قال : أما إنه رأى جبرائيل يوزّع للملائكة . قال : وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال يومئذ : « هذا جبرائيل يسوق بريح ، كأنه دِحْيَة الكلبيّ ، إنى نُصرت بالصَّبا وأهلكت عاد بالدَّبور »[١] .

قال الواقدى : وكان عبد الرحمن بن عوف يقولُ : رأيتُ يوم بَدْر رجلين ؛ أحدهما عن يمين النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، والآخر عن يساره ، يقاتلان أشدّ القتال ، ثم ثلثهما ثالث مِنْ خَلْفه ، ثم ربعهما رابع أمامه[٢] .

قال : وقد روى سعد بن أبى وقاص مثل ذلك ، قال : رأيت رجلين يوم بدر يقاتلان عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، أحدُهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وإنى لأراه ينظر إلى ذا مَرّة ، وإلى ذا مرّة ، سرورا بما فتحه[٣] الله تعالى[٤] .

قال الواقدىّ : وحدّثنى إسحاق بن يحيى ، عن حمزة بن صُهَيب ، عن أبيه ، قال : ماأدرى كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يَدْمَ كَلْمُها يوم بَدْر ، قد رأيتها[٥] .

قال الواقدىّ : وروى أبو بُرْدة بن نيار ، قال : جئتُ يوم بدْر بثلاثة رءوس فوضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقلت : يارسول الله ، أمّا اثنان فقتلتهما ، وأمّا الثالث فإنى رأيتُ رجلا طويلا أبيض ضربه فتدهده[٦] أمامه ؛ فأخذت رأسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك فلان من الملائكة[٧] » .

قال الواقدىّ : وكان ابنُ عباس رحمه الله ، يقول : لم تقاتل الملائكة إلّا يوم بدر[٧] .

---

(١) مغازى الواقدى ٧٢
(٢) مغازى الواقدى ٧٣
(٣) الواقدى : « ظفره الله » .
(٤) مغازى الواقدى ٧٣
(٥) مغازى الواقدى ٧٣
(٦) تدهده : تدحرج ، وفى الواقدى « تدهدى »
(٧) مغازى الواقدى ٧٣

قال : وحدثنى ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان الملك يتصور فى صورة من يعرفه المسلمون من الناس [١] ليثبتهم ، فيقول : إنى قد دنوتُ من المشركين ، فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا لهم ، وليسوا بشىء ، فاحملوا عليهم ؛ وذلك قول الله عز وجل : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا . . .﴾ [٢] الآية [٣] .

قال الواقدى : وحدثنى موسى بن محمد ، عن أبيه ، قال : كان السائب بن أبى حُبَيش الأسدى يحدّث فى زمن عمر بن الخطاب ، فيقول : والله ما أسرنى يوم بدر أحدٌ من الناس ، فيقال : فمن ؟ فيقول : لما انهزمتْ قريش انهزمتُ معها فيدركنى رجل أبيض طويل ، على فرس أبلق بين السماء والأرض ، فأوثقنى رباطا ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدنى مربوطاً ، وكان عبد الرحمن ينادى فى العسكر : مَن أسرَ هذا ؟ فليس أحد يزعم أنه أسرنى ، حتى انتهى بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى رسول الله : يابن أبى حُبيش ، مَن أسرك ؟ فقلت : لا أعرفه ، وكرهت أن أخبره بالذى رأيت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أسره مَلَك من الملائكة كريم ، اذهب يابن عوف بأسيرك » ، فذهب بى عبدُ الرحمن . قال السائب : ومازالت تلك الكلمة أحفظُها ، وتأخر إسلامى حتى كان من إسلامى ما كان [٤] .

قال الواقدى : وكان حكيم بن حزام ، يقول : لقد رأيتُنا يوم بدر ، وقد وقع بوادى خلص بجاد من السماء قد سدّ الأفق — قال ووادى خلص ناحية الرُّوَيثة — قال : فإذا الوادى يسيل نملًا ، فوقع فى نفسى أن هذا شىء من السماء أيّد به محمد ، فما كانت إلا الهزيمة ، وهى الملائكة [٥] .

---

(١) الواقدى : « من تعرفون من الناس » .
(٢) سورة الأنفال ١٢
(٣) مغازى الواقدى ٧٣ ، ٧٤
(٤) مغازى الواقدى ٧٤
(٥) مغازى الواقدى ٧٤ ، ٧٥

قال الواقديّ : وقد قالوا : إنه لمّا التحم القتال ، ورسول الله صلى الله عليه وآله رافع يدَه يسأل الله النّصر وما وعده ، ويقول : «اللهمّ إن ظهرت على هذه العصابة ، ظهر الشرْك ؛ ولا يقوم لك دين» ، وأبو بكر يقول : والله لينصرنّك الله وليبيضنّ وجهك ، فأنزل الله تعالى ألفاً من الملائكة مردفين عند أكتاف العدو ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا أبا بكر ، أبشرْ ، هذا جبرئيل معتجرٌ بعمامة صفراء ، آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض» ، ثم قال : إنه لما نزل الأرض تغيّب عنّي ساعة ، ثم طلع على ثناياه النقع ، يقول : أتاك النّصر من الله إذ دعوته[1] .

قال الواقديّ : وحدّثني موسى بن يعقوب ، عن عمّه ، قال : سمعتُ أبا بكر بن سليمان بن أبي حيثمة ، يقول : سمعت مَرْوان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدر ، فجعل الشيخ يكره ذلك ، حتى ألحّ عليه ، فقال حكيم : التقينا فاقتتلنا ، فسمعت صوتاً وقع من السماء إلى الأرض مثل وقع الحصاة في الطست ، وقبض النبي صلى الله عليه وآله القبضة ، فرمى بها فانهزمنا .

قال الواقديّ : وقد روى عبد الله بن ثعلبة بن صغير ، قال : سمعتُ نوفل بن معاوية الدِّؤَليّ ، يقول : انهزمنا يوم بَدْر ، ونحن نسمع كوقع الحصا في الطِّساس بين أيدينا ومن خلفنا ، فكان ذلك أشدّ الرّعب علينا .

* * *

فأما الذين قالوا : نزلت الملائكة ولم تقاتل ، فذكر الزمخشري في كتابه في تفسير القرآن المعروف "بالكشاف" أن قوماً أنكروا قتال الملائكة يوم بَدْر ؛ وقالوا : لو قاتل واحدٌ من الملائكة جميع البشر لم يثبتوا له ولا ستأصلهم بأجمعهم ببعض قوته ، فإنّ جبرائيل عليه السلام رفع مدائن قوم لوط — كما جاء في الخبر — على خافقة من جناحه ،

---

(١) مغازي الواقدي ٧٥ ، ٧٦

حتى بلغ بها إلى السماء ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها ، فما عسى أن يبلغ قوة ألف رجل من قريش ليحتاج في مقاومتها وحربها إلى ألف ملك من ملائكة السماء مضافين إلى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من بنى آدم ! وجعل هؤلاء قوله تعالى : ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ... ﴾[1] أمرا للمسلمين لا أمرا للملائكة .

ورووا في نصرة قولهم روايات ، قالوا : وإنما كان نزول الملائكة ليكثروا سواد المسلمين في أعين المشركين ، فإنهم كانوا يرونهم في مبدأ الحال قليلين في أعينهم ، كما قال تعالى : ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ ...﴾[2] ، ليطمع المشركون فيهم ويجترءوا على حربهم ، فلما نشبت الحرب كثرهم الله تعالى بالملائكة في أعين المشركين ليفروا ولا يثبتوا . وأيضا فإن الملائكة نزلت وتصورت بصور البشر الذين يعرفهم المسلمون ، وقالوا لهم ما جرت العادة أن يقال مثله من تثبيت القلوب يوم الحرب ، نحو قولهم : ليس المشركون بشيء ، لا قوة عندهم ، لا قلوب لهم ، لو حملتم عليهم لهزمتموهم . . . وأمثال ذلك .

ولقائل أن يقول : إذا كان قادرا على أن يقلل ثلثمائة إنسان في أعين قريش حتى يظنوهم مائة ، فهو قادر على أن يكثرهم في أعين قريش بعد التقاء حلقتي البطان ، فيظنوهم ألفين وأكثر من غير حاجة إلى إنزال الملائكة .

فإن قلت : لعل في إنزالهم لطفا للمكلفين .

قلت : ولعل في محاربتهم لطفا للمكلفين ؟ وأما أصحاب المعاني فإنهم لم يحملوا الكلام على ظاهره ، ولهم في تأويله قول ليس هذا موضع ذكره .

* * *

(١) سورة الأنفال ١٢ (٢) سورة الأنفال ٤٤

القول فيما جرى فى الغنيمة

والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكة

قال الواقدى : لما تصافّ المشركون والمسلمون ، قال النبى صلى الله عليه وآله : « مَنْ قَتَل قتيلا فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيرا فله كذا وكذا » ، فلمّا انهزم المشركون كان النّاس ثلاث فرق ؛ فرقة قامت عند خَيْمة رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وكان أبو بكر معه فى الخيمة ـ وفرقة أغارت على النّهْب تنتهب ، وفرقة طلبت العدوّ فأسروا وغنموا ، فتكلّم سعد بن مُعاذ ـ وكان ممّن أقام على خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ، مامنعنا أن نطلب العدوّ زهادةٌ فى الأجر ، ولا جبنٌ عن العدوّ ، ولكنا خفنا أن نعرى موضعك ، فيميل عليك خيلٌ من خيل المشركين ورجال من رجالهم ، وقد أقام عند خيمتك وجوهُ الناس من المهاجرين والأنصار ، والناس كثير ، ومتى تُعْطِ هؤلاء لا يبق لأصحابك شىء ، والقتلى والأسرى كثير ، والغنيمة قليلة ، فاختلفوا فأنزل الله عزّوجلّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ الآية ، فرجع المسلمون ، وليس لهم من الغنيمة شىء ، ثم أنزل الله فيما بعد : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ . . . ﴾ [1] فقسمه عليهم بينهم .

قال الواقدى : وقد روى عبادة بن الوليد بن عبادة عن جدّه عبادة بن الصامت ، قال : سلّمنا الأنفال يوم بدر لله وللرسول ، ولم يخمّس رسول الله صلى الله عليه وآله بدراً ، ونزلت بعد : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بالمسلمين

---

(١) سورة الأنفال ٤١ .

الخمس فيما كان من أول غنيمة بعد بدر.

قال الواقديّ : وقد روى عن أبى أُسيد الساعدىّ مثله .

وروى عكرمة ، قال : اختلف الناس فى الغنائم يوم بدر ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالغنائم أن تردّ فى المقسم ، فلم يبق منها شىء إلا ردّ . وظن أهلُ الشجاعة أنه صلى الله عليه وآله يخصّهم بها دون غيرهم من أهل الضعف ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن تقسّم بينهم على سواء ، فقال سعد بن أبى وقاص : يارسولَ الله تعطى فارس القوم الذى يحميهم مثل ماتعطى الضعيف ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « ثكلتك أمك ! وهل تُنصرون إلّا بضعفائكم ! » .

قال الواقديّ : فروى محمد بن سهل بن خيثمة ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن تردّ الأسرى والأسلاب ، وما أخذوا من المغنم ، ثم أقرع بينهم فى الأسرى ، وقسّم أسلاب المقتولين الذين يُعرف قاتلوهم بين قاتليهم ، وقسّم ماوجده فى العسكر بين جميع المسلمين عن فُواق .

قال الواقديّ : وحدّثنى عبد الحميد بن جعفر ، قال : سألتُ موسى بن سعد بن زيد ابن ثابت . كيف فعل النبى صلى الله عليه وآله يوم بدر فى الأسرى والأسلاب والأنفال ؟ فقال : نادى مناديه يومئذ : مَنْ قتل قتيلا فله سلبُه ، ومن أسر أسيرا فهو له ، وأمر بما وجد فى العسكر وما أخذ بغير قتال ، فقسّمه بينهم عن فواق . فقلت لعبد الحميد : فلمن أعطى سلَب أبى جهل ؟ فقال : قد قيل : إنه أعطاه مُعاذ بن عمرو بن الجموح ، وقيل : أعطاه ابنَ مسعود .

قال : وأخذ علىّ عليه السلام دِرْع الوليد بن عُتْبة وبيضته ومِغْفره ، وأخذ حمزة سلاح عُتْبة ، وأخذ عُبيدة بن الحارث سلاحَ شيبة ، ثم صار إلى ورثته .

قال الواقدىّ : فكانت القسمة على ثلثمائة وسبعة عشر سهما ، لأنّ الرجال كانت ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ، وكان معهم فرسان لهم أربعة أسهم ، وقسم أيضا فوق ذلك ثمانية أسهم ، لم يحضروا، ضرب لهم بسهامهم وأجورهم ، ثلاثة من المهاجرين لا خلاف فيهم، وهم : عثمان بن عفان خلّفه رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته رقيّة وماتت يوم قدم زيد بن حارثة بالبشارة إلى المدينة ، وطلحة بن عُبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وآله يتحسّسان خبر العير . وخمسة من الأنصار هم : أبو لُبابة بن عبد المنذر ، خلّفه على المدينة ، وعاصم بن عدىّ ، خلّفه على قُباء وأهل العالية ، والحارث بن حاطب أمره بأمر في بني عمرو بن عوف ، وخوّات بن جُبير كُسِر بالروحاء ، والحارث بن الصِّمّة مثله ، فلا اختلاف في هؤلاء . واختلف في أربعة غيرهم ، فروى أنّه ضرب لسعد بن عبادة بسهمه (وأجره ، وقال) : لئن لم يشهدها لقد كان فيها راغباً ، وذلك أنّه كان يحضّ الناس على الخروج إلى بدر ، فنُهِش فمنعه ذلك من الخروج .

وروى أنّه ضرب لسعد بن مالك الساعدىّ بسهمه وأجره ، وكان تجهّز إلى بدر ، فمرض بالمدينة ، فمات خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأوصى إليه عليه السلام

وروى أنّه ضرب لرجلين آخرين من الأنصار ولم يسمّهما ، الواقدى وقال : هؤلاء الأربعة غير مجمع عليهم كإجماعهم على الثمانية .

قال : وقد اختلف : هل ضرب بسهم في الغنيمة لقتلى بدر ؟ فقال الأكثرون : لم يضرب لهم ، وقال بعضهم : بل ضرب لهم ؛ حدّثنى ابن أبى سَبْرة ، عن يعقوب بن زيد ، عن أبيه ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ضرب لشهداء بدر أربعة عشر رجلا . قال : وقد قال عبدالله ابن سعد بن خَيْثمة : أخذنا سَهْم أبى الذى ضرب له رسول الله صلى الله عليه وآله حين

قسم الغنائم ، وجاء إليها عُوَيمر بن ساعدة . قال : وقد روى السائب بن أبي لُبابة ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أسْهم لمبشّر بن عبد المنذر ، قال : وقد قدم سهمه علينا مَعْن بن عدي .

قال الواقدي : وكانت الإبل التي أصابوا يومئذ مائة وخمسين بعيراً ، وكان معه أدَمٌ كثير ، حملوه للتجارة ،فغنمه المسلمون يومئذ ، وكان فيما أصابوا قطيفة حمراء ، فقال بعضهم : مالنا لا نرى القطيفة ! ما نرى رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أخذها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ [١] . وجاء رجل رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : يارسول الله ، إن فلانا غلّ قطيفة ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله الرّجلَ ، فقال : لم أفعل ، فقال الدالّ : يارسولَ الله ، احفروا هاهنا ، فحفرنا فاستخرجت القطيفة ، فقال قائل : يارسولَ الله ، استغفر لفلان مرّتين ؛ أو مرارا ، فقال عليه السلام : دعونا من أبي حرّ .

قال الواقدي : وأصاب المسلمون من خيولهم عشرة أفراس ، وكان جمل أبي جهل فيما غنموه ، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله ، فلم يزل عنده يضرب في إبله ويغزو عليه حتى ساقه في هدْى الحديبية ، فسأله يومئذ المشركون الجمل بمائة بعير ، فقال : لولا أنّا سمّيناه في الهَدْى لفعلنا .

قال الواقدي : وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله صَفِيّ [٢] من الغنيمة قبل القسمة ، فتنفّل سيفه ذا الفَقار يومئذ ، كان لمنبّه بن الحجاج . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد غزا إلى بدر بسيف وهبه له سعد بن عبادة يقال له العَضْب .

قال : وسمعت ابن أبي سَبْرة ، يقول : سمعت صالح بن كيسان ، يقول : خرج رسول

(١) سورة آل عمران ١٦١

(٢) الصفي من الغنيمة : نصيب الرئيس

الله صلى الله عليه وآله يوم بَدْر ، وما معه سيف ، وكان أوّل سيف قلّده سيف منبّه بن الحجاج غنمه يوم بدر .

وقال البلاذُري : كان ذُو الفقار للعاص بن منبّه بن الحجّاج ، ويقال : لمنبّه ، ويقال لشيبة ، والثّبت عندنا أنه كان للعاص بن منبّه .

قال الواقديّ : وكان أبو أُسيد الساعديّ بعد ذِكر الأرقم بن أبي الأرقم ، يقـول : ما يوى منه بواحد ، فيقال . ما هـذا هو ؟ فيقول : أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين أنْ يردّوا يومَ بدْر ما في أيديهم من النعم ، فرددت سيف أبي عائذ المخزوميّ — واسم السيف المرزبان ، وكان له قيمة وقدْر — وأنا أطمع أن يردّ إليّ ، فكلّم الأرقم رسول الله صلى الله عليه وآله فيه — وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمنع شيئاً يسأله — فأعطاه السيف . وخرج بنيّ له يفعة[1] ، فاحتمله الغُول ، فذهبت به متوركة ظهرا ، فقيل لأبي أسيد : وكانت الغيلان في ذلك الزمان ؟ فقال : نعم ، ولكنها قد هلكت ، فلقى بني الأرقم بن أبي الأرقم ، فبهش[2] إليه باكيا مستجيرا به ، فقال : مَنْ أنت ؟ فأخبره ، فقالت الغول: أنا حاضنتُه ، فلها عنه والصبيّ يكذبها ، فلم يعرّج عليه حتى الساعة ، فخرج من داري فرس لي ، فقطع رَسَنه ، فلقيه الأرقم بالغابة فركبه ؛ حتى إذا دنا من المدينة أفلت منه فتصدر إليّ أنه أفلت منّي ، فلم أقدر عليه حتى ساعة .

قال : وروى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله يومَ بدْر سيف العاص بن منبّه ، فأعطاه ، قال . وأخذ عليه السلام مماليك حضروا بدراً ، ولم يسهم لهم وهم ثلاثة أعبد ، غلام لحاطب بن أبي بلتعة ، وغلام لعبد الرحمن بن

---

(١) غلام يفع ويفعة ، إذا كان مترعرعاً .

(٢) بهش إليه : خف إليه .

عوف ، وعلام لسعد بن معاذ ، واستعمل صلى الله عليه وآله شُقران علامه على الأسرى ، فأخذوا من كلّ أسيرما لو كان حُرّاً ما أصابه فى القَسم .

وروى عامر بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه ، قال : رميتُ سهيل بن عمرو يوم بدر فقطعت نساه ، فاتبعت أثر الدم حتى وجدتُه قد أخذه مالك بن الدخشم ، وهو ممسك ناصيته ، فقلت : أسيرى رميتُه ! فقال : أسيرى أخذته ! فأتينا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذه منا جميعا ، وأفلت سهيل بالرَّوحاء ، فصاح عليه السلام بالناس ، فخرجوا فى طلبه ، فقال صلى الله عليه وآله : مَنْ وجـده فليقتله ، فوجـده هو صلى الله عليه وآله فلم يقتله .

قال الواقدىّ : وأصـاب أبو بردة بن نيار أسيراً من المشركين ، يقال له معبد ابن وَهْب ، من بنى سعد بن ليث ، فلقيه عمر بن الخطاب وكان عمر يحضّ على قتـل الأسرى ، لا يرى أحدا فى يديه أسير إلاّ أمر بقتله ، وذلك قبل أن يتفرّق الناس ، فلقيه معبد وهو أسير مع أبى بُردة ، فقال : أترون يا عمر أنكم قد غلبتم ؟ كلاّ واللاّت والعزّى ! فقال عمر : عباد الله المسلمين ، أتتكلم وأنت أسير فى أيدينا ! ثم أخذه من أبى بُردة فضرب عنقه ـ ويقال : إن أبا بُردة قتله .

قال الواقدىّ : وروى أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر بن سعد ، قال : قال النبى صلى الله عليه وآله يومئـذ : « لا تخبروا سعدا بقتـل أخيه فيقتل كلّ أسير فى أيديـكم » .

قال الواقدىّ : ولمـا جىء بالأسرى كره ذلك سعد بن معاذ ، فقـال له رسول الله صلى الله عليه وآله : كأنه شقّ عليك أن يؤسروا ! قال : نعم يارسول الله ، كانت أوّل

وقعة التقينا فيها بالمشركين فأحببتُ أن يُذلّهم الله ، وأن يثخن فيهم القتل .

قال الواقدىّ : وكان النّضر بن الحارث أسَره المقداد يومئذ ، فلمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر ، فكان بالأُثَيْل عُرِض عليه الأسرى ، فنظر إلى النّضر بن الحارث فأبّده البصر ، فقال لرجل إلى جنبه : محمد والله قاتلى ! لقد نظر إلىّ بعينين فيهما الموت ! فقال الذى إلى جنبه : والله ما هذا منك إلا رعب ، فقال النضر لمصعب بن عمير : يامصعب ، أنت أقرب من هاهنا بى رحمًا ؛ كلّم صاحبك أن يجعلنى كرجل من أصحابى ، هو والله قاتلى إن لم تفعل ، قال مصعب : إنك كنت تقول فى كتاب الله كذا كذا ، وتقول فى نبيّه كذا وكذا ، قال : يامصعب ؛ فليجعلنى كأحد أصحابى ، إن قتلوا قتلت ، وإن منّ عليهم منّ علىّ . قال مصعب : إنك كنت تعذّب أصحابه ، قال : أما والله لو أسرتك قريش ما قتلت أبدا وأنا حىّ . قال مصعب : والله إنى لأراك صادقا ، ولكن لست مثلك ، قطع الإسلام العهود .

قال الواقدىّ : وعرضت الأسرى على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فرأى النّضر ابن الحارث ، فقال : اضربوا عنقه ، فقال المقداد : أسيرى يارسول الله ! فقال اللهمّ أغنِ المقداد من فضلك ، قم يا علىّ فاضرب عنقه ، فقام علىّ فضرب عنقه بالسيف صبرا ، وذلك بالأُثيل ، فقالت أخته[1] :

يارا كبًا إنّ الأُثيلَ مَظِنّةٌ ... مِنْ صُبْحِ خامسة وأنت مُوَفَّقُ[2]

بلّغْ به مَيْتًا فإنّ تحيّةً ... ما إنْ تزالُ بها الرّكائب تخفِقُ

منّى إليه وعَبرةً مسفوحةً ... جادتْ لمائحها ، وأخرى تخنُقُ

---

(١) واسمها قتيلة ، ذكرها التبريزى فى الحماسة .

(٢) الأبيات فى ديوان الحماسة ٣ : ١٧ — بشرح التبريزى

فليسمعنَّ النَّضْر إن ناديتَـه ... إن كان يسمـع ميِّت أو ينطقُ
ظَلَّتْ سيوفُ بنى أبيه تنوشُه ... لله أرحامٌ هنـاك تمزَّق ! (١)
صبراً يقـاد إلى المدينـة راغماً ... رَسْفَ المقيَّد وهو عانٍ مُوثَقُ (٢)
أمحمدٌ ولأنتَ نجلُ نجيبـة ... فى قومها، والفَحْلُ فَحْلٌ معرِقُ (٣)
ما كان ضرَّك لو مننتَ وربَّمـا ... مَنَّ الفتى وهو المغيظُ المُحْنَقُ
والنضر أقربُ مَنْ قتلت وسيلةً ... وأحقُّهم إن كان عتق يُعتَقُ

قال الواقدى : وروى أن النبى صلى الله عليه وآله لما وصل إليه شعرُها رقَّ له ، وقال « لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلته » .

قال الواقدىّ : ولما أُسِرَ سهيل بن عمرو ، قال عمر بن الخطاب : يارسولَ الله ، انزع ثَنِيَّتيه يدلَعْ لسانه ، فلا يقـوم عليك خطيبا أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لا أمثِّل به فيمثِّل الله بى وإن كنت نبيا ، ولعله يقوم مقاما لا تكرهه» . فقام سهيل بن عمرو بمكة حين جاءه وفاة النبى صلى الله عليه وآله بخطبة أبى بكر بالمدينة ، كأنه كان يسمعها ، فقال عمر حين بلغه كلام سُهيل : أشهد أنك رسول الله ـ يريد قوله صلى الله عليه وآله : «لعله يقوم مقاما لا تكرهه» .

قال الواقدىّ : وكان على عليه السلام يحدِّث ، فيقول : أتى جبريل النبىَّ صلى الله عليه وآله يوم بدر ، فخيَّره فى الأسرى أن يضرب أعناقهم ، أو يأخـذ منهم الفداء ، ويستشهد من المسلمين فى قابل عِدَّتهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه ، وقال : هذا جبريل يخيِّركم فى الأسرى ، بين أن تضرب أعناقهم أو تؤخذ منهم الفدية ويستشهد

(١) الحماسة : « تشقق » (٢) لم يرد فى رواية الحماسة .
(٣) فى الحماسة : « من كريمة » قال فى شرحه : « ضنء نجيبة » أى ولدها . ومعرق : له عرق فى الكرم .

منكم قابلا عدتهم . قالوا : بل نأخذ الفدية ونستعين بها ، ويستشهد منا مَنْ يدخل الجنة ، فقبل منهم الفداء وقتل من المسلمين قابلا عدتهم بأحُد .

قلت : لو كان هذا الحديث صحيحا لما عوتبوا ، فقيل لهم : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ [1] ، ثم قال : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ... ﴾ [2] ، لأنه إذا كان خيّرهم ، فقد أباحهم أخذ الفداء ، وأخبرهم أنه حسن ، فلا يجوز فيما بعد أن ينكره عليهم ، ويقول إنه قبيح .

قال الواقدي : لما حبس الأسرى وجعل عليهم شُقران مولَى رسولِ الله صلى الله عليه وآله طمعوا في الحياة ، فقالوا : لو بعثنا إلى أبي بكر ! فإنه أوصلُ قريش لأرحامنا ! فبعثوا إلى أبي بكر ، فأتاهم فقالوا : يا أبا بكر ، إنّ فينا الآباء والأبناء والإخوان ، والعُمومة وبني العمّ . وأبعدنا قريب ، كلّم صاحبَك فليمنّ علينا ويفادِنا ، فقال : نعم إن شاء الله ، لا آلوكم خيرا . ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . قالوا . وابعثوا إلى عمر بن الخطاب ، فإنّه مَنْ قد علمتم ، ولا يؤمَن أن يفسِد عليكم لعله يكفّ عنكم ! فأرسلوا إليه ، فجاءهم فقالوا له مثلَ ما قالوا لأبي بكر ، فقال : لا آلوكم شرًّا ! ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فوجد أبا بكر عنده ، والناس حوله ، وأبو بكر يُليّنه ويفثاه ، ويقول : يارسولَ الله ، بأبي أنت وأمّي ! قومُك فيهم الآباء والأبناء والعُمومة والإخوان وبنو العمّ ، وأبعدهم عنك قريب ! فامنن عليهم ، منّ الله عليك ، أوفادِهم قوةٌ للمسلمين ، فلعل الله يقبل بقلوبهم إليك ! ثم قام : فتنحّى ناحيةً ، وسكت رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يجبه ، فجاء عمر فجلس مجلسَ أبي بكر ، فقال : يارسول الله ، هم أعداء الله ، كذّبوك

---

(١) سورة الأنفال ٦٧ . (٢) سورة الأنفال ٦٨ .

وقاتلوك وأخرجوك ، اضرب رقابهم ، فهم رءوسُ الكفر وأئمة الضلالة ، يوطىء الله بهم الإسلام ، ويذلّ بهم الشّرك ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يجبه ، وعاد أبو بكر إلى مقعده الأوّل ، فقال : بأبى أنت وأمّى ! قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والإخوان وبنو العمّ ، وأبعدهم منك قريب ! فامنن عليهم أوفادِهم . هم عشيرتك وقومك لا تكن أوّلَ من يستأصلهم ، وأن يهديهم الله خيرٌ من أن يهلكهم . فسكت صلى الله عليه وآله عنه فلم يردّ عليه شيئاً ، وقام ناحية . فقام عمر فجلس مجلسه ، فقال : يارسولَ الله ، ماتنتظر بهم ! اضربْ أعناقهم ، يوطىء الله بهم الإسلام ، ويذلّ أهل الشرك ، هم أعداء الله ، كذّبوك وأخرجوك يارسولَ الله ، اشف صدور المؤمنين ، لو قدرُوا منك على مثل هذا ما أقالوك أبداً . فسكتَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فلم يجبه ، فقام ناحيةً ، فجلس وعاد أبو بكر ، فكلّمه مثل كلامه الأوّل فلم يجبه ، ثم تنحّى ، فجاء عمر فكلّمه بمثل كلامه الأول فلم يجبه ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدخل قُبّته ، فمكث فيها ساعة ، ثم خرج ، والناس يخوضون فى شأنهم ، يقول بعضهم : القولُ ماقال أبو بكر ، وآخرون يقولون : القولُ ماقال عمر . فلمّا خرج قال للناس : ماتقولون فى صاحبيكم هذين ؟ دعوهما فإنّ لهما مثلاً ، مثلُ أبى بكر فى الملائكة كميكائيل ينزل برضا الله وعفوه على عباده ، ومثلُه فى الأنبياء كمثل إبراهيم كان ألينَ على قومه من العسل ، أوقدَ له قومُه النارَ فطرحوه فيها ، فما زاد على أن قال : ﴿ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) وقال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) وكعيسى إذ يقول : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) . ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعداء الله ، ومثله فى الأنبياء كمثل نوح ، كان أشدّ على قومه من الحجارة ، إذ يقول : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى

(١) سورة الأنبياء ٦٧ .
(٢) سورة إبراهيم ١٤ .
(٣) سورة المائدة ١١٨

ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [١] فدعا عليهم دعوة أغرق الله بها الأرض جميعا ، ومثل موسى إذ يقول : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [٢] وإنّ بكم عَيْلة ، فلا يفوتنّكم رجل من هؤلاء إلا بفداء أو ضربة عنق . فقال عبدُ الله بن مسعود : يارسولَ الله ، إلّا سهيل بن بيضاء .

قال الواقدى : هكذا روى ابن أبى حبيبة ، وهذا وَهَم ، سهيل بن بيضاء مسلم من مهاجرة الحبشة ، وشهد بدراً ، وإنما هو أخ له يقال له سهيل . قال : قال عبد الله بن مسعود : فإنى رأيته يُظهر الإسلام بمكّة ـ قال : فسكتَ النبيُّ صلى الله عليه وآله ، قال عبد الله : فما مرّت علىّ ساعةٌ قطّ كانت أشدّ علىّ من تلك الساعة ، جعلت أنظر إلى السماء أتخوّف أن تسقط على الحجارة لتقدّمى بين يدى الله ورسوله بالكلام ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه ، فقال : « إلا سُهيل بن بيضاء » ، قال : فما مرّت علىّ ساعة أقرّ لعينى منها ، إذ قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله عز وجل ليشدّد القلب حتى يكون أشدّ من الحجارة ، وإنه ليُلين القلبَ حتى يكون ألينَ من الزّبد » ، فقبل الفداء ثم قال بعد : « لو نزل عذابٌ يوم بدر لما نجا منه إلّا عمر » ، كان يقول : اقتُل ولا تأخذ الفداء . وكان سعد بن معاذ يقول : اقتل ولا تأخذ الفداء .

قلت : عندى فى هذا كلام ، أما فى أصل الحديث فلانّ فيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ، ومثلك كعيسى إذ قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ، وهذه الآية من المائدة والمائدة أنزلت فى آخر عمره ، ولم ينزل بعدها إلّا سورة براءة ، وبدر كانت فى السنة الثانية من الهجرة ، فكيف هذا ! اللهم إلا أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ . . ﴾ الآيات ، قد كانت أنزلت إما بمكّة أو بالمدينة قبل بدر ،

---

(١) سورة نوح ٢٦ .

(٢) سورة يونس ٨٨ .

فلما جمع عثمان القرآن ضمّها إلى سورة المائدة ، فلعله قد كان ذلك فينبغي أن ننظر في هذا ، فهو مشكل !

وأما حديث سهيل بن بيضاء ونه يوم مذهب موسى بن عمران في أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يحكم في الوقائع بما يشاء ، لأنه قيل له : احكم بما تشاء ؛ فإنك لا تحكم إلّا بالحقّ ، وهو مذهب متروك إلا أنه يمكن أن يقال : لعلّه لما سكت صلى الله عليه وآله عند ماقال ابن مسعود ذلك القول ، نزل عليه في تلك السكتة الوحْي وقيل له : إلا سهيل ابن بيضاء ، فقال حينئذ : « إلّا سهيل بن بيضاء » ، كما أوحى إليه .

وأمّا الحديثُ الذى فيه : « لو نزل عذاب لما نجا منه إلّا عمر » ، فالواقدى وغيره من المحدّثين اتفقوا على أن سعد بن معاذ كان يقول مثل ما قاله عمر ؛ بل هو المشدّد بذلك الرأى ، ورسول الله صلى الله عليه وآله قاعدٌ في العريش ، والمشركون لم يمعن فيهم كلّ ذلك الإمعان ؛ فكيف خصّ عمر بالنجاة وحده دون سعد ! ويمكن أن يقال : إنه كان شديد التأليب والتحريض عليهم ، وكثير الإلحاح على رسول الله صلى الله عليه وآله في أمرهم ، فنسب ذلك الرأى إليه لاشتهاره به ، وإن شركه فيه غيره .

• • •

قال الواقدىّ : وحدّثني معمر عن الزّهرىّ ، عن محمد بن جُبَير بن مطعِم ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر : « لو كان مطعم بن عدىّ حيًّا لوهبت له هؤلاء النّتنَى »[1] . قال : وكانت لمطعِم بن عدىّ عند النبي صلى الله عليه وآله يدٌ أجاره حين رجع من الطائف .

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٤ : ١٢٤ : « يعنى أسارى بدر ، واحدهم نتن ؛ كزمن وزمنى ، سماهم نتنى لكفرهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ » .

قال الواقديّ : وحدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : أمّن رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من الأسرى يوم بدر أبا عزّة عمرو بن عبد الله بن عُمَير الجُمَحيّ ، وكان شاعرا ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال له : إنّ لي خمسَ بنات ، ليس لهنّ شيء ، فتصدّق بي عليهنّ يا محمد ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك . وقال أبو عزّة : أعطيك موثقا ألاّ أقاتلك ، ولا أكثّر عليك أبدا . فأرسله رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما خرجت قريش إلى أُحُد ، جاء صفوان بن أمية ، فقال : اخرج معنا ، فقال : إني قد أعطيتُ محمدا موثقا ألاّ أقاتله ، ولا أكثّر عليه أبدا . وقد منّ عليّ ولم يمنّ على غيري حتى قتله أو أخذ منه الفداء . فضمن له صفوان أن يجعل بناته مع بناته إن قتل ؛ وإن عاش أعطاه مالا كثيرا لا يأكله عياله . فخرج أبو عزّة يدعو العرب ويحشرها ، ثم خرج مع قريش يوم أحُد ، فأُسر ، ولم يؤسر غيرُه من قريش ، فقال : يا محمد ، إنما خرجت كرها ولي بنات ، فامنن عليّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أين ما أعطيتني من العهد والميثاق ؟ لا والله لا تمسح عارضيك بمكّة تقول : سخرتُ بمحمد مرّتين »[١] . فقتله .

قال : وروى سعيد بن المسيّب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال يومئذ : « إنّ المؤمن لا يلدَغ من جُحْرٍ مرتين ، ياعاصم بن ثابت ، قدّمه فاضرب عنقه » ، فقدّمه عاصم فضرب عنقه .

قال الواقديّ : وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وآله يوم بدر بالقُلُب أن تعوّر[٢] ثم أمر بالقتلى فطرحوا فيها كلّهم إلا أميّة بن خلف فإنه كان مسمِناً[٣] انتفخ من يومه . فلما أرادوا أن يلقوه تزايلَ لحمه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : اتركوه[٤]

(١) مغازي الواقدي ١٠٥
(٢) تعوّر : تُغلَّظ بالتراب
(٣) المسمن : السمين خلقة .
(٤) مغازي الواقدي ١٠٦

وقال ابن إسحاق : انتفخ أمية بن خلف في درعه حتى ملأها ؛ فلما ذهبوا يحركونه تزايل ، فأقروه وألقوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه[١] .

قال الواقدي : ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عتبة بن ربيعة يجر إلى القليب — وكان رجلا جسيما ، وفي وجهه أثر الجدري — فتغير وجه ابنه أبي حذيفة بن عتبة ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : مالك ! كأنك ساءك[٢] ما أصاب أباك ! قال : لا والله يارسول الله ، ولكني رأيت لأبي عقلا وشرفا ، كنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فما أخطأه ذلك ، ورأيت ما أصابه غاظني . فقال أبو بكر : كان والله يارسول الله أبقى في العشيرة من غيره ، ولقد كان كارها لوجهه ، ولكن الحين ومصارع السوء . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الحمد لله الذي جعل خد أبي جهل الأسفل وصرعه وشفانا منه » . فلما توافوا في القليب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطوف عليهم وهم مصرعون ، جعل أبو بكر يخبره بهم رجلا رجلا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يحمد الله ويشكره ويقول : الحمد لله الذي أنجز لي ما وعدني ! فقد وعدني إحدى الطائفتين ، ثم وقف على أهل القليب فناداهم رجلا رجلا : « ياعتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أمية بن خلف ، ويا أبا جهل بن هشام ! هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا ! بئس القوم كنتم لنبيكم ! كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس » ، فقالوا : يارسول الله ، أتنادي قوما قد ماتوا ! فقال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق »[٣] .

وقال ابن إسحاق في كتاب « المغازي » : إن عائشة كانت تروي هذا الخبر ، وتقول : فالناس يقولون : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لقد سمعوا ما قلت لهم » ، وليس كذلك ، إنما قال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق[٤] » .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٩ (٢) ابن هشام : « لقد دخلك من أمر أبيك شيء »
(٣) مغازي الواقدي ١٠٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٢
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٠ .

قال محمد بن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: لما ناداهم رسول الله صلى الله عليه وآله قال له المسلمون: يا رسولَ الله؛ أتنادي قوما قد أنتنوا! فقال: «ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني».

* * *

قلت: لقائل أن يقول لعائشة: إذا جاز أن يعلموا وهم موتَى، جاز أن يسمعوا وهم موتَى! فإن قالت: ما أنكرت أن يعلموا وهم موتى، ولكن تعود الأرواح إلى أبدانهم، وهي في القليب، ويرون العذاب، فيعلمون أنّ ما وعدهم به الرّسول حقّ! قيل لها: ولا مانع من أن تعود الأرواح إلى أبدانهم وهي في القَليب؛ فيسمعوا صوتَ رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذن لا وجهَ لإنكارها ما يقوله الناس[1].

ويمكن أن يُنتصر لقول عائشة على وجه حكميّ، وهو أنّ الأنفس بعد المفارقة تعلم ولا تسمع؛ لأنّ الإحساس إنما يكون بواسطة الآلة، وبعد الموت تعدم الآلة؛ فأمّا العلم فإنه لا يحتاج إلى الآلة؛ لأنّ النفس تعلم بجوهرها فقط.

قال الواقديّ: وكان انهزام قريش وتوليهم حين زالت الشمس، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله ببدر، وأمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها وأمر نفرا من أصحابه أن يعينوه، فصلّى العصر ببدر ثم راح فمرّ بالأُثَيل قبل غروب الشمس فنزل به، وبات به وبأصحابه جراح، وليست بالكثيرة، وقال: مَنْ رجلٌ يحفظنا الليلة؟ فأسكت القوم، فقام رجل فقال: مَنْ أنت؟ قال: ذكوان بن عبد قيس، قال: اجلس، ثم أعاد القولَ الثانية، فقام رجل، فقال: مَنْ أنت؟ قال: ابن عبد القيس، فقال: اجلس؛ ثم مكث ساعة وأعاد القول؛ فقام رجل فقال: مَنْ أنت؟ قال: أبو سَبُع[2]، فسكت ثم

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٢٨٠.
(٢) في الأصول: «سبيع»، وصوابه ما في الواقدي؛ وانظر ما في الاستيعاب.

مكث ساعة ، وقال : قوموا الا ثلثكم . فقام ذكوان بن عبد قيس وحده ، فقال له : وأين صاحباك ؟ قال : يا رسول الله أنا الذي كنت أجيبك الليلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : حفظك الله ! فبات ذكوان يحرس المسلمين تلك الليلة ، حتى كان آخر الليل فارتحل [١] .

قال الواقدي : وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى العصر بالأثيل ، فلما صلى ركعة تبسم ، فلما سلم سئل عن تبسمه فقال : مر بي ميكائيل وعلى جناحه النقع ، فتبسم إلي ، وقال : إني كنت في طلب القوم ، وأتاني جبريل على فرس أنثى معقود الناصية ، قد عم ثنيتيه الغبار فقال : يا محمد إن ربي بعثني إليك ، وأمرني ألا أفارقك حتى ترضى ، فهل رضيت ؟ فقلت : نعم [٢] .

قال الواقدي : وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بالأسرى ، حتى إذا كان بعرق الظبية أمر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان أسره عبد الله بن سلمة العجلاني ، فجعل عقبة يقول : يا ويلي ! علام أقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لعداوتك لله ولرسوله ، فقال : يا محمد ، منك أفضل ، فاجعلني كرجل من قومي إن قتلتهم قتلتني ، وإن مننت عليهم مننت علي ، وإن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم ، يا محمد ، من للصبية ؟ فقال : النار ، قدمه يا عاصم ، فاضرب عنقه ، فقدمه عاصم فضرب عنقه ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : بئس الرجل كنت والله ما علمت ، كافرا بالله وبرسوله ، وبكتابه مؤذياً لنبيه ، فأحمد الله الذي قتلك وأقر عيني منك [٣] .

قال محمد بن إسحاق : وروى عكرمة مولى ابن عباس ، عن أبي رافع ، قال : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد فشا فينا أهل البيت ، فأسلم العباس ،

---

(١) مغازي الواقدي ١٠٢

(٢) مغازي الواقدي ١٠٧

(٣) مغازي الواقدي ١٠٧ ، ١٠٨

وأسلمت أم الفضل زوجته ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، فكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق في قومه ؛ وكان عدو الله أبو لهب قد تخلّف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلّف رجل إلا بعث مكانه رجلا ، فلمّا جاءه الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبته [1] الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزًّا .

قال : وكنتُ رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل بالقدح [2] ، أنحتها في حُجْرة زمزم ، فوالله إني لجالس أنحت قِداحي ، وعندي أمّ الفضل جالسة ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجليه بشرّ ، حتى جلس إلى طُنُب [3] الحجْرة ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم — وكان شهد مع المشركين بدرا — فقال أبو لهب : هلمّ إليّ يا ابن أخي فعندك والله الخبر ، قال : فجلس إليه والناس قيام حوله ، فقال : يا ابن أخي ، أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : لا شيء ، والله إن هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وايمُ الله مع ذلك ما لمتُ الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بُلْق بين السماء والأرض ، لا والله ما تليق [4] شيئا ، ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُب الحجرة ، ثم قلت : تلك والله الملائكة ، قال : [5] فرفع أبو لهب يدَه ، فضرب بي الأرض ثم برك عليّ يضربني [5] ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة ، فأخذته فضربته على [6] رأسه ، فشجّته شجّة منكرة ، وقالت : استضعفته إذ غاب

(١) كبته الله : ذله وأخزاه .
(٢) ابن هشام : الأقداح .
(٣) طنب الحجرة : طرفها .
(٤) ابن هشام : « ما تليق شيئا » ، أي ما تبقي شيئا .
(٥ـ٥) عبارة في ابن هشام : « فرفع أبو لهب يده ، فضرب بها وجهي ضربة شديدة » ، قال : وثاورته ، فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم برك علي يضربني » . وثاورته ، أي وثبت إليه .
(٦) ابن هشام : « فضربته به ضربة فلقت في رأسه شجة منكرة » ، وفلقت ، أي شقت .

سيّده ، فقام مولّيا ذليلا ، فوالله ماعاش إلّا سبعَ ليال ، حتى رماه الله بالعدَسة [1] فقتلته [2] .

ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا وما يدفنانه ، حتى أنتن فى بيته ـ وكانت قريش تتّقى العدَسة وعدْوَاها ، كما يتّقى النّاس الطاعون ـ حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ! ألا تستحيان أنّ أباكما قد أنتن فى بيته لا تغيّبانه ! قالا : إنّا نخشى هـذه القَرْحة ، قال : فانطلقا وأنا معكما ، فوالله ماغسلوه إلّا قذفا عليه بالماء من بعيد ، مايمسّونه ؛ وأخرجوه فألقوه بأعلى مكة إلى جدار هناك ، وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه .

قال محمد بن إسحاق : فحصر العبّاس بدرا ، فأسر فيمن أسير ، وكان الذى أسره أبو اليسر كعب بن عمرو أحد بنى سلمة ، فلمّا أمسى القوم والأسارى محبوسون فى الوثاق ، و بات رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الليلة ساهرا ، فقال له أصحابه : مالك لا تنامُ يارسول الله ؟ قال : «سمعتُ أنينَ العبّاس من وثاقه» ، فقاموا إليه فأطلقوه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله [3] .

قال : وروى ابنُ عباس رحمه الله ، قال : كان أبو اليسر رجلاً مجموعا ، وكان العبّاس طويلا جسيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياأبا اليسر ، كيف أسرْتَ العبّاس ؟ قال : يارسولَ الله ، لقد أعانى عليه رجل مارأيته من قبل ، من هيئته كذا ، قال صلى الله عليه وآله : « لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم » .

قال محمد بن إسحاق : قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله فى أوّل الوقعة ، نهى أن يقتل أحد من بنى هاشم ، قال : حدّثنى بذلك الزُّهرىّ ، عن عبدالله بن ثعلبة حليف بنى زُهرة ، قال : وحدّثنى العبّاس بن عبدالله بن معبد بن العباس ، عن بعض أهله ، عن عبد الله بن عبّاس رحمه الله ،

(١) العدسة ، قال أبو ذر الخشنى : « هى قرحة قاتلة كالطاعون ، وقد عدس الرجل ، إذا أصابه ذلك » .
(٢) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ ، ٢٩١
(٣) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٦٢ (طبعة المعارف) ، والأغانى ٤ : ٥ ، ٢ ، ٢٠٦ (طبعة دار الكتب)

قال : وقال النبيّ صلى الله عليه وآله لأصحابه : إنّى قد عرفت أنّ رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كُرْهاً، لا حاجة لنا بقتلهم ، فمَنْ لقىَ منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقىَ أبا البخترىّ فلا يقتله ، ومَنْ لقىَ العبّاس بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يقتله ، فإنّه إنما خرج مستكرها ، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتلُ آباءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العبّاس ! والله لئن لقيتُه لألحمنّه [1] السيف ، فسمعها رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص - يقول عمر : والله إنّه لأوّل يوم كنّانى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله بأبى حفص - أيضربُ وجهُ عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله بالسّيف ؟ فقال عمر : يارسولَ الله ، دعنى أضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق ، قال : فكان أبو حذيفة يقول : والله ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفا أبدا إلا أن يكفّرها الله عنّى بشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيدا [2] .

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ فى أمر الأسرى ، غلظ عمر عليهم غلظة شديدة ، فقال : يارسولَ الله أطعنى فيما أشير به عليك ، فإنى لا آلوك نصحا ، قدّم عمّك العباس فاضربْ عنقه بيدك ، وقدّم عَقيلا إلى علىّ أخيه يضرب عنقه ، وقدّم كلّ أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله ، قال : فكره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ولم يعجبه .

قال محمد بن إسحاق : فلمّا قدم بالأسرى إلى المدينة قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

---

(١) لألحمنه ، أى لأطعمن لحمه بالسيف ، ولأخالطنه . وقال ابن هشام : « لألجمنه بالسيف ، أى لأضربنه به فى وجهه » .

(٢) تاريخ الطبرى ٢ : ٤٥٠ طبعة المعارف ، وسيرة ابن هشام

افْدِ نفسك ياعبّاس وابنى أخويك عَقِيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وحليفك عُتْبة بن عمرو ، فإنك ذو مال ، فقال العبّاس : يارسولَ الله ، إنى كنت مسلما ، ولكن القوم استكرهونى ، فقال صلى الله عليه وآله : الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ماقلتَ حقًا فإن الله يجزيك به ، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافتدِ نفسك ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ منه عشرين أوقيّة من ذهب أصابها معه حين أُسِر ، فقال العباس : يارسولَ الله ، احسبها لى من فدائى ، فقال صلى الله عليه وآله : ذاك شىء أعطاناه الله منك ، فقال : يارسولَ الله ، فإنه ليس لى مال ، قال : فأين المال الذى وضعتَه بمكة حين خرجتَ عند أمّ الفضل بنت الحارث ، وليس معكما أحد ، ثم قلت : إن أُصِبتُ فى سفرى هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، ولقُثَم كذا وكذا ! فقال العباس : والذى بعثك بالحق يارسولَ الله ، ماعلم بهذا أحدٌ غيرى وغيرها ، وإنى لأعلم أنك رسول الله ، ثم فدى نفسه وابنى أخويه وحليفه.

* * *

قال الواقدى : قدّم رسول الله صلى الله عليه وآله من الأُثَيل زيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة يبشّران الناس بالمدينة فجاء يوم الأحد فى الضحى ، وفارق عبد الله زيدا بالعَقِيق ، فجعل عبد الله ينادى عوالى المدينة : يامعشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسرهم ، قُتِل ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج ، وأبو جهل ، وزمعة بن الأسود ، وأميّة بن خلف ، وأُسِر سُهيل بن عمرو ذو الأنياب ، فى أسرى كثير . قال عاصم بن عدىّ : فقمت إليه فنحوته ، فقلت : أحقًا ماتقول يابن رواحة ؟ قال : إى والله ، وغداً يقدُم رسول الله إن شاء الله ، ومعه الأسرى مقرّنين ، ثم تتبّع دورَ الأنصار بالعالية يبشّرهم ، داراً داراً ، والصِّبْيان يشتدّون معه ، ويقولون : قُتِل أبو جهل الفاسق ، حتى انتهوا إلى

دُور بنى أُميّة بن زيد ، وقدم زيد بن حارثة على ناقة النبى صلى الله عليه وآله القَصْوَاء ، يبشر أهل المدينة ، فلما جاء المصلّى صاح على راحلته : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج وأبو جهل ، وأبو البخترى وزمعة بن الأسود وأميّة بن خلف ، وأسِرَ سُهيل بن عمرو ذو الأنياب فى أسرى كثيرة ، فجعل الناس لا يصدقون زيد بن حارثة ، ويقولون : ماجاء زيد إلا فَلاًّ ، حتى غاظ المسلمين ذلك ، وخافوا ، قال : وكان قدومُ زيد حين سوّوا على رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله التراب بالبقيع ، فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد : قتل صاحبكم ومَنْ معه ، وقال رجل من المنافقين لأبى لبابة بن عبدالمنذر : قد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون منه أبداً ، وقد قتل عِلْيَة أصحابكم ، وقتل محمّد ، وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد بن حارثة لا يدرى مايقول من الرعب ، وقد جاء فَلاًّ ، فقال أبو لبابة : يكذّب الله قولك ، وقالت يهود : ماجاء زيد إلا فَلاًّ ، قال أسامة بن زيد : فجئت حتى خلوتُ بأبى ، فقلت : يا أبتِ ، أحقٌّ ما تقول ؟ فقال : إى والله حقاً يا بنىّ ، فقويت نفسى ، فرجعت إلى ذلك المنافق ، فقلت : أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ! لنقدمنّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قدم ، فيضرب عنقك ، فقال : يا أبا محمد ، إنما هو شىء سمعت الناس يقولونه

قال الواقدى : فقدم بالأسرى وعليهم شُقران وهم تسعة وأربعون رجلاً الذين أحصوا ، وهم سبعون فى الأصل ، مجمع عليه لاشك فيه ، إلا أنهم لم يحص سائرهم ، ولقى الناس رسول الله صلى الله عليه وآله بالرَّوحاء يهنئونه بفتح الله عليه ، فلقيه وجوه الخزرج ، فقال سلمة بن سلامة بن وَقْش : ما الذى تهنئونه ؟ فوالله ما قتلنا إلا عجائز صُلْعاً ، فتبسم النبى صلى الله عليه وآله فقال : يابن أخى ، أولئك ملأ ، لو رأيتهم لهبتهم ، ولو أمروك لأطعتهم ، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرتها ! وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيّهم ! فقال سلمة : أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، إنك يارسول الله لم تزل عنّى معرضاً منذ كنّا بالرَّوحاء

فى مدائننا ، فقال صلى الله عليـه وآله : أمّا ما قلت للأعرابى : وقعتَ على ناقتـك فهى حبلى منـك ، فحشت وقلت مالا علم لك به ، وأما ما قلت فى القوم ؛ فإنّك عمَدت إلى نعمةٍ من نعم الله تزهدها ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله معـذرته ، وكان من عِلْية أصحابه .

قال الواقدىّ : فروى الزهرى ، قال : لقى أبو هند البياضى مولى فروة بن عمرو رسولَ الله صلى الله عليه وآله ومعه حَميت مملوء حَيْسًا [١] أهداه له ، فقـال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنما أبو هند رجلٌ من الأنصار فأنكحوه وأنكحوا إليه » .

قال الواقدىّ : ولقيه أُسيد بن حضَير ، فقال : يا رسولَ الله ، الحمـد لله الذى ظفّرك وأقرّ عينك ، والله يا رسولَ الله ، ما كان تخلّفى عن بدر وأنا أظنّ بك أنّك تلقى عدوًّا ، ولكنى ظننت أنّها العير ، ولو ظننت أنّه عدوّ ما تخلّفت ، فقال رسولُ الله : صدقت .

قال : ولقيه عبد الله ابن قيس بتربان ، فقال : يارسول الله،الحمدلله على سلامتك وظفرك ، كنتُ يارسولَ الله ليالىَ خرجتَ موروداً — أى محموماً — فلم تفارقنى حتى كان بالأمس ، فأقبلت إليك ، فقال : آجرك الله .

قال الواقدىّ : وكان سهيل بن عمرو لما كان بشنوكة بين السقيا وملل ، كان مع مالك ابن الدّخشم الذى أسره ، فقال له : خلّ سبيلى للغائط ، فقام معه ، فقال سهيـل : إنّى أحتشم فاستأخِرْ عنّى ، فاستأخر عنه ، فمضى سهيل على وجهه ، انتزع يدَه من القِران ، ومضى ، فلما أبطأ سهيل على مالك بن الدّخشم ، أقبل فصاح فى النّاس ، فخرجوا فى طلبه ، وخرج النبىّ صلى الله عليه وآله فى طلبه بنفسه ، وقال : مَنْ وجده فليقتله ، فوجَده رسول الله

(١) الحميت : الزق يجعل فيه السمن والعسل والزيت . والحيس : تمر يعجن بسمن وأقط فيعجن ويدلك شديداً حتى يمتزج ، ثم يندر نواه ، وقد يجعل فيه سويق .

صلى الله عليه وآله بنفسه أعلق نفسه بين شجرات ، فأمر به فربطت يداه إلى عنقه ، ثم قرنه إلى راحلته ، فلم يركب سهيل خطوة حتى قدم المدينة [1] .

قال الواقدي : فحدثني إسحاق بن حازم بن عبد الله بن مقسم ، عن جابر بن عبدالله الأنصاري ، قال : لقي رسولُ الله صلى الله عليه وآله أسامة بن زيد ، ورسول الله صلى الله عليه وآله على ناقته القصوى ، فأجلسه بين يديه وسهيل بن عمرو مجنوب ، ويداه إلى عنقه ، فلما نظر إلى سهيل قال : يارسول الله، أبو يزيد ! قال : نعم ، هذا الذي كان يطعم الخبز بمكة .

* * *

وقال البلاذري : قال أسامة ـ وهو يومئذ غلام ـ يارسول الله ، هذا الذي كان يطعم الناس بمكة السريد ـ يعني الثريد [2] ـ .

قلت : هذه لثغة معروفة ، لأن الألثغ يبدل السين ثاء ، وهذا أبدل الثاء سيناً ، ومن الناس من يرويها : « هذا الذي كان يطعم الناس بمكة الشريد » بشين معجمة .

قال البلاذري : وحدثني مصعب بن عبد الله الزبيري ، عن أشياخه أن أسامة رأى سهيلا يومئذ ، فقال : يارسول الله هذا الذي كان يطعم السريد بمكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «هذا أبو يزيد الذي يطعم الطعام ، ولكنه سعى في إطفاء نور الله ، فأمكن الله منه » .

قال : وفيه يقول أمية بن أبي الصلت الثقفي :

يابا يزيد رأيت سيبك واسعاً وسماء جودك تستهل فتمطرُ

---

(١) أنساب الأشراف ١ : ٣٠٣ (طبعة المعارف) .

(٢) أنساب الأشراف ١ : ٣٠٤

قال : وفيه يقول مالك بن الدخشم[١] ، وهو الذى أسره يوم بدر :

أسرتُ سهيلاً فلا أبتغى ... به غيرَه من جميع الأُمَمْ
وخِنْدِفُ تعلم أنّ الفتى ... سُهيلًا فتاها إذا تظَّلِمْ
ضربتُ بذى الشفر حتى انثنى ... وأكرهت نفسى على ذى العلَمْ

أى على ذى العلْم بسكون اللام ، ولكنه حرّكه للضرورة .

وكان سهيل أعلم مشقوق الشفة العليا ، فكانت أنيابه بادية ، فلذلك قالوا : ذو الأنياب .

* * *

قال الواقدىّ : ولمّا قدم بالأسرى كانت سودة بنت زمعة زوج النبى صلى الله عليه وآله عند آل عَفْراء فى مناحتهم على عوف ومعوّذ ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب ، قالت سودة : فأتينا فقيل لنا : هؤلاء الأسرى قد أُتى بهم ، فخرجت إلى بيتى ورسول الله صلى الله عليه وآله فيه ، وإذا أبو يزيد مجموعة يداه إلى عنقه فى ناحية البيت ، فوالله ماملكت نفسى حين رأيته مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت : أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ! ألا متم كراما ، فوالله ماراعنى إلا قول رسول الله صلى الله عليه وآله من البيت : « ياسودة ، أعلى الله وعلى رسوله » ، فقلت : يانبىّ الله ، والذى بعثك بالحقّ إن ماملكت نفسى حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أنْ قلت ماقلت .

* * *

قال الواقدىّ : وحدّثنى خالد بن إلياس ، قال : حدّثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى جهم ، قال : دخل يومئذ خالد بن هشام بن المغيرة وأميّة بن أبى حُذيفة منزلَ أم سلَمة وأم سلمة فى مناحة آل عَفْراء ، فقيل لها : أُتِىَ بالأسرى ، فخرجت فدخلت عليهم فلم تكلّمهم حتى

(١) البلاذرى : « مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن مرضخة بن غنم ، وهو قوقل بن عوف ابن الخزرج » .

رجعت ، فتجد رسولَ الله صلى الله عليه وآله في بيت عائشة ، فقالت : يارسول الله ، إن بني عمّي طلبوا أن يدخل بهم عليّ فصيلهم ، وأدهن رءوسهم وألمّ من شعثهم ، ولم أحبّ أن أفعل شيئاً من ذلك حتى استأمرك ، فقال صلى الله عليه وآله : « لست أكره شيئاً من ذلك ، فافعلي من هـذا مابدا لك » قال الواقديّ : وحدّثني محمد بن عبد الله ، عن الزهريّ ، قال . قال أبو العاص بن الربيع : كنت مستأسِراً مع رَهْط من الأنصار جزاهم الله خيراً ، كنّا إذا تعشّينا أو تغدّينا آثروني بالخبز ، وأكلوا التمر ، والخبز عندهم قليل والتمر زادهم ، حتى إنّ الرجُلَ لتقع في يده الكسرة فيدفعها إليّ ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد قال : وكانوا يحملونا ويمشون .

وقال محمد بن إسحاق في كتابه : كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس خَتَن رسول الله صلى الله عليه وآله زوج ابنته زينب ، وكان أبو العاص من رجال مكّة المعدودين مالاً وأمانة وتجارة ، وكان ابناً لهالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد ، وكان الربيع بن عبد العُزّى بعلَ هذه ، فكانت خديجة خالته ، فسألتْ خديجة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يزوّجه زينبَ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يخالف خديجة ، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحيُ ، فزوّجه إيّاها ، فكان أبو العاص من خديجة بمنزلة ولدها ، فلمّا أكرم الله رسولَه بنبوّته آمنت به خديجة وبناته كلّهنّ وصدّقنه وشهدْن أن ماجاء به حقّ ، ودِنّ بدينه ، وثبت أبو العاص على شِركه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد زوّج عُتبة بن أبي لهب إحدى ابنتيه رقيّة أو أم كلثوم ، وذلك من قبل أن ينزل عليه ، فلمّا أنزل عليه الوحي ونادى قومه بأمر الله باعدوه ، فقال بعضُهم لبعض : إنكم قد فرّغتم محمداً من همّه ، أخذتم عنه بناته وأخرجتموهنّ من عياله ، فردّوا عليه بناته ، فاشغلوه بهنّ ، فمشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا : فارقْ صاحبتَك بنت محمد ، ونحن نزوّجك أيّ

امرأة شئت من قريش، فقال: لاها الله! إذن لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي
بها امرأة من قريش! فكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكره يثني عليه خيرا
في صهره، ثم مشوا إلى الفاسق عتبة بن أبي لهب، فقالوا له: طلق بنت محمد، ونحن
نُنكحك أيّ امرأة شئت من قريش، فقال: إن أنتم زوجتموني ابنة أبان بن سعيد
ابن العاص، أو ابنة سعيد بن العاص فارقتُها، فزوجوه ابنة سعيد بن العاص، ففارقها ولم
يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامةً لها وهواناً له، ثم خلف عليها عثمان
ابن عفان بعده، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله مغلوبا على أمره بمكة لا يُحل ولا يُحرم،
وكان الإسلام قد فرق بين زينب وأبي العاص، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله
كان لا يقدر وهو بمكة أن يفرق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه، حتى
هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، وبقيت زينب بمكة مع أبي العاص، فلما
سارت قريش إلى بدر سار أبو العاص معهم، فأصيب في الأسرى يوم بدر، فأُتي به
النبيّ صلى الله عليه وآله، فكان عنده مع الأسارى، فلما بعث أهل مكة في فداء
أسرائهم، بعثت زينب في فداء أبي العاص بعلها بمال، وكان فيما بعثت به قلادة كانت
خديجة أمها أدخلتها بها على أبي العاص ليلة زفافها عليه، فلما رآها رسول الله صلى الله
عليه وآله رقّ لها رقة شديدة، وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها
ما بعثت به من الفداء فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسولَ الله؛ نفديك بأنفسنا وأموالنا، فردُّوا عليها
ما بعثت به، وأطلقوا لها أبا العاص بغير فداء[1].

***

قلت: قرأت على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري العلويّ رحمه الله هذا
الخبر، فقال: أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد! أما كان يقتضي التكريم والإحسان

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٦، ٢٩٧.

أن يطيِّب قلب فاطمة بفدَك ، و يستوهب لها من المسلمين ، أتقصر منزلتُها عند رسول الله
صلى الله عليه وآله عن منزلة زينب أختها وهي سيِّدة نساء العالمين ! هذا إذا لم يثبُت لها
حقّ ، لا بالنِّحلة ولا بالإرث ، فقلت له : فدَك بموجب الخبر الذي رواه أبو بكر قد صار
حقًّا من حقوق المسلمين ، فلم يَجُز له أن يأخذه منهم ، فقال : وفداء أبي العاص بن الربيع
قد صار حقًّا من حقوق المسلمين ، وقد أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله منهم ، فقلت:
رسول الله صلى الله عليه وآله صاحبُ الشريعة ، والحُكْم حكمُه ، وليس أبو بكر كذلك،
فقال : ما قلتُ هلاَّ أخذه أبو بكر من المسلمين قهراً فدفعه إلى فاطمة ، وإنما قلت :
هلاّ استنزل المسلمين عنه واستوهبه منهم لها كما استوهب رسول الله صلى الله عليه وآله
المسلمين فداء أبي العاص ! أتراه لو قال : هذه بنت نبيكم قد حضرت تطلب هذه النَّخلاتِ ،
أفتطيبون عنها نفساً ، أكانوا منعوها ذلك ! فقلت له : قد قال قاضي القضاة أبو الحسن
عبد الجبار بن أحمد نحو هذا ، قال : إنهما لم يأتيا بحسن في شرع التكرّم ، وإن كان
ما أتياه حسناً في الدِّين .

* * *

قال محمد بن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أطلق سبيل أبي العاص
أخذ عليه فيما نرى أو شرط عليه في إطلاقه ، أو أنّ أبا العاص وعد رسول الله صلى الله
عليه وآله ابتداء بأن يحمل زينب إليه إلى المدينة ، ولم يظهر ذلك من أبي العاص ؟ ولا من
رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنّه لما خُلِّيَ سبيله ، وخرج إلى مكّة بعث رسول الله صلى
الله عليه وآله بعده زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار ، فقال لهما : كونا بمكان كذا [١]
حتى تمرّ بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها ، فخرجا نحو مكّة ، وذلك بعد بدر بشهر

---

(١) سيرة ابن هشام : « كونا ببطن يأجج » ، ويأجج : اسم مكانين : أحدهما على ثمانية أميال من
مكة ، وثانيهما أبعد منه ، وفيه بني مسجد الشجرة ، وبينه وبين مسجد التنعيم ميلان .

[أو شبه][1] فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها ، فأخذت تتجهز[2] .

قال محمد بن إسحاق : فحُدِّثْتُ عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهز للحوق بأبي ، لقيتني هند بنت عُتْبة ، فقالت : ألم يبلغني يابنت محمد أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ فقلت : ما أردت ذلك ، فقالت أى بنت عم لا تفعلى إن كانت لك حاجة فى متاع أو فيما يرفق بك فى سفرك أو مال تبلغين به إلى أبيك فإن عندى حاجتك ، فلا تَضْطَنِي[3] منى ، فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال ، قالت : وايمُ الله ، إنى لأظنها حينئذ صادقة ، ما أظنها قالت حينئذ إلا لتفعل ، ولكن خفتُها فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

قالت : وتجهزتُ حتى فرغتُ من جهازى ، فحملنى أخو زوجى وهو كنانة بن الربيع .

قال محمد بن إسحاق : قدَّم لها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، وخرج بها نهاراً يقود بعيرها ، وهى فى هَوْدَج لها ، وتحدث بذلك الرجال من قريش والنساء ، وتلاوموا فى ذلك ، وأشفقت أن تخرج ابنة محمد من بينهم على تلك الحال ، فخرجوا فى طلبها سراعاً حتى أدركوها بذى طوى ؛ فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ ، ونافع بن عبد القيس الفِهْرِيّ ، فروعها هبار بالرمح وهى فى الهودج ، وكانت حاملا ، فلما رجعت طرحت ما فى بطنها ، وقد كانت من خوفها رأت دماً وهى فى الهودج ، فلذلك أباح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة دمَ هبّار ابن الأسود[4] .

* * *

---

(١) من سيرة ابن هشام . وشبه أى قريب منه

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٨

(٣) تضطنى ، أى تستحى ، ومنه قول الطرماح :

إذا ذُكِرَتْ مسعاةُ والدِهِ اضْطَنَى ولا يَضْطَنِي من شَتْمِ أَهْلِ الفَضَائِلِ

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٨ ، ٢٩٩

قلت : وهذا الخبر أيضا قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله، فقال : إذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله أباح دم هبّار بن الأسود لأنّه روّع زينب فألقتْ ذا بطنها ، فظهر الحال أنه لو كان حيًّا لأباح دم مَنْ روّع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها . فقلت : أروى عنك ما يقوله قومٌ أنّ فاطمة روّعت فألقت المحسن[1] ، فقال : لا تروه عنّي ولا ترو عنّي بطلانه ، فإنّي متوقّف في هذا الموضع لتعارض الأخبار عندي فيه .

قال الواقديّ : فبرك حَمُوها كنانة بن الربيع ، ونثلَ[2] كنانته بين يديه ، ثم أخذ منها سهما فوضعه في كبد قوسه ، وقال : أحلف بالله لا يدنو اليوم منها رجلٌ إلّا وضعتُ فيه سهما ، فتكركر[3] الناس عنه .

قال : وجاء أبو سفيان بن حرب في جلّة من قريش ، فقال : أيّها الرجل ، اكفُفْ عنّا نبلك حتى نكلّمك ، فكفّ . فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنّك لم تحسن ولم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانية نهارا ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد أبيها ، فيظنّ الناس إذا أنت خرجت بابنته إليه جهارا أنّ ذلك عن ذلّ أصابنا ، وأنّ ذلك منّا وهَن ، ولعمري ما لنا في حبسها عن أبيها من حاجة ، وما فيها من ثأر ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات ، وتحدّث الناس بردّها سُلّها سَلاًّ خفيًّا ، فألحقها بأبيها . فردها كنانة بن الربيع إلى مكة ، فأقامت بها ليالي حتى إذا هدأ الصوت خرج بها ليلا حتى سلّمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وآله[4] .

* * *

قال محمد بن إسحاق : فروى سليمان بن يسار ، عن أبي إسحاق الدّوسي ، عن أبي

---

(١) ا : « محسناً » .
(٢) نثل كنانته : أخرج ما فيها .
(٣) تكركر عنه ، أي ترجع ، وفي ابن هشام : « فتكركر الناس عنه » .
(٤) انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٩

هريرة ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة أنا فيها إلى عير لقريش ، فيها متاع لهم وناس منهم ، فقال : إن ظفرتم بهبّار بن الأسود ونافع بن عبد قيس ، فحرّقوهما بالنار، حتى إذا كان الغدُ بعث فقال لنا . « إني كنت قد أمرتكم بتحريق الرّجلين إن أخذتموها ، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذّب بالنّار إلا الله تعالى ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما ولا تحرّقوهما » [١]

قلت : لقائل من المجبرة أنْ يقول : أليس هذا نسخ الشيء قبل تقضّي [٢] وقت فعله ، وأهل العدل لا يجيزون ذلك ! وهذا السؤال مشكِل ، ولا جوابَ عنه إلّا بدفع الخبر إمّا بتضعيف أحد من رواته ، أو بإبطال الاحتجاج به لكونه خبر واحد ، أو بوجه آخر؛ وهو أن يجيز للنبي الاجتهاد في الأحكام الشرعية كما يذهب إليه كثير من شيوخنا ، وهو مذهب القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، ومثل هذا الخبر حديث براءة وإنفادها مع أبي بكر ، وبعث علي عليه السلام، فأخذها منه في الطريق ، وقرأها على أهلِ مكّة بعد أن كان أبو بكر هو المأمور بقراءتها عليهم .

فأمّا البلاذريّ فإنه روى أن هبّار بن الأسود كان ممّن عرّض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حين حُمِلتْ من مكّة إلى المدينة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر سراياه إن ظفروا به أن يحرّقوه بالنار ، ثم قال [٣] : لا يعذّب بالنّار إلا ربّ النار ، وأمرهم إن ظفروا به أن يقطعوا يديه ورجليه ويقتلوه؛ فلم يظفروا به ، حتى إذا كان يوم الفتح هرب هبّار ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ويقال : أتاه بالجعرانة حين فرغ من أمر حُنَين ، فمثَلَ بين يديه ، وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فقبل إسلامه وأمر ألّا يعرّض له ، وخرجت سَلْمَى مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٢ (٢) ا « مضى »
(٣) ساقطة من ب

فقالت : لا أنعم الله بك عينا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « مهلاً ، فقد محا الإسلام ماقبله » !

قال البلاذري : فقال الزبير بن العوام : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد غلظته على هبّار بن الأسود يطأطىء رأسه استحياء منه ، وهبّار يعتذر إليه ، وهو يعتذر إلى هبّار أيضا[1] .

* * *

قال محمد بن إسحاق : فأقام أبو العاص بمكة على شركه ، وأقامت زينب عند أبيها صلى الله عليه وآله بالمدينة ، قد فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبل الفتح ، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بمال له ، وأموال لقريش أبضعوا[2] بها معه ، وكان رجلا مأمونا فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فأصابوا ما معه وأعجزهم هو هاربا ، فخرجت السرية بما أصابت من ماله ، حتى قدمت به على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخرج أبو العاص تحت الليل ، حتى دخل على زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله منزلها ، فاستجار بها فأجارته ، وإنما جاء في طلب ماله الذي أصابته تلك السرية ، فلما كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله في صلاة الصبح ، وكبّر الناس معه ، صرخت زينب من صُفّة النساء : أيها الناس ، إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس الصبح ، فلما سلم من الصلاة ، أقبل عليهم فقال : « أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعتُ ؟ » ، قالوا : نعم ، قال : « أما والذي نفس محمد بيده ماعلمت بشيء مما كان حتى سمعتم ، إنه يجير على الناس أدناهم » . ثم انصرف ودخل على ابنته زينب ، فقال : « أيْ بنيّة ، أكرمى مثواه ، وأحسني قِراه ، ولا يصلنّ إليك ، فإنك

---

(١) أنساب الأشراف ١ : ٣٩٨ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) ا : « أبضعوها معه » .

لا تخلُصين له ». ثم بعث إلى تلك السرية الذين كانوا أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: إنّ هذا الرجل منّا بحيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردّوا عليه الذي له، فإنا نحبّ ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم، وأنتم أحقّ به. فقالوا: يا رسولَ الله، بل نردّه عليه، فردّوا عليه ماله ومتاعه، حتى إنّ الرجل كان يأتي بالحبل[1]، ويأتي الآخر بالشنّة[2]، ويأتي الآخر بالإداوة[3]، والآخر بالشّظاظ[4]، حتى ردّوا ماله ومتاعه بأسره من عند آخره ولم يفقد منه شيئاً. ثم احتمل إلى مكّة، فلما قدمها أدّى إلى كلّ ذي مال من قريش ماله ممّن كان أبضع معه بشيء، حتى إذا فرغ من ذلك، قال لهم: يامعشرَ قريش، هل بقيَ لأحدٍ منكم عندي مال، لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، لقد وجدناك وفيًّا كريما، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والله مامنعني من الإسلام إلّا تخوّف أن تظنوا أني أردتُ أن آكل أموالكم، وأذهب بها فإذ سلّمها الله لكم، وأدّاها إليكم؛ فإني أشهدكم أني قد أسلمتُ واتبعت دين محمد، ثم خرج سريعا حتى قدم على رسول الله المدينة[5].

قال محمد بن إسحاق: حدّثني داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله ردّ زينب بعد ستّ سنين على أبي العاص بالنكاح الأول لم يحدث شيئاً[6].

* * *

قال الواقدي: فلمّا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وآله من أمر الأسارى، وفرّق الله عزّ وجلّ ببدر بين الكفر والإيمان، أذلّ رقاب المشركين والمنافقين واليهود، ولم يبق بالمدينة يهوديّ ولا منافق إلّا خضعت عنقه.

---

(١) ابن هشام: « بالدلو ».
(٢) الشنة: السقاء البالي.
(٣) الإداوة: المطهرة التي يتوضأ بها.
(٤) الشظاظ: عود يشدّ به فم الغرارة.
(٥) سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٣، ٣٠٤.
(٦) سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٤.

وقال قوم من المنافقين : ليتنا خرجنا معه حتى نصيب غنيمة . وقالت يهود فيما بينها : هو الذى نجد نعته فى كتبنا ، والله لا تُرْفع له راية بعد اليوم إلّا ظهرت .

وقال كعب بن الأشرف : بطن الأرض اليوم خير من ظهرها ، هؤلاء أشراف الناس وساداتهم ، وملوك العرب وأهل الحرَم والأمن قد أصيبوا . وخرج إلى مكّة ، فنزل على أبى وَداعة بن صُبَيرة ، وجعل يرسل هجاء المسلمين ، ورثى قتلى بدر من المشركين ، فقال :

طَحَنَتْ رَحَى بدرٍ لِمُهْلَكِ أهلِهِ ... ولِمِثْلِ بدرٍ يُستهلّ ويُدْمَعُ [1]

قُتِلَتْ سراةُ النّاس حول حياضِهِ ... لا تبعَدُوا إنّ الملوكَ تُصرَّعُ [2]

ويقولُ أقوامٌ أذلّ بسرّهم [3] : ... إنّ ابن أشرفَ ظلّ كعبا يجزَعُ

صدقُوا فليتَ الأرض ساعةَ قتّلوا ... ظلّتْ تسيخُ بأهلها وتصدَّعُ [4]

نُبِّئْتُ أنّ الحارث بن هشامهمْ ... فى النّاس يبنى الصالحاتِ ويجمَعُ [5]

ليزورَ يثربَ بالجموع وإنّما ... يسعى على الحسبِ القديمِ الأرْوَعُ [6]

قال الواقدىّ : أملاها علىّ عبدُ الله بن جعفر ومحمد بن صالح وابن أبى الزّناد . فلمّا أرسل كعب هذه الأبيات أخذها الناس بمكّة عنه ، وأظهروا المراثى — وقد كانوا حرّموها كيلا يشمت المسلمون بهم — وجعل الصبيان والجوارى ينشدونها بمكّة ، فناحت بها قريش

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٤٣١ ، ٤٣٢ ، وأنساب الأشراف ١ : ٢٨٤ ، ولمجان الأخيار فى نسب قريش ١ : ٣٠ .

(٢) سيرة ابن هشام : خيارهم .

(٣) البلاذرى : « غوىّ أمرهم » ، ابن هشام : « أسرّ بسخطهم » ، الواقدى : « أذلّ بسخطهم » .

(٤) بعده فى ابن هشام :

صارَ الذى أثرَ الحديث بطعنةٍ ... أو عاشَ أعمى مرعَشاً لا يسمعُ

نُبِّئت أن بنى المغيرةَ كلَّهمْ ... خشَعُوا لقتلِ أبى الحكيمِ وجُدِّعوا

وابنا رَبيعةَ عنده ومُنَبِّهٌ ... ما نالَ مثلَ المالكينَ وتُبَّعُ

(٥) نسب قريش : « يبنى المكرمات » .

(٦) نسب قريش : « ليزور أثرب » ، وأثرب لغة فى يثرب .

على قتلاها شهراً ، ولم تبقَ دارٌ بمكة إلّا فيها النوحُ — وجزّ النساء شعورهنّ ، وكان يؤتى براحلة الرّجل منهم أو بفرسه ، فتوقف بين أظهرهم ، فينوحون حولها ، وخرجن إلى السكك ، وضربن الستور فى الأزقة ، [وقطعن][1] فخرجن إليها ينحُنْ ، وصدّق أهلُ مكة رؤيا عاتكة وجهيم بن الصّلت[2] .

قال الواقدىّ : وكان الذين قدموا من قريش فى فداء الأسرى أربعة عشر رجلا ، وقيل خمسة عشر رجلا ، وكان أوّل مَنْ قدم المطّلب بن أبى وداعة ، ثم قدم الباقون بعده بثلاث ليال .

قال : فحدّثنى إسحاق بن يحيى ، قال : سألت نافع بن جُبير : كيف كان الفداء ؟ قال : أرفعهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف ، إلّا قوما لا مال لهم منّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقال الواقدىّ : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله فى أبى وداعة : إنّ له بمكة ابنا كيّسا له مال، وهو مُغلٍ فداءه ، فلمّا قدم افتداه بأربعة آلاف ، وكان أوّل أسير افتدى ؛ وذلك أنّ قريشا قالت لابن المطّلب بن أبى وداعة — ورأته يتجهّز يخرج إلى أبيه : لا تعجل ؛ فإنّا نخاف أن تفسد علينا فى أسارانا ، ويرى محمد تهالُكنا فيُغلى علينا الفدية ، فإن كنت تجد فإنّ كلّ قومك لا يجدون من السّعة ما تجد . فقال : لا أخرج حتى تخرجوا ، فخادعهم حتى إذا غفلوا خرج من الليل على راحلته ، فسار أربعة ليال إلى المدينة ، فافتدى أباه بأربعة آلاف ، فلامه قريش فى ذلك ، فقال : ما كنت لأترك أبى أسيرا فى أيدى القوم وأنتم مضجعون ، فقال أبو سفيان بن حرب : إنّ هذا غلام حدَث يعجب بنفسه وبرأيه ، وهو مفسد عليكم ، إنّى والله غير مفتدٍ عمرو بن أبى سفيان ، ولو مكث سنة

---

(١) من الواقدى

(٢) مغازى الواقدى ١١٥ ، ١١٦ .

أو يرسله محمد : والله ما أنا بأعور كم، ولكني أكره أن أدخل عليكم ما يشق عليكم، ولكن يكون عمرو كأسوتكم.

* * *

قال الواقدي : فأما أسماء القوم الذين قدموا في الأسرى ، فإنه قدم من بني عبد شمس الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط ، وعمرو بن الربيع أخو أبي العاص بن الربيع . ومن بني نوفل ابن عبد مناف جُبَيْر بن مطعم ؛ ومن بني عبد الدار بن قُصيّ طلحة بن أبي طلحة . ومن بني أسد ابن عبد العُزّى بن قصيّ عثمان بن أبي حُبيش . ومن بني مخزوم عبد الله بن أبي ربيعة وخالد بن الوليد وهشام بن الوليد بن المغيرة وفروة بن السائب وعكرمة بن أبي جهل . ومن بني جُمَح أُبَيّ بن خلف وعُمير بن وهب . ومن بني سهم المطلب بن أبي وداعة وعمرو بن قيس . ومن بني مالك بن حِسْل مكرز بن حفص بن الأخيف ، كلّ هؤلاء قدموا المدينة في فداء أهلهم وعشائرهم . وكان جبير بن مطعم يقول : دخل الأسلامُ في قلبي منذ قدمت المدينة في الفِداء ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ في صلاة المغرب : ﴿ وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾، فاستمعت قراءته ، فدخل الإسلام في قلبي منذ ذلك اليوم[1] .

* * *

القول في تفصيل أسماء أسارى بدر ومن أسرهم

قال الواقدي : أُسِر من بني هاشم العبّاس بن عبد المطلب ، أسره أبو اليَسَر كعب ابن عمرو ، وعَقيل بن أبي طالب أسره عبيد[2] بن أوس الظَّفَريّ ، ونوفل بن الحارث

(١) انظر مغازي الواقدي ١٣٢ — ١٤١

(٢) « عبيدة » ، والصواب ما أثبته من ا والواقدي وابن هشام .

ابن عبد المطّلب أسَره جبّار بن صخر؛ وأسر حليف لبنى هاشم من بنى فهر، اسمه عُتْبة فهؤلاء أربعة.

ومن بنى المطّلب بن عبد مناف السّائب بن عبيد، وعبيد بن عمرو[1] بن علقمة، رجُلان أسرهما سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلىّ.

قال الواقدىّ: حدثنى بذلك ابن أبى حبيبة، قال: ولم يقدم لهما أحد، وكانا لا مال لهما، فمنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عنهما بغير فدْية.

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف عُقْبة بن أبى مُعَيط المقتول صَبْرًا[2]، على يد عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح بأمر رسول الله؛ أسره عبد الله بن أبى سلمة العجلانى، والحارث بن أبى وجْزة ابن أبى عمرو بن أمية، أسره سعد بن أبى وقّاص، فقدم فى فدائه الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط فافتداه بأربعة آلاف.

قال الواقدىّ: وقد كان الحارث هذا لمّا أمر النبى صلى الله عليه وآله بردّ الأسارى، ثم أقرع بين أصحابه عليهم، وقع فى سهم سعد بن وقاص الذى كان أسره أوّل مرة — وعمرو ابن أبى سفيان، أسره علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وصار بالقُرْعة فى سهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فأطلقه بغير فدْية، أطلقه بسعد بن النعمان بن أكال من بنى معاوية، خرج معتمرا، فحبس بمكة، فلم يطلقه المشركون حتى أطلق رسول صلى الله عليه وآله عمرو بن أبى سفيان.

وروى محمد بن إسحاق فى كتاب «المغازى»: أنّ عمرو بن أبى سفيان أسره علىّ عليه السلام يوم بَدْر، وكانت أمّه ابنة عُقْبة بن أبى مُعَيط، فمكث فى يد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقيل لأبى سفيان: ألا تفتدى ابنك عمرا؟ قال: أيجمع علىّ دمى ومالى! قتلوا حنظلة وأفتدى عمرا! دعوه فى أيديهم فليمسكوه مابدا لهم. فبينا هو محبوس بالمدينة، خرج

(١) كذا فى الأصول والواقدى، وأنساب الأشراف، وفى ابن هشام: «نبهان بن عمرو».
(٢) الواقدى: «قتل صبراً».

سعد بن النعمان بن أكّال أخو بنى عمرو بن عوف معتمرا ، ومعه امرأة[١] له ، وكان شيخا كبيرا لا يخشى ماصنع[٢] بهأبو سفيان، وقد عهد قريشا ألا يعرض لحاجّ ولامعتمر[٣]، فعدا عليه أبو سفيان ، فحبسه بمكة بابنه عمرو بن أبى سفيان ، وأرسل إلى قوم بالمدينة هذا الشعر :

أرهط ابن أكّال أجيبوا دعاءه تعاقدتمُ لا تُسلِموا السّيد الكَهلَا

فإن بنى عمرو لئـــام أذلّةٌ لئن لم يفكّوا عن أسيرهمُ الكَبلا

فمشى بنو عمرو بن عوف حين بلغهم الخبر إلى رسول صلى الله عليه وآله ، فأخبروه بذلك، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفين ليفكّوا به صاحبَهم ، فأعطاهم إياه، فبعثوا به إلى أبى سفيان فخلّى سبيل سعد . وقال حسان بن ثابت يجيب أبا سفيان :

ولو كان سعدٌ يوم مكة مطلقا لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلَى

بعضبٍ حُسام أو بصفراءَ نبعةٍ تحنّ إذا ما أُنبِضت تحفزُ النَّبلَا[٤]

وأبو العاص بن الربيع ، أسره خراش بن الصِّمّة ؛ فقدم فى فدائه عمرو بن أبى الربيع أخوه ، وحليف لهم ، يقال له أبو ريشة افتداه عمرو بن الربيع أيضا . وعمرو بن الأزرق افتكّه عمرو بن الربيع أيضا ،وكان قد صار فى سهم تميم مولى خراش بن الصِّمّة ، وعُقْبة بن الحارث الحضرمىّ أسره عمارة بن حزم ، فصار فى لقرعة لأبىّ بن كعب، افتداه عمرو بن أبى سفيان ابن أمية ، وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس ، أسره عمّار بن ياسر قدم فى فدائه ابن عمّه، فهؤلاء ثمانية .

---

(١) ابن هشام : « مرية » . (٢) ابن هشام : « ما صنع به » .

(٣) ابن هشام : « لا يعرضون لأحد جاء حاجا أو معتمرا إلا بخير »

(٤) العضب : السيف القاطع ، وكذلك الحسام . وصفراء أراد بها قوساً . والنبعة : شجرة تنبت بالجبال ؛ تصنع منها القسىّ . وتحن : تصوت. وأنبضت : مد وترها . والأنباض : أن يحرك وتر القوس ويمد . والخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف عدىّ بن الخيار ، أسره خراش بن الصّمة ، وعثمان ابن عبد شمس ، ابن أخى عتبة بن غَزْوان ، حليفهم[1] ، أسره حارثة بن النّعمان ، وأبو ثور ، أسره أبو مَرْثد الغنوىّ ، فهؤلاء ثلاثة افتدام جُبير بن مطعم .

ومن بنى عبد الدار بن قصىّ أبو عزيز بن عُمير ، أسره أبو اليَسَر ، ثم صار بالقرعة لمحرز ابن نَضْلة — قال الواقدىّ : أبو عزيز هذا هو أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمّه ، وقال مصعب لمحرز بن نضلة : اشدد يديك به ؛ فإنّ له أمّا بمكة كثيرة المال ، فقال له أبو عزيز : هذه وصاتك بى يا أخى ! فقال مصعب : إنه أخى دونك ، فبعثت فيه أمّه أربعة آلاف ، وذلك بعد أن سألت : ما أغلى ما تفادى به قريش ؟ فقيل لها : أربعة آلاف — والأسود بن عامر ابن الحارث بن السّباق ، أسره حمزة بن عبد المطلب ، فهذان اثنان قدم فى فدائهما طلحة ابن أبى طلحة .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصىّ : السائب بن أبى حُبَيش بن المطلب بن أسد ابن عبد العزّى ، أسره عبد الرحمن بن عوف . وعثمان بن الحويرث بن عثمان بن أسد بن عبد العزّى ، أسره حاطب بن أبى بَلْتعة ، وسالم بن شمّاخ أسره سعد بن أبى وقّاص ؛ فهؤلاء ثلاثة قدم فى فدائهم عثمان بن أبى حبيش ، أربعة آلاف لكلّ رجل منهم .

ومن بنى تيم بن مرّة ، مالك بن عبد الله بن عثمان ، أسره قُطْبة بن عامر بن حديدة ، فمات فى المدينة أسيرا .

ومن بنى مخزوم خالد بن هشام بن المغيرة ، أسره سواد بن غزيّة . وأميّة بن أبى حذيفة ابن المغيرة ، أسره بلال . وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وكان أفلت يوم نخلة ، أسره واقد بن عبد الله التّميمىّ يوم بدر ، فقال له : الحمدُ لله الذى أمكننى منك ، فقد كنت أفلتّ يوم نخلة — وقدم فى فداء هؤلاء الثلاثة عبد الله بن أبى ربيعة ، افتدى كلّ واحد منهم بأربعة آلاف — والوليد بن الوليد بن المغيرة ، أسره عبد الله بن جحش ،

(١) الواقدى : « حليف لهم » .

فقدم فى فدائه أخواه خالد بن الوليد وهشام بن الوليد ، فتمنّع عبد الله بن جحش حتى افتكّاه بأربعة آلاف ، فجعل هشام بن الوليد يريد ألّا يبلغ ذلك — يريد ثلاثة آلاف — فقال خالد لهشام : إنّه ليس بابن أمّك ، والله لو أبَى فيه إلّا كذا وكذا لفعلت ، فلمّا افتدياه خرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة ، فأفلت ، فأتى النبيّ صلى الله عليه وآله فأسلم ، فقيل : ألا أسلمت قبل أن تفتدى ! قال : كرهتُ أن أسلم حتّى أكونَ أسوةً بقومى .

— قال الواقدىّ : ويقال إن الذى أسر الوليد بن الوليد سليط بن قيس المازنى — وقيس ابن السائب ؛ أسره عبدة بن الحسحاس ، فحبسه عنده حينا ، وهو يظنّ أنّ له مالًا ، ثم قدم فى فدائه أخوه فروة بن السائب ، فأقام أيضًا حينًا ، ثمّ افتداه بأربعة آلاف فيها عُروض .

ومن بنى أبى رفاعة ، صيفىّ بن أبى رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ، وكان لا مال له ، أسره رجلٌ من المسلمين ، فمكث عنده ، ثم أرسله . وأبو المنذر بن أبى رفاعة بن عائذ افتدى بألفين — ولم يذكر الواقدى مَنْ أسره — وعبد الله، وهو أبو عطاء ابن السائب بن عائذ بن عبد الله ، افتدى بألف درهم ، أسره سعد بن أبى وقّاص ، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمير بن مخزوم ، أسره أبو أيوب الأنصارىّ — ولم يكن له مال فأرسله بعد حين — وخالد بن الأعلم العقيلىّ ، حليف لبنى مخزوم ، وهو الذى يقول :

وَلَسْنَا على الأعقــــاب تدمَى كلومُنا ولـكنْ على أقدامِنا تقطرُ الدِّما [1]

---

(١) رواية ابن هشام ٢ : ٣٦٥ :

ولَسْنَا على الأدْبَارِ تَدْمَى كُلُومُنَا ولـكنْ على أَقْدَامِنا يَقْطُرُ الدَّمُ

وقال محمد بن إسحاق : روى أنه كان أوّل المنهزمين [١] ، أسره الحبّاب بن المنذر بن الجموح ، وقدم فى فدائه عكرمة بن أبى جهل ، فهؤلاء عشرة .

ومن بنى جُمح عبد الله بن أبىّ بن خلف ، أسره فرْوة بن أبى عمرو البياضىّ ، قدم فى فدائه أبوه أبىّ بن خلف فتمنّع به فروة حينا . وأبو عزّة عمرو بن عبد الله بن وهب ، أطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله بغير فدية ، وكان شاعرا خبيث اللسان ، ثم قتله يوم أحُد ، بعد أن أسره — ولم يذكر الواقدى الذى أسره يوم بدر — ووهب بن عمير بن وهب ، أسره رفاعة بن رافع الزرقى ، وقدم أبوه عمير بن وهب فى فدائه ، فأسلم فأرسل النبى صلى الله عليه وآله له ابنه بغير فداء ، وربيعة بن درّاج بن العنبس بن وهبان [٢] ابن وهب بن حُذافة بن جُمح ، وكان لا مال له ، فأخذ منه شىء يسير ، وأرسل به — ولم يذكر الواقدى مَنْ أسره — والفاكه مولى أميّة بن خلف ، أسره سعد بن أبى وقاص ، فهؤلاء خمسة .

ومن بنى سَهْم بن عمرو أبو وَدَاعة بن صُبَيرة ، وكان أوّل أسير افتدى ، قدم فى فدائه ابنهُ المطّلب ، فافتداه بأربعة آلاف — ولم يذكر الواقدى مَنْ أسره — وفرْوة بن قَيْس بن عدىّ بن حذافة بن سعيد بن سهم ، أسره ثابت بن أقرم ، وقدم فى فدائه عمرو ابن قيس ، افتداه بأربعة آلاف ، وحنظلة بن قبيصة بن حُذَافة بن سعد ، أسره عثمان ابن مظعون . والحجّاج بن الحارث بن قيس بن سعد بن سَهْم ، أسره عبد الرحمن بن عوف ، فأفلت ، فأخذه أبو داود المازنى . فهؤلاء أربعة .

ومن بنى مالك بن حِسْل سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك ؛ أسره مالك بن الدّخشم ، وقدم فى فدائه مكرز بن حفص بن الأحنف ، وانتهى فى فدائه إلى إرضائهم بأربعة آلاف ، فقالوا : هات المال ، فقال : نعم ، اجعلوا رجلًا مكان رجل ؛

(١) ابن هشام : « أول من ولى فاراً منهزماً » . (٢) ابن هشام : « أهبان » .

وقوم يروونها : « رِخلاً مكانَ رِجل » ، فخلّوا سبيل سُهيل ، وحبسوا مِكْرز بن حفص عندهم ، حتى بعث سهيل بالمال من مكّة . وعبد الله بن زَمْعة بن قيس بن نصر بن مالك، أسره عمير بن عوف ، مولى سُهَيل بن عمرو . وعبد العزّى بن مشنوء بن وقدان بن قيس ابن عبد شمس بن عبد ودّ سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد إسلامه عبد الرحمن ، أسره النعمان بن مالك . فهؤلاء ثلاثة .

ومن بنى فِهر الطفيل بن أبي قُنَيع ، فهؤلاء ستّة وأربعون[1] أسيرا .

وفى كتاب الواقدى أنّه كان الأسارى الذين أحصوا وعرفوا تسعة وأربعين ، ولم نجد التفصيل يلحق هذه الجملة[2] .

وروى الواقدى عن سعيد بن المسيّب ، قال : كانت الأسارى سبعين ، وإنّ القتلى كانت زيادة على سبعين إلّا أنّ المعروفين من الأسرى هم الذين ذكرناهم ، والباقون لم يذكر المؤرخون أسماءهم .

* * *

القول فى المطعمين فى بدر من المشركين

قال الواقدىّ : المتفق عليه ولا خلاف بينهم فيه تسعة ؛ فمن بنى عبد مناف الحارث ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس .

ومن بنى أسد بن عبد العزى ، زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، ونوفل بن خويلد المعروف بابن العدويّة .

ومن بنى مخزوم، أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة .

ومن بنى جُمح ، أميّة بن خلف

---

(١) عدتهم فى ابن هشام « ثلاثة وأربعون » (٢) مغازى الواقدى ١٣٣ ـ ١٣٩ ، وانظر أنساب الأشراف ١ : ٣٠١ ـ ٣٠٦ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٤ ـ ٣٦٧ .

ومن بنى سَهْم نبيه ومنبّه ابنا الحجاج .

فهؤلاء تسعة .

قال الواقدىّ : وكان سعيد بن المسيّب يقول : ماأطعم أحد ببدر إلا قتِل .

قال الواقدىّ : قد ذكروا عدّة من مطعمين ، اختلف[1] فيهم ، كسُهيل بن عمرو وأبى البخترى وغيرهما[2] .

قال : حدثنى إسماعيل بن إبراهيم ، عن موسى بن عقبة ، قال : أوّل مَنْ نحر لهم أبو جهل بمرّ الظّهران عشرا ، ثم أميّة بن خلف بعُسْفان تسعا ، ثم سهيل بن عمرو بقُدَيد عشرا ، ثم مالوا إلى مياه من نحو البحر ضَلّوا الطريق ، فأقاموا بها يوما ، فنحر لهم شيبة ابن ربيعة تسعا ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم قيس الجمحىّ تسعا ، ثم نحر عتبة عشرا ، ونحر لهم الحارث بن عامر تسعا ، ثم نحر لهم أبو البخترىّ على ماء بدر عشرا ونحر لهم مقيس ابن صبابة على ماء بدر تسعا ، ثم شغلتهم الحرب .

قال الواقدىّ : وقد كان ابن أبى الزّناد يقول : والله ما أظنّ مقيسا كان يقدر على قَلُوص واحدة .

قال الواقدىّ : وأمّا أنا فلا أعرف قيسا الجمحىّ . قال : وقد روت أم بكر ، عن المسور بن مخرمة ابنها ، قال : كان النّفر يشتركون فى الإطعام ، فينسب إلى الرّجل الواحد ويسكت عن سائرهم[3] .

* * *

وروى محمد بن إسحاق أنّ العباس بن عبد المطلب كان من المطعمين فى بدر ، وكذلك طُعيمة بن عدىّ بن نوفل ، كان يعتقب هو وحكيم والحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو البخترى يعتقِب هو وحكيم بن حزام فى الإطعام ، وكان النّضر بن والحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدّار من المطعِمين . قال : وكان النبىّ صلى الله عليه وآله يكره قتل

(١) أ ومغازى الواقدى : « وقد اختلف علينا فيهم » (٢) مغازى الواقدى « وغيرهم »
(٣) مغازى الواقدى ١٢٣ ، ١٢٤

الحارث بن عامر ، قال يوم بدر : « مَنْ ظفر به منكم فليتركه لأيتام بنى نوفل » ، فقتل في المعركة[1] .

* * *

القول فيمن استشهد من المسلمين ببدر

قال الواقدىّ : حدّثنى عبد الله بن جعفر ، قال : سألت الزهرىّ كم استشهد من المسلمين ببدر ؟ قال : أربعة عشر[2] ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

قال : فمن بنى المطلب بن عبد مناف عبيدة بن الحارث ، قتله شيبة بن ربيعة .

وفي رواية الواقدى قتله عتبة، فدفنه النبي صلى الله عليه وآله بالصفراء .

ومن بنى زهرة عمير بن أبي وقاص ، قتله عمرو بن عبد ودّ ، فارس الأحزاب ، وعمير بن عبد ودّ ذو الشمالين ، حليف لبنى زهرة بن خزاعة، قتله أبو أسامة الجشمىّ .

ومن بنى عدىّ بن كعب عاقل بن أبى البكير، حليف لهم من بنى سعد بن بكر ، قتله مالك بن زهير الجُشَمِيّ ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، قتله عامر بن الحضرمىّ؛ ويقال : إنّ مهجعا أوّل من قتل من المهاجرين .

ومن بنى الحارث بن فهر صفوان بن بيضاء ، قتله طُعَيمة بن عدىّ .

وهؤلاء الستة من المهاجرين .

ومن الأنصار ، ثمّ من بنى عمرو بن عوف، مبشّر بن عبد المنذر ، قتله أبو ثور . وسعد ابن خيثمة ، قتله عمرو بن عبدودّ — ويقال طعيمة بن عدى — ومن بنى عدىّ بن النجار حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته ، فقتله .

ومن بنى مالك بن النجار، عوف ومعوّذ ابنا عفراء ؛ قتلهما أبو جهل .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١١ .

(٢) فى مغازى الواقدى : « ثم عددهم على ، فهم هؤلاء الذين سميت » .

ومن بنى سلمة بن حرام عمير بن الحمام بن الجموح ، قتله خالد بن الأعلم العقيلى – ويقال إن عمير بن الحمام أول قتيل قتل من الأنصار، وقد روى أن أول قتيل منهم حارث ابن سراقة .

ومن بنى زُرَيق ، رافع بن المُعَلّى ، قتله عكرمة بن أبي جهل .

ومن بنى الحارث بن الخزرج يزيد بن الحارث بن قسحم [١] ، قتله نوفل بن معاوية الديلى .

فهؤلاء الثمانية من الأنصار .

قال الواقدى . وقد روى عن عكرمة ، عن ابن عباس أن أنسة مولى النبى صلى الله عليه وآله قتل ببدر .

وروى [أن] [٢] معاذ بن ماعص جرح ببدر ، فمات من جراحته بالمدينة ، وأن عبيد بن السكن جرح فاشتكى جُرحه ، فمات منه حين قدم [٣] .

* * *

القول فيمن قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم

قال الواقدى : فمن بنى عبد شمس بن عبدمناف حنظلة بن أبي سفيان بن حرب ، قتله على ابن أبي طالب عليه السلام ، والحارث بن الحضرمى قتله عمار بن ياسر ، وعامر بن الحضرمى قتله عاصم ابن ثابت بن أبي الأقلح ، وعمير بن أبي عمير وابنه ، موليان لهم ؛ قتل سالم مولى أبي حذيفة منهم عمير بن أبي عمير – ولم يذكر الواقدى من قتل ابنه – وعبيدة بن سعيد بن العاص ، قتله الزبير بن العوام ، والعاص بن سعيد بن العاص ، قتله على بن أبي طالب عليه السلام ، وعقبة بن أبي معيط ، قتله عاصم بن ثابت صبرا بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله .

---

(١) الواقدى : « يسحم » .

(٢) من الواقدى .

(٣) مغازى الواقدى ١٤٢ ، ١٤٣ .

وروى البلاذُرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلبه بعد قتله ؛ فكان أول مصلوب فى الإسلام . قال : وفيه يقول ضرار بن الخطاب :

عين بكّى لعُقْبَة بن أبان فرع فهر وفارس الفرسان [1]

وعتبة بن ربيعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب . وشيبة بن ربيعة ، قتله عُبيدة بن الحارث وحمزة وعلىّ ، الثلاثة اشتركوا فى قتله . والوليد بن عتبة بن ربيعة ، قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام . وعامر بن عبد الله حليف لهم من أنمار ، قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وقيل : قتله سعد بن معاذ ، فهؤلاء اثنا عشر .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف الحارث بن نوفل ، قتله خُبَيب بن يساف [2] ، وطُعَيمة ابن عدىّ ، ويكنى أبا الرّيان ، قتله حمزة بن عبد المطلب فى رواية الواقدىّ ، وقتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى رواية محمد بن إسحاق [3] وروى البلاذُرىّ رواية غريبة ، أن طُعَيمة بن عدىّ أسِرَ يوم بدر ، فقتله النبىّ صلى الله عليه وآله صَبْراً على يد حمزة ، فهؤلاء اثنان .

ومن بنى أسد بن عبد العزّى زَمْعة بن الأسود ، قتله أبو دُجانة [4] ، وقيل : قتله ثابت بن الجِذْع [5] ، والحارث بن زمعة بن الأسود ، قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام . وعَقيل بن الأسود بن المطلب ، قتله علىّ وحمزة ، شركا فى قتله . قال الواقدىّ : وحدّثنى أبو معشر ، قال . قتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام وحده ، وقيل : قتله أبو داود المازنى وحده . وأبو البخترىّ ، وهو العاص بن هشام ، قتله المجذّر بن

---

(١) أنساب الأشراف ١ : ٢٩٧ ، وفيه « عين بكّى » .

(٢) فى ابن هشام : « إساف » بهمزة مكسورة ، قال ابن حجر فى الإصابة : « وقد تبدل تحتانية » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٧ .

(٤) دجانة ، كثمامة : سماك بن خرشة .

(٥) الإصابة : الجذع .

زياد ، وقيل : قتله أبو اليسر . ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ؛ وهو ابن العدوية، قتله على عليه السلام؛ فهؤلاء خمسة

ومن بنى عبد الدار بن قصى، النضر بن الحارث بن كلدة ؛ قتله على بن أبي طالب عليه السلام صبراً بالسيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله . وكان الذى أسره المقداد بن عمرو ، فوعد المقداد - إن استبقاه - فداء جزيلا ، فلما قدم ليقتل، قال المقداد : يارسول الله، إنى ذو عيال ، وأحب الدين ، فقال : اللهم أغن المقداد من فضلك ! ياعلى ، قم فاضرب عنقه . وزيد بن مليص مولى عمرو بن هاشم بن عبد مناف ، من عبد الدار ، قتله على بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل : قتله بلال . فهؤلاء اثنان .

ومن بنى تيم بن مرة عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، قتله على بن أبي طالب عليه السلام . وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان ، قتله صهيب ، فهؤلاء اثنان - ولم يذكر البلاذرى عثمان بن مالك .

ومن بنى مخزوم بن يقظة ثم من بنى مغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعوذ وعوف ابنا عفراء ، ودفف[1] عليه عبد الله بن مسعود . والعاص بن هاشم بن المغيرة ، خال عمر بن الخطاب ، قتله عمر . ويزيد بن تميم التميمى ، حليف لهم ، قتله عمار بن ياسر ، وقيل : قتله على عليه السلام .

ومن بنى الوليد بن المغيرة، أبو قيس بن الوليد بن الوليد؛ أخو خالد بن الوليد ، قتله على ابن أبي طالب عليه السلام .

ومن بنى الفاكه بن المغيرة أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتله حمزة بن عبد المطلب، وقيل: قتله الحباب بن المنذر .

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذرى ١ : ٢٩٧ . (٢) دفف عليه : أجهز .

ومن بني أميّة بن المغيرة مسعود بن أبي أميّة ، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

ومن بني عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ثم من بني رفاعة ، أميّة بن عائذ بن رفاعة بن أبي رفاعة ، قتله سعد بن الربيع . وأبو المنذر بن أبي رفاعة ، قتله معن بن عديّ العجلانيّ . وعبد الله بن أبي رفاعة ، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وزُهير بن أبي رفاعة ، قتله أبو أسيد الساعدي . والسائب بن أبي رفاعة ، قتله عبد الرحمن بن عوف .

ومن بني أبي السائب المخزوميّ ـ وهو صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ـ السائب بن السائب ، قتله الزبير بن العوام . والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، قتله حمزة بن عبد المطّلب . وحليف لهم من طيّئ ، وهو عمرو بن شيبان[1] ، قتله يزيد بن قيس . وحليف آخر ، وهو جبّار بن سفيان ، أخو عمرو بن سفيان المقدّم ذكره ، قتله أبو بُرْدة بن نيار .

ومن بني عمران بن مخزوم حاجز[2] بن السائب بن عُوَيْمر بن عائذ ، قتله عليّ عليه السلام .

وروى البَلاذُريّ أنّ حاجزاً هذا وأخاه عُوَيمر بن السائب بن عُوَيمر ، قتلهما عليّ ابن أبي طالب عليه السلام[3] ـ وعُوَيْمر بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ؛ قتله النّعمان بن أبي مالك ؛ فهؤلاء تسعة عشر .

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هصيص ، أميّة بن خلف ، قتله خُبَيب بن يساف وبلال ، شركا فيه .

قال الواقديّ : وكان معاذ بن رفاعة بن رافع يقول : بل قتله أبو رفاعة بن رافع .

---

(١) الواقدي : « سفيان » .

(٢) في البلاذري : « حاجر » .

(٣) أنساب الأشراف ١ : ٣٠٠ .

وعليّ بن أمية بن خلف ، قتله عمّار بن ياسر . وأوس بن المُغيرة بن لودان ، قتله عليّ عليه السلام ، وعثمان بن مظعون ، شركا فيه ؛ فهؤلاء ثلاثة

ومن بني سَهْم ، منبّه بن الحجاج ، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل : قتله أبو أسيد الساعديّ . ونبيه بن الحجّاج قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام . والعاص بن منبّه بن الحجاج ، قتله عليّ عليه السلام . وأبو العاص بن قَيْس بن عديّ بن سعد ابن سهم ، قتله أبو دُجَانة ـ قال الواقديّ : وحدثني أبو معشر عن أصحابه ، قالوا : قتله عليّ عليه السلام ـ وعاص بن أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد ، قتله أبو دُجانة ، فهؤلاء خمسة .

ومن بني عامر بن لؤيّ ، ثمّ من بني مالك بن حسل ، معاوية بن عبد قيس حليف لهم ، قتله عُكّاشة بن محصن . ومعبد بن وهب ، حليف لهم من كلب ، قتله أبو دُجانة فهؤلاء اثنان .

فجميع مَن قتل ببدر في رواية الواقديّ من المشركين في الحرب وصبرا ، اثنان وخمسون رجلا ، قتَل عليّ عليه السلام منهم مع الذين شرِكوه في قتلهم أربعة وعشرين رجلا . وقد كثرت الرواية أنّ المقتولين ببدر كانوا سبعين ، ولكن الذين عرفوا وحفظت أسماؤهم من ذكرناه ، وفي رواية الشيعة أنّ زَمعة بن الأسود بن المطلب قتله عليّ ، والأشهر في الرواية أنه قتله الحارث بن زمعة ، وأن زمعة قتله أبو دُجَانة[1] .

* * *

القول فيمن شهد بدراً من المسلمين

قال الواقديّ : كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا مع القوم الذين ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بسهامهم وهم غائبون وعدّتهم ثمانية . قال : وهذا هو الأغلب في الرواية ،

(١) انظر تسمية من قتل من المشركين ببدر في الواقدي ١٤٣ — ١٥١

قال : ولم يشهد بدرا من المسلمين إلا قرشي أو حليف لقرشي أو أنصاري أو حليف لأنصاري أو مولى واحد منهما ، وهكذا من حسب المشركين ، فإنه لم يشهدها إلا قرشي أو حليف لقرشي أو مولى لهم .

قال : فكانت قريش ومواليها وحلفاؤها ستة وثمانين رجلا ، وكانت الأنصار ومواليها وحلفاؤها مائتين وتسعة وعشرين رجلا[1] .

فأما تفصيل أسماء من شهدها من المسلمين فله موضع في كتب المحدثين أملك به من هذا الموضع .

* * *

[قصة غزوة أُحُد]

الفصل الرابع : في شرح قصة غزاة أُحُد . ونحن نذكر ذلك من كتاب الواقدي[2] رحمه الله على عادتنا في ذكر غزاة بدر ، ونضيف إليه من الزيادات التي ذكرها ابن إسحاق والبلاذري ما يقتضي الحال ذكره .

قال الواقدي : لما رجع مَنْ حضر بدرا من المشركين إلى مكة وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفة في دار الندوة ، وكذلك كانوا يصنعون ، فلم يحركها أبو سفيان ولم يفرقها لغيبة أهل العير ، ومشت أشراف قريش إلى أبي سفيان : الأسودُ بن عبد المطلب بن أسد ، وجُبير بن مطعم ، وصفوان بن أمية ، وعِكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، وحويطب بن عبد العزّى ؛ فقالوا : يا أبا سُفيان ، انظر هذه العير التي قدِمْتَ بها فاحتَبِسْها[3] ، فقد عرفتَ أنها أموال أهل مكة ولَطِيمة[4] قريش ، وهم طيِّبو الأنفس ، يجهِّزون بهذه العير جيشا كثيفا إلى محمد ، فقد

---

(١) مغازي الواقدي ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) أخبار غزوة أحد في مغازي الواقدي ص ١٩٧ وما بعدها .

(٣) الواقدي : « فاحتبسها » .

(٤) اللطيمة : العير تحمل الطيب وبز التجار .

ترى مَنْ قتل من آبائنا وأبنائنا وعشائرنا . فقال أبو سفيان : وقد طابت أنفس قريش بذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فأنا أول من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معى ، فأنا والله الموتور والثائر[1] ، وقد قتل ابنى حنظلة ببدر وأشراف قومى . فلم تزل العِير موقوفةً حتى تجهزوا للخروج ، فباعوها فصارت ذهبا عينا ، ويقال : إنما قالوا : يا أبا سفيان ، بِعِ العير ثم اعزل أرباحها ، فكانت العيرُ ألف بعير ، وكان المال خمسين ألف دينار ؛ وكانوا يربحون فى تجاراتهم للدينار دينارا ، وكان متجرهم من الشام غزّة ، لا يعدونها إلى غيرها ، وكان أبو سفيان ، قد حبس عير بنى زهرة ، لأنهم رجعوا من طريق بدر ، وسلّم ما كان لمخرمة بن نوفل ولبنى أبيه وبنى عبد مناف بن زُهرة ، فأبى مخرمة أن يقبل عيره حتى يسلّم إلى بنى زُهرة جميعا[2] . وتكلم الأخنس ، فقال : وما لعير بنى زهرة من بين عيرات قريش ! قال أبو سفيان : لأنهم رجعوا عن قريش ، قال الأخنس : أنت أرسلت إلى قريش أن ارجعوا فقد أحرزنا العير ، لا تخرجوا فى غير شىء ، فرجعنا ، فأخذت بنو زُهرة عيرها وأخذ أقوام من أهل مكة أهل ضعف لا عشائر لهم ولا منعة ، كلّ ما كان لهم فى العير .

قال الواقدى : وهذا يبين أنه إنما أخرج القومَ أرباح العير . قال : وفيهم أنزل[3] : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ الآية

قال : فلما أجمعوا على المسير ، قالوا : نسير فى العرب فنستنصرهم ؛ فإنّ عبدة مناة غير متخلّفين عنا ، هم أوصلُ العرب لأرحامنا ومن اتبعنا من الأحابيش ، فأجمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش يسيرون فى العرب ، يدعونهم إلى نصرهم ؛ فبعثوا عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب وابن الزِّبَعرى وأبا عزّة الجُمَحِى ، فأبى أبو عزّة أن يسيرَ[4] وقال : من

(١) الثائر : الذى يقوم بالثأر

(٢) أ : « أقرانه »

(٣) أ : « جماعة » .

(٤) فى الواقدى . « فأطاع النفر وأبى أبو عزة » .

علىّ محمد يوم بدر ، وحلفت ألا أظاهر[1] عليه عدوًّا أبدا . فمشى إليه صفوان بن أمية فقال : اخرج ، فأبى ، وقال : عاهدتُ محمدا يوم بدر ألّا أظاهر عليه عدوًّا أبدا ، وأنا أفى له بما عاهدته عليه[2] ، مَنَّ علىّ ولم يَمُنّ على غيرى حتى قتله أو أخذ منه الفداء . فقال صفوان : اخرج معنا ، فإن تسلم أعطك من المال ما شئت ، وإن تُقتل تكن عيالك مع عيالى . فأبى أبو عزّة ، حتى كان الغد ، وانصرف عنه صفوان بن أمية آيسا منه ؛ فلما كان الغد جاءه صفوانُ وجبير بن مطعم ، فقال له صفوان الكلام الأوّل فأبى ، فقال جبير : ما كنتُ أظن أنى أعيش حتى يمشىَ إليك أبو وهب فى أمر تأبى عليه ! فأحفظه ، فقال : أنا أخرج ، قال : فخرج إلى العرب يجمعها ، ويقول :

إيهًا بنى عبد مناةِ الرزّامْ[3] · أنتم حماةٌ وأبوكم حامْ
لا تُسلمونى لا يحلُّ إسلامْ · لا تعِدونى نصرَكم بعد العامْ[4]

وخرج النفر مع أبى عزة ، فألّبوا العرب وجمعوا ، وتقدّموا ثقيفا فأوعبوا[5] ، فلما أجمعوا المسير وتألّب مَنْ كان معهم من العرب وحضروا ، واختلفت قريش فى إخراج الظُّعن معهم ، قال صفوان بن أمية : اخرجوا بالظُّعن[6] فأنا أول من فعل ، فإنه أقمن أن يحفظنكم ويذكّرنكم قتلى بدر ، فإن العهد حديث ، ونحن قوم موتورون مستميتون ، لا نريد أن نرجع إلى ديارنا حتى ندركَ ثأرنا أو نموت دونه . فقال عكرمة بن أبى جهل : أنا أوّل من أجاب إلى ما دعوتَ إليه ، وقال عمرو بن العاص مثل ذلك ، فمشى فى ذلك

---

(١) الواقدى : « لا أظاهر » . (٢) من الواقدى .
(٣) ابن هشام ٣ : ٤ : « إيهاً بنى عبد مناة » . والرزّام : جمع رازم ؛ وهو الذى يثبت فى مكانه لا يبرحه ، تقول : رزم البعير ، إذا ثبت فى مكانه .
(٤) ابن هشام : « لا تعدونى » .
(٥) ب : « أرعبوا » ، وأثبت ما فى ا والواقدى ، وأوعبوا : أى خرجوا جميعا .
(٦) الظعن : جمع ظعينة ؛ وهى المرأة فى الهودج ؛ وأصل الظعينة الهودج ، سميت المرأة به لقربها منه فى السفر ؛ وقيل : سميت ظعينة لأنها تظعن مع زوجها .

نوفل بن معاوية الدِّيلىّ ، فقال : يامعشرَ قريش ، هذا ليس برأى ، أن تعرّضوا حُرَمكم لعدوكم ؛ ولا آمن أن تكون الدَّبْرة[1] لهم فتفتضحوا فى نسائكم . فقال صفوان : لا كان غير هذا أبدا ! فجاء نوفل إلى أبى سفيان بن حرب فقال له تلك المقالة ، فصاحت هند بنت عتبة : إنك والله سلمت يوم بدر ، فرجعتَ إلى نسائك ؛ نعم نخرج فنشهد القتال ، فقد رُدّت القيان من الجحفة فى سفرهم إلى بدر ، فقتلت الأحبّة يومئذ . فقال أبو سفيان : لستُ أخالف قريشا ، أنا رجلٌ منها ؛ ما فعلتْ فعلتُ . فخرجوا بالظُّعُن ، فخرج أبو سفيان بن حرب بامرأتين : هند بنت عتبة بن ربيعة وأُمَيْمة بنت سعد بن وهب بن أشيَم بن كنانة ، وخرج صفوان بن أمية بامرأتين : برزة بنت مسعود الثقفى وهى أم عبد الله الأكبر والبغوم بنت المعذل من كنانة ، وهى أمّ عبد الله الأصغر ، وخرج طلحة بن أبى طلحة بامرأته سُلافة بنت سعد بن شهيد ، وهى من الأوس ، وهى أمّ بنيه : مسافع ، والحارث ، وكلاب والجلاس بنى طلحة بن أبى طلحة ، وخرج عِكْرِمة بن أبى جهل بامرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، وخرج الحارث بن هشام بامرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج عمرو بن العاص بامرأته هند بنت منبّه بن الحجاج ، وهى أم عبد الله بن عمرو بن العاص — وقال محمد بن إسحاق اسمها : رَيْطة — وخرجت خُناس بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبى عزيز بن عمير ، أخى مُصْعب بن عمير من بنى عبد الدار ، وخرج الحارث بن سفيان بن عبد الأسد بامرأته رَمْلة بنت طارق بن علقمة الكنانية ، وخرج كنانة بن علىّ بن ربيعة بن عبد العُزَّى بن عبد شمس بن عبد مناف بامرأته أمّ حكيم بنت طارق ، وخرج سفيان بن عُوَيف بامرأته قُتَيلة بنت عمرو بن هلال ، وخرج النعمان بن عمرو وجابر مسك الذئب أخوه ؛ بأمّهما

---

(١) الدَّبْرة : العاقبة .

(٢) من ا والواقدى .

الدُّغُنّية ، وخرج غراب بن سفيان بن عويف بامرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية ، وهي التي رفعت لواء قريش حين سقط حتى تراجعت قريش إلى لوائها ، وفيها يقول حسان :

ولولا لواء الحارثيّـــةِ أصبحُوا يباعون في الأسواق بالثّمن البَخْسِ

قالوا : وخرج سُفيان بن عويف بعشرة من ولده ، وحَشّدت بنو كنانة . وكانت الألوية يومَ خرجوا من مكّة ثلاثة عقدوها في دار النّدوة : لواء يحمله سُفيان بن عويف لبني كنانة ، ولواء الأحابيش يحمله رجل منهم ، ولواء لقريش يحمله [1] طلحة بن أبي طلحة .

قال الواقدي : ويقال خرجت قريش ولفُّها [2] كلهم ؛ من كنانة والأحابيش وغيرهم على لواء واحد ، يحمله طلحة بن أبي طلحة . وهو الأثبت عندنا .

قال : وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضوَى [3] إليها ، وكان فيهم من ثقيف مائة رجل ، وخرجوا بعدّة وسلاح كثير ، وقادوا مائتي فرس ، وكان فيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير . فلمّا أجمعوا على المسير كتب العبّاس بن عبد المطلب كتاباً ، وختمه ، واستأجر رجلاً من بني غِفار ، وشرط عليه أن يسيرَ ثلاثاً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله يخبره أنّ قريشاً قد اجتمعت [4] للمسير إليك : فما كنت صانعاً إذا حلّوا [5] بك فاصنعه .
وقد وجّهوا وهم ثلاثة آلاف ، وقادوا مائتي فرس ، وفيهم سبعمائة دارع ، وثلاثة آلاف بعير ، وقد أوعبوا من السّلاح . فقدم الغفاريّ فلم يجد رسولَ الله صلى الله عليه وآله بالمدينة ، ووجده بقُباء ، فخرج حتى وجدَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله على باب مسجد قُباء يركب

---

(١) ب : « يحمله » ، وأثبت ما في ا والواقدي .
(٢) لفها ، أي من اجتمع إليها من الناس .
(٣) ضوى إليها : انضم إليها ، وفي ا و ب والواقدي « ضم » .
(٤) ا : « أجمعت المسير » .
(٥) ب : « حلوا » وأثبت ما في ا والواقدي .

جاره ، فدفع إليه الكتاب ، فقرأه عليه أبىّ بن كعب ، واستكتم أبيّاً ما فيه ، ودخل منزلَ سعد بن الربيع ، فقال : أفى البيت أحد ؟ فقال سعد : لا ، فتكلّمْ بحاجتك، فأخبره بكتابِ العبّاس بن عبد المطلب ، فجعل سعد يقول : يارسولَ الله ، والله إنّى لأرجُو أن يكونَ فى ذلك خير ، وأرجفت [1] يهود المدينة والمنافقون ، وقالوا : ماجاء محمدا شىء يحبّه، وانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، وقد استكتم سعدَ بن الربيع الخبَر . فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله من منزله ، خرجت امرأة سعد بن الربيع إليه ، فقالت : ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؟ قال : مالكِ ولذلك ، لا أمّ لكِ ! قالت : كنت أستمع عليكم ، وأخبرتْ سعدا الخبر ، فاسترجع سعد ، وقال : لا أراكِ تستمعين علينا وأنا أقولُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تكلّمْ بحاجتك ! ثم أخذ بجُمَّع لِمّتها [2] ، ثم خرج يعدُو بها حتى أدرك رسولَ الله صلى الله عليه وآله بالجسر ، وقد بَلَحَتْ ، فقال : يارسولَ الله ، إنّ امرأتى سألتنى عمّا قلتُ فكتمتُها ، فقالت : قدسمعتُ قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاءت بالحديث كلّه ــ فخشيت يارسول الله أن يظهر من ذلك شىء فتظنّ أنّى أفشيتُ سرّك ، فقال صلى الله عليه وسلّم : خلّ سبيلها . وشاع الخبر بين النّاس بمسير قريش . وقدم عمرو بن سالم الخزاعىّ فى نفر من خُزاعة ، ساروا من مكّة أربعا ، فوافوا قريشا وقد عسكروا بذى طُوَى ، فأخبروا رسولَ الله صلى الله عليه وآله الخبَر، ثمّ انصرفوا ولقوا قريشا ببطن رابغ ، وهو أربع ليال من المدينة ، فنكّبوا عن قريش .

قال الواقدىّ : فلمّا أصبح أبو سفيان بالأبواء أخبر أنّ عمرو بن سالم وأصحابه راحوا أمس مُمْسين إلى مكّة ، فقال أبو سفيان : أحلف بالله أنهم جاءوا محمدا فخبّروه بمسيرنا وعدَدِنا [3] ، وحذّروه منّا ، فهم الآن يلزمون صياصيَهم ، فما أرانا نصيب منهم شيأ فى وجهنا . فقال صفوان بن أميّة : إنْ لم يُصحِرُوا [4] لنا عمَدْنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه ،

(١) الواقدى : « وقد أرجفت » .

(٢) : لِمّتها .

(٣) الواقدى : « فأخبروه عددنا » .

(٤) أصحروا : خرجوا إلى الصحراء ؛ وهو الفضاء المستوى الواسع .

فتركناهم ولا أموال لهم ، فلا يجتبرونها أبدا ، وإن أصحروا لنا قصدْنا أكثرُ من عددهم ، وسلاحُنا أكثرُ من سلاحهم ، ولنا خيل ولا خيل معهم ، ونحن نقاتل على وِتْرٍ عندهم ولا وِتْر لهم عندنا .

قال الواقديّ : وكان أبو عامر الفاسق قد خرج فى خمسين رجلا من الأوس ، حتى قدِم بهم مكّة حين قدم النبىّ صلى الله عليه وآله يحرّضها ويُعلمها أنّها على الحقّ ، وما جاء به محمد باطل ، فسارت قريش إلى بدر ، ولم يسرْ معها ، فلمّا خرجت قريش إلى أُحُد سارَ معها ، وكان يقول لقريش : إنّى لو قدمت على قومى لم يختلفْ عليكم منهم اثنان ، وهؤلاء معى نفرٌ منهم خمسون رجلا . فصدّقوه بما قال ، وطمعوا فى نصره .

قال الواقديّ : وخرج النّساء معهنّ الدّفوف يحرّضْنَ الرجال ويذكّرْنهم قتلى بدر فى كلّ منزل ، وجعلت قريش تنزل كلّ منهل ، ينحرون ما نحروا من الجُزُر ممّا كانوا جمعوا من العِير ، ويتقوّوْن به فى مسيرهم ، ويأكلون من أزوادهم ممّا جمعوا من الأموال .

قال الواقديّ : وكانت قريش لمّا مرّت بالأبواء ، قالت : إنّكم قد خرجتم بالظُّعن معكم ونحن نخاف على نسائنا فتعالَوْا ننبش قبر أمّ محمد ، فإنّ النّساء عورة ، فإن يصبْ من نسائكم أحداً قلتم هذه رمّة أمّك ، فإن كان برّاً بأمّه ـ كما يزعم ـ فلعمرى لنفادينّهم برمّة أمّه ، وإن لم يظفر بأحد من نسائكم فلعمرى ليفدينّ رمّة أمّه بمال كثير إن كان بها برّاً . فاستشار أبو سفيان بن حرب أهلَ الرأى من قريش فى ذلك ، فقالوا : لا تذكر من هذا شيئاً ، فلو فعلنا نبشتْ بنو بكر وخُزاعة موتانا .

قال الواقديّ : وكانت قريش بذى الحُليفة يوم الخميس صبيحة عشر من مخرجهم من مكّة، وذلك لخمس ليال مضيْن من شوّال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة ، فلمّا

أصبحوا بذى الحليفة خرج فرسان منهم فنزلوهم الوطاء[1] ، وبعث النبى صلى الله عليه وآله عينين له ـ أنسا ومؤنسا ابنى فضالة ليلة الخميس ، فاعترضا لقريش بالعقيق ، فسارا معهم ، حتى نزلوا الوطاء ، وأتيا رسولَ الله صلى الله عليه وآله فأخبراه ، وكان المسلمون قد ازدرعوا العِرض[2] ـ والعرض ما بين الوطاء بأُحُد إلى الجُرُف إلى العرصة ، عرصة البقل اليوم ، وكان أهله بنو سلِمة وحارثة وظَفَر وعبد الأشهل ، وكان الماء يومئذ بالجرف نشطة لا يرِم سائق الناضح مجلسا واحدا ينفتل الجمل فى ساعته ، حتى ذهبت بمياهه عيون الغابة التى حفرها معاوية بن أبى سفيان[3] ، وكان المسلمون قد أدخلوا آلة زرعهم ليلة الخميس المدينة ، فقدم المشركون على زرعهم فخلّوا فيه إبلهم وخيولهم ، وكان لأسيد بن حُضير فى العرض عشرون ناضحا تسقى شعيرا ، وكان المسلمون قد حذروا على جمالهم وعمالهم وآلة حرثهم ، وكان المشركون يرعون يوم الخميس ، فلما أمسوا جمعوا الإبل وقصلوا عليها القصيل ، وقصلوا على خيولهم ليلة الجمعة ، فلما أصبحوا يوم الجمعة خلّوا ظهرهم فى الزرع وخيلهم ، حتى تركوا العِرض ليس به خضراء .

قال الواقدىّ : فلمّا نزلوا وحلّوا العُقَد ، واطمأنوا بعثَ رسول الله صلى الله عليه وآله الحُباب بن المنذر بن الجموح إلى القوم ، فدخل فيهم وحزَر ونظر إلى جميع ما يريد ، وكان قد بعثه سرًّا ، وقال له : إذا رجعت فلا تخبرنى بين أحد من المسلمين إلا أنْ ترَى فى القوم قِلّة ، فرجع إليه فأخبره خاليًا ، وقال له : رأيت عددا حزرتُهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، والخيل مائتى فرس ، ورأيت دُروعا ظاهرة حزرتُها سبعمائة درع . قال : هل رأيت ظُعُنا ؟ قال : نعم رأيت النساء معهن الدِّفاف والأكبار ـ وهى الطبول ـ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : أردْنَ أن يحرّضن القوم ويذكّرنهم قتلى بدر ، هكذا

---

(١) الوطاء : ما انخفض من الأرض . (٢) العرض : الوادى .

(٣) كذا وردت العبارة فى الأصول وفى الواقدى وفيها غموض .

جاءنى حيرم لا تذكر من شأنهم حرفاً ، حسبنا الله ونعم الوكيل ! اللهمّ بك أحول ، وبك أصول !

قال الواقدىّ : وخرج سلمة بن سلامة بن وقش يوم الجمعة ، حتى إذا كان بأدنى العِرض إذا طليعة خيل المشركين عشرة أفراس ركضوا فى أثره ، فوقف لهم على نَشْز[1] من الحرّة ، فرشقهم بالنّبل مرة ، وبالحجارة أخرى حتى انكشفوا عنه ، فلما ولّوا جاء إلى مزرعته بأدنى العِرض ، فاستخرج سيفاً كان له ، ودرع حديد كانت له ، دفنا فى ناحية المزرعة ، وخرج بهما يعدُو ، حتى أتى بنى عبد الأشهل ، فخبّر قومه بما لقى .

قال الواقدىّ : وكان مقدم قريش يوم الخميس لخمس خلون من شوال ، وكانت الوقعة يوم السبت لسبع خلون من شوال ، وباتت وجوهُ الأوس والخزرج : سعد بن مُعاذ وأسيد ابن حُضير ، وسعد بن عبادة ، فى عدّة منهم ليلة الجمعة ، عليهم السلاح فى المسجد بباب النبى صلى الله عليه وآله خوفاً من تبييت المشركين ، وحُرِست المدينة تلك الليلة ، حتى أصبحوا ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله رؤيا ليلة الجمعة ، فلما أصبح واجتمع المسلمون خطبهم .

قال الواقدىّ : حدّثنى محمّد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : ظهر النبى صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها النّاس ، إنى رأيتُ فى منامى رؤيا ؛ رأيت كأنى فى درع حصينة ، ورأيت كأنّ سيفى ذا الفقار انفصم[2] من عند ظُبَته ، ورأيت بقراً تذبح ، ورأيت كأنى مردِف كبشاً ، فقال النّاس : يارسولَ الله ، فما أوّلتها ؟ قال : أما الدّرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، وأمّا

(١) ب : « نشرة » .
(٢) ا والواقدى : « انقصم » .

انفصام[1] سيفى عند غلبته قصيبة فى نفسى ، وأمّا البقر المذبّح فقتلى فى أصحابى ؛ وأما أنى مردف[2] كبشا فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله .

قال الواقدىّ : وروى عن ابن عباس ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال : « أما انفصام سيفى فقتلُ رجل من أهل بيتى » .

قال الواقدىّ : وروى المسور بن مَخْرَمة ، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وآله : ورأيت فى سيفى فَلًّا فكرهته ، هو الذى أصاب وجهه عليه السلام .

قال الواقدىّ : وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أشيروا علىّ ، ورأى صلى الله عليه وآله ألاّ يخرج من المدينة لهذه الرؤيا ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ أن يوافَق على مثل ما رأى ؛ وعلى ما عبّر عليه الرؤيا ، فقام عبد الله بن أبىّ ؛ فقال : يارسول الله ، كنّا نقاتل فى الجاهلية فى هذه المدينة ، ونجعل النساء والذرارىّ فى هذه الصياصى ، ونجعل معهم الحجارة ، والله ربّما مكث الولدان شهرا ينقلون الحجارة ، إعداداً لعدوّنا ، ونشبّك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كلّ ناحية ، وترمى المرأة والصبىّ من فوق الصياصى والآطام ، ونقاتل بأسيافنا فى السكك . يارسول الله إنّ مدينتنا عذراء ما فُضّت علينا قطّ ، وما خرجنا إلى عدوّ قطّ منها إلا أصاب منّا ، وما دخل علينا قطّ إلا أصبناه ، فدعْهم يارسول الله ، فإنهم إن أقاموا أقاموا بشرّ محبس ، وإن رجعوا رجعوا خاسرين مغلوبين ، لم ينالوا خيراً . يارسول الله ، أطعنى فى هذا الأمر ، واعلم أنى ورثتُ هذا الرأى من أكابر قومى وأهل الرأى منهم ، فهم كانوا أهلَ الحرب والتجربة .

قال الواقدىّ : فكان رأىُ رسول الله صلى الله عليه وآله مع رأى ابن أبىّ ، وكان ذلك رأى الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار

(١) ا والواقدى : « انفصام » . (٢) ا : « وأما الكبش المردف » .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : امكثوا فى المدينة ، واجعلوا النساء والذرارىّ فى الآطام ، فإن دُخِل علينا قاتلناهُم فى الأزقة ، فنحن أعلمُ بها منهم ، ورُمُوا من فوق الصياصى والآطام — وكانوا قد شبّكوا المدينة بالبنيان من كلّ ناحية ، فهى كالحصن — فقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدرا ، وطلبوا من رسول الله الخروجَ إلى عدوّهم ، ورغبوا فى الشهادة ، وأحبّوا لقاء العدوّ ، وقالوا : اخرج بنا إلى عدوّنا ، وقال رجال من أهل النبَه[1] وأهل السنّ ، منهم حمزة بن عبد المطلب ، وسعد بن عبادة ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة وغيرهم من الأوس والخزرج : إنا نخشى يارسول الله ، أن يظنّ عدوّنا أنا كرهنا الخروج إليهم جُبْناً عن لقائهم ، فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنتَ يوم بدر فى ثلثمائة رجل ، فظفّرك الله بهم ، ونحن اليوم بشرٌ كثير ، وكنّا نتمنّى هذا اليوم ، وندعو الله به ، فقد ساقه الله إلينا فى ساحتنا هذه — ورسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى من إلحاحهم كاره ، وقد لبسُوا السّلاح يخطرون بسيوفهم ، يتساومُون كأنهم الفحول . وقال مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخُدْرىّ : يارسولَ الله ، نحن والله بين إحدى الحسنيين ، إمّا يظفّرنا الله بهم ، فهذا الذى نريد ، فيذلّهم الله لنا ، فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر ، فلا يبقى منهم إلا الشريد ، والأخرى يارسول الله يرزقنا الله الشهادة ، والله يارسولَ الله ، ما نبالى أيّهما كان ، إنّ كلاً لفيه الخير . فلم يبلغنا أنّ النبى صلى الله عليه وآله رجع إليه قولا ، وسكت . وقال حمزة بن عبد المطلب : والذى أنزل عليه الكتاب ، لا أطعَم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفى خارجا من المدينة ، وكان يقال : كان حمزة يوم الجمعة صائما ، ويوم السبت ، فلاقاهم وهو صائم .

وقال النعمان بن مالك بن ثعلبة أخو بنى سالم : يارسول الله ، أنا أشهد أنّ البقر المذبّح قتلى من أصحابك ، وأنّى منهم ، فلِمَ تحرمنا الجنّة ؟ فوالله الذى لا إله إلا هو

---

(١) النبه : الفطنة ، وفى ا : « النية » .

لأدخُلنّها. قال رسول الله: بم؟ قال: إنّي أحبّ الله ورسوله، ولا أفِرُّ يوم الزحف.
فقال: صدقت، فاستُشهد يومئذ.

وقال أياس بن أوس بن عتيك: يارسولَ الله، نحن بنو عبد الأشهل من البقر المذبّح، نرجو يارسولَ الله أن نذبح في القوم، ويُذبح فينا، فنصير إلى الجنة، ويصيرون إلى النار، مع أنّي يارسولَ الله لا أحبّ أن ترجعَ قريش إلى قومها، فتقول: حصرْنا محمداً في صياصي يثرب وآطامها، فتكون هذه جرأة لقريش، وقد وطئوا سعَفنا؛ فإذا لم نذبّ عن عرضنا، فلم نزرع؟ وقد كنّا يارسول في جاهليّتنا، والعرب يأتوننا، فلا يطمعون بهذا منّا حتى نخرُجَ إليهم بأسيافنا فنذبّهم عنّا، فنحن اليوم أحقّ إذ أمدّنا الله بك، وعرفنا مصيرَنا، لا نحصر أنفسنا في بيوتنا.

وقام خيثمة، أبو سعد بن خيثمة فقال: يارسول الله، إن قريشا مكثتْ حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ومَن اتّبعها من أحابيشها ثم جاءونا قد قادوا الخيل، واعتلوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا، فيحصروننا في بيوتنا وصياصينا، ثم يرجعون وافرين لم يكلَموا، فيجرّئهم ذلك علينا حتى يشنّوا الغارات علينا، ويصيبوا أطلالنا ويضعوا العيون والأرصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجترئُ علينا العرب حولنا حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم، فنذبّهم عن حريمنا، وعسى الله أن يظفّرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الأخرى، فهي الشهادة. لقد أخطأتني وقعة بدر، وقد كنت عليها حريصاً؛ لقد بلغ من حرصي أنْ ساهمت ابني في الخروج، فخرج سهمُه، فرُزق الشهادة وقد كنت حريصا على الشهادة، وقد رأيت ابني البارحةَ في النوم في أحسن صورة يسرَحُ في ثمار الجنة وأنهارها، وهو يقول الحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدتُ ما وعدني ربي حقّاً، وقد والله يارسولَ الله أصبحت مشتاقاً إلى مرافقته في الجنّة، وقد كبرتْ سنّي، ودقّ عظمي، وأحببت

لقاء ربي، فادعُ الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة، ومرافقة سعد في الجنة؛ فدعا له رسولُ الله بذلك، فقُتِل بأُحُدٍ شهيداً.

قال أنس بن قتادة: يا رسولَ الله؛ هي إحدى الحسنيين، إمّا الشهادة وإمّا الغنيمة والظَّفَر بقتلهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني أخافُ عليكم الهزيمة.

فما أبَوْا إلّا الخروج والجهاد، صلّى رسول الله يوم الجمعة بالناس، ثم وعظهم، وأمرهم بالجدّ والاجتهاد، وأخبرهم أنّ لهم النصر ما صبروا؛ ففرح الناس حيث أعلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالشُّخوص إلى عدوّهم، وكرِه ذلك المخرجَ بشرٌ كثير من أصحاب رسول الله، وأمرهم بالتهيّؤ لعدوّهم، ثم صلّى العصر بالناس، وقد حشد الناس وحضَر أهلُ العوالي، ورفعوا النساء إلى الآطام، فحضرت بنو عمرو بن عوف بلفّها، والنّبيت ولفّها، ولبسوا السلاح، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته، ودخل معه أبو بكر وعمر فعمّماه ولبّساه وصفّ [الناس] (1) له ما بين حجرته إلى منبره، ينتظرون (2) خروجه، فجاءهم سعد بن مُعاذ، وأسيد بن حُضير، فقالا لهم: قلتُم لرسول الله ما قلتم، واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فردّوا الأمر إليه، فما أمرَكم فافعلوه، وما رأيتم فيه [له] (1) هوًى أو رأياً فأطيعوه. فبينا (3) القومُ على ذلك من الأمر، وبعض القوم يقول: القول ما قال سعد، وبعضهم على البصيرة على الشخوص، وبعضهم للخروج كارهٌ؛ إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله قد لبس لأمته، وقد لبس الدّرع فأظهرها، وحزم وسطها بمِنطقة من حمائل سيف من أدَمٍ كانت بعدُ عند آل أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتمّ، وتقلّد السيف. فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وآله ندموا جميعاً

(1) من الواقدي.

(2) كذا في الواقدي، وفي ب «منتظرون».

(3) ا: «فبينما»، وهي رواية الواقدي.

على ما صنعوا ، وقال الذين يلحّون على رسول الله صلى الله عليه وآله : ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما بدا لك ، وما كان لنا أن نستكرهك والأمرُ إلى الله ثم إليك ، فقال : قد دعوتُكم إلى هذا الحديث فأبيتُم ، ولا ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكمَ الله بينه وبين أعدائه . قال : وكانت الأنبياء قبله إذا لبس النبيّ لأمتَه لم يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . ثم قال لهم : انظروا ما أمرتُكم به فاتّبعوه ، امضُوا على اسم الله؛ فلكم النّصر ما صبرتم .

* * *

قلت : فمَنْ تأمّل أحوال المسلمين في هذه الغزاة ، من فشلهم وخَوَرهم واختلافهم في الخروج من المدينة والمقام بها ، وكراهة النبيّ صلى الله عليه وآله للخروج ، ثم خروجه على مضض ، ثم ندم القوم الذين أشاروا بالخروج ، ثم انخذال طائفة كثيرة من الجيش عن الحرب ، ورجوعهم إلى المدينة ، علم أنّه لا انتصارَ لهم على العدوّ أصلًا ، فإنّ النّصر معروف بالعزم والجِدّ والبصيرة في الحرب ، واتفاق الكلمة . ومَنْ تأمّل أيضا هذه الأحوال علم أنّها ضدّ الأحوال التي كانت في غزاة بدر ، وأنّ أحوال قريش لما خرجت إلى بدر كانت مماثلةً لأحوال المسلمين لمّا خرجوا إلى أُحُد ؛ ولذلك كانت الدّائرة في بدر على قريش .

قال الواقديّ : وكان مالك بن عمرو النّجاريّ مات يوم الجمعة ، فلمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله فلبس لأمته وخرج وهو موضوع عند موضع الجنائز صلّى[1] عليه ، ثم دعا بدابّته ، فركب إلى أُحُد .

* * *

قال الواقديّ : وجاء جُعَيْل بن سُراقة إلى النبي صلى الله عليه وسلّم وهو متوجّه إلى أُحُد ، فقال : يا رسولَ الله ، قيل لي : إنّك تُقتَل غدا — وهو يتنفس مكروبًا — فضرب النبيّ صلى الله عليه وآله بيده إلى صدره ، وقال : أليس الدهر كلّه غداً ! قال : ثم دعا بثلاثة أرماح ، فعقد ثلاثة ألوية ، فدفع لواء الأوس إلى أُسَيْد بن حُضَير ، ودفع لواء الخزرج إلى الحُباب بن المنذر بن الجَموح — ويقال إلى سعد بن عبادة — ودفع لواء المهاجرين

(١) ب : « فصلى » ، والصواب ما أثبته من ا والواقدي .

إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام — ويقال إلى مصعب بن عُمَير — ثم دعا بفرسه، فركبه؛ وتقلّد القوس وأخذ بيده قناة — زجّ الرمح يومئذ من شَبَهٍ — والمسلمون متلبّسون السلاح، قد أظهروا الدروع، فيهم مائة دارع؛ فلمّا ركب صلى الله عليه وآله خرج السَّعدان أمامه يعدُوان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، كلّ واحد منهما دارع، والناس عن يمينه وشماله حتى سلك على البدائع، ثم زقاق الحِسْى، حتى أتى الشَّيخين — وهما أُطُمَان كانا في الجاهلية فيهما شيخ أعمى وعجوز عمياء يتحدّثان، فسُمّي الأُطُمَان الشيخين — فلمّا انتهى إلى رأس الثنيّة، التفت فنظر إلى كتيبة خشناء لها زَجَل[1] خلفه، فقال: ما هذه؟ قال: هذه حُلَفاء[2] ابن أبيّ من اليهود، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تستنصر بأهل الشِّرْك على أهل الشِّرْك. ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وعرض عسكره بالشَّيخين، فعرض عليه غلمان، منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والنعمان ابن بشير، وزيد بن أرقم، والبَرَاء بن عازب، وأُسَيد بن ظُهير، وعَرابة بن أوس، وأبو سعيد الخدريّ، وسَمُرة بن جندب، ورافع بن خُدَيج.

قال الواقديّ: وردّهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله، قال رافع بن خديج: فقال ظُهير بن رافع: يارسولَ الله، إنه رامٍ يعينني. قال: وجعلتُ أتطاول، وعليّ خُفّان لي، فأجازني رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا أجازني قال سَمُرة بن جندب لمُرَيّ بن سنان الحارثيّ — وهو زوج أمّه: يا أبتِ، أجاز رسول الله صلى الله عليه وآله رافع بن خُدَيج، وردّني وأنا أصرع رافعا! فقال مُرَيّ: يارسولَ الله، رددتَ ابني، وأجزتَ رافع بن خُدَيج وابني يصرعه! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تصارعا، فصرع سَمُرةُ رافعا، فأجازه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم.

قال الواقديّ: وأقبل ابنُ أبيّ، فنزل ناحية العسكر، فجعل حلفاؤه ومَنْ معه[3] من المنافقين يقولون لابن أُبيّ: أشرتَ عليه بالرأي، ونصحتَه وأخبرته أنّ هذا رأي مَنْ

---

(١) الزجل، محركة: رفع الصوت والجلبة. (٢) ب: «حلفاء».

(٣) كذا في ا والواقدي، وفي ب: «رهطه».

معى من آبائك ، وكان ذلك رأيه مع رأيت ؛ فأبى أن يقبله ، وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه . قال : فصادفوا من ابن أبىّ نفاقا وغشًّا ، فبات رسول الله صلى الله عليه وآله بالشّيخين ، وبات ابنُ أبىّ فى أصحابه ، وفرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من عَرْض مَنْ عَرَض ، وغابت الشمس ، فأذّن بلال بالمغرب ، فصلّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله بأصحابه ، ثم أذّن بالعشاء ، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله نازل فى بنى النّجّار ، واستعمل على الحرس محمّد بن مسلمة فى خمسين رجلا يُطيفون بالعسكر ، حتى ادّلجَ[1] رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، وكان المشركون قد رأوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله حيث ادّلجَ ، ونزل بالشّيخين ، فجمعوا خيلهم وظهرهم ، واستعملوا على حَرَسهم عِكْرمة بن أبى جهل فى خيل من المشركين ، وباتت صاهلة خيلهم لا تهدأ ، تدنو طلائعهم ؛ حتى تلصق بالحرّة ، فلا تصعد فيها حتى ترجع خيلُهم ، ويهابون موضع الحرّة ، ومحمد بن مسلمة .

قال الواقدىّ : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله قال حين صلّى العشاء : مَنْ يحفظنا الليلة ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله فقال : مَنْ أنت؟ قال : ذكوان بن عبد القيس ، فقال : اجلس ، ثم قال ثانية : مَنْ رجلٌ يحفظنا الليلة ؟ فقام رجل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أبو سَبُع ، قال : اجلس ، ثم قال ثالثة مثل ذلك ، فقام رجل ، فقال : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا ابن عبد قيس ؛ فمكث رسول الله صلى الله عليه وآله ساعةً ، ثم قال : قوموا ثلاثتكم ، فقام ذكوان بن عبد قيس ، فقال رسول الله : وأين صاحباك ؟ فقال ذكوان : أنا الذى كنت أجيبك الليلةَ ! قال : فاذهب حفظك الله .

* * *

قلت : قد تقدّم هذا الحديث بذاته فى غزوة بدر ، وظاهر الحال أنه مكرّر ،

(١) الادلاج : السير فى آخر الليل .

وأنه إنما كان فى غزاة واحدة ، ويجوز أن يكون قد وقع فى امرأتين ، ولكن على بعد .

قال الواقدى : فلبس ذكوان درعه ، وأخذ دَرَقته ، فكان يطوف على العسكر تلك الليلة ، ويقال : كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وآله لم يفارقه .

قال : ونامَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله حتى ادّلج ، فلما كان فى السَّحَر ، قال رسول الله : أين الأدلاء ؟ مَنْ رجلٌ يدلّنا على الطريق ، ويخرجنا على القوم من كثب ؟ فقام أبو حثيمة الحارثى ، فقال : أنا يا رسولَ الله ، ويقال : أوس بن قيظيّ ويقال : محيّصة .

قال الواقدى : وأثبت ذلك عندنا أبو حثيمة ، فخرج برسول الله صلى الله عليه وآله ، وركب فرسه ، فسلك به فى بنى حارثة ، ثم أخذ فى الأموال حتى مرّ بحائط مِرْبع بن قيظيّ ؛ وكان أعمى البصر منافقا ، فلما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وآله حائطه ، قام يحثى التراب فى وجوه المسلمين ، ويقول : إن كنتَ رسولَ الله فلا تدخلْ حائطى ، فلا أحِلّه لك .

قال محمد بن إسحاق : وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب ، وقال : والله لو أعلم أنى لا أصيب غيرَك يا محمد لضربت بها وجهك[1] .

قال الواقدى : فضربه سعد بن زيد الأشهلىّ بقوس فى يده فشجّه فى رأسه ، فنزل الدّم ، فغضب له بعض بنى حارثة ممن هو على مثل رأيه ، فقال : "[2]هى على عداوتكم يابنى عبد الأشهل ، لاتدعونها أبداً لنا[2]" فقال أسيد بن حُضَير : لا والله ، ولكن نفاقكم ، والله لولا أنى لا أدرى ما يوافق النبىّ صلى الله عليه وآله لضربت عنقه وعنق مَنْ هو على مثل رأيه .

قال : ونهاهم النبى صلى الله عليه وآله عن الكلام فأسكتوا .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٩ .

(٢ ـ ٢) الواقدى : « هى عداوتكم يابنى عبد الأشهل لا تدعونها أبدا » .

وقال محمد بن إسحاق : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : دعوه ، فإنه أعمى البصر ، أعمى القلب . يعني مِرْبَع بن قيظي[1] .

قال الواقدي : ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، فبينا هو في مسيره إذ ذبّ فرس أبي بردة بن نيار بذنبه فأصاب كُلّاب سيفه ، فسلّ سيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياصاحبَ السيف ، شِمْ[2] سيفك ، فإني أخال السيوف ستسلّ اليوم فيكثر سَلّها قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب الفأل ، ويكره الطِّيَرة ، قال : ولبس رسول الله صلى الله عليه وآله من الشَّيْخين درعًا واحدة ، حتى انتهى إلى أحد ، فلبس درعا أخرى ، ومغفرا ، وبيضة فوق المغفر ، فلما نهض رسول الله صلى الله عليه وآله من الشَّيْخين ، زحف المشركون على تعبية حتى انتهوا إلى موضع أرض ابن عامر اليوم ، فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى موضع القنطرة اليوم جاءه ، وقد حانت الصلاة ، وهو يرى المشركين ، أمر بلالا فأذّن ، وأقام وصلّى بأصحابه الصُّبح صفوفا ، وانخذل عبدُ الله بن أُبيّ من ذلك المكان في كتيبته ، كأنه هَيْق[3] يقدمهم ، فاتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : أذكّركم الله ودينكم ونبيّكم ، وما شرطتم له أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم ! فقال ابن أُبيّ : ما أرى أنه يكون بينهم قتال ، وإن أطعتني ياأبا جابر لترجعنّ ، فإنّ أهلَ الرأي والحِجَى قد رجعوا ، ونحن ناصروه في مدينتنا ، وقد خالفنا ، وأشرتُ عليه بالرأي فأبى إلا طواعية الغلمان . فلما أبى على عبد الله بن عمرو أن يرجع ، ودخل هو وأصحابه أزقّة المدينة ، قال لهم أبو جابر : أبعدكم الله ! إنّ الله سيُغني النبي والمؤمنين عن نصركم . فانصرف ابن أُبيّ وهو يقول : أيعصيني ويطيع الولدان ! وانصرف عبدُ الله بن عمرو يعدُو حتى لحق رسولَ الله وهو يسوّي الصفوف ، فلما أصيب أصحاب

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٩ .

(٢) شم سيفك ، أي اغمده .

(٣) الهيق : ذكر النعام .

رسول الله صلى الله عليه وآله سُرّ ابنُ أبيّ ، وأظهر الشماتة ، وقال : عصاني وأطاع مَنْ لا رأى له !

قال الواقديّ : وجعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله يصفّ أصحابه ، وجعل الرماة خمسين رجلا على عينين ، عليهم عبد الله بن جُبير ، ويقال : سعد بن أبي وقاص — والثَّبت أنه عبد الله بن جُبير — قال : وجعل أُحُداً خلف ظهره ، واستقبل المدينة ، وجعل عينين عن يساره ، وأقبل المشركون ، واستدبروا المدينة في الوادي ، واستقبلوا أُحُداً ، ويقال : جعل عينين خلف ظهره ، واستدبر الشمس ، واستقبلها المشركون .

قال : والقول الأول أثبت عندنا ، أنّ أُحُداً كان خلف ظهره ، وهو عليه السلام مستقبل المدينة .

قال : ونهى أن يقاتل أحدٌ حتى يأمرهم بالقتال ، فقال عمارة بن يزيد بن السكن : أنّى نَرعى على زرع بني قَيلة ولمّا نضارب ! وأقبل المشركون قد صفّوا صفوفهم ، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، ولهم مُجَنّبتان ، مائتا فرس ، وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية — ويقال عمرو بن العاص — وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة ، وكانوا مائة رام ، ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة — واسم أبي طلحة عبد الله[1] ابن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قصيّ — وصاح أبو سفيان يومئذ : يا بني عبد الدار ! نحن نعرف أنكم أحقّ باللواء منّا ، وإنّا إنما أُتينا يومَ بدر من اللواء ، وإنما يُؤتَى القوم من قِبَل لوائهم ، فالزموا لواءكم ، وحافظوا عليه ، وخلّوا بيننا وبينه ، فإنّا قوم مستميتون موتورون ، نطلب ثأراً حديثَ العهد . وجعل يقول : إذا زالت الألوية ، فما قَوام الناس وبقاؤهم بعدها ! فغضبت بنو عبد الدار ، وقالوا : نحن نسلّم لواءنا ! لا كان هذا أبداً ! وأمّا المحافظة[2] عليه فسترى . ثم أسندوا الرّماح إليه ، وأحدقت به بنو عبد الدار ،

(١) في الواقدي : « عبد العزّى بن عثمان »

(٢) في الواقدي : « فأما محافظة عليه » .

وأغلظوا لأبي سفيان بعضَ الإغلاظ . فقال أبو سفيان : فنجعل لواء آخر ؟ قالوا : نعم ، ولا يحمله إلّا رجل من بني عبد الدار ، لا كان غير ذلك أبداً !

قال الواقديّ : وجعل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يمشي على رجليه ، يسوّي تلك الصفوف ، ويبوّئ أصحابَه مقاعد للقتال ، يقول : تقدّم يافلان ، وتأخّر يافلان ، حتّى إنه لَيَرى منكب الرجل خارجاً فيؤخّره ، فهو يقوّمهم ، كأنّما يقوم القِداح ، حتّى إذا استوت الصفوف ، سأل : مَنْ يحمل لواء المشركين ؟ قيل : عبد الدار ، قال : نحن أحقّ بالوفاء منهم ، أين مُصعب بن عُمَير ؟ قال : ها أنذا ؛ قال : خذ اللواء ، فأخذه مصعب فتقدّم به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال البلاذُريّ : أخذه من عليّ عليه السلام ، فدفعه إلى مصعب بن عمير ، لأنه من بني عبد الدار [1] .

قال الواقديّ : ثمّ قام عليه السلام ، فخطب الناس ، فقال صلى الله عليه وسلّم : أيّها الناس ، أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته ، والتناهي عن محارمه ، ثمّ إنّكم اليوم بمنزل أجر وذُخر لمن ذكر الذي عليه ، ثم وطّن نفسه على الصّبْر واليقين والجِدّ والنشاط ، فإنّ جهاد العدوّ شديد كريه ، قليل مَنْ يصبر عليه ، إلّا مَنْ عزم له على رشده . إنّ الله مع مَنْ أطاعه ، وإن الشيطان مع مَنْ عصاه ، فاستفتحوا أعمالكم بالصّبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله ، وعليكم بالذي آمركم به ، فإنّي حريص على رشدكم . إنّ الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضّعف ، وهو مما لا يحبّه الله ولا يعطي عليه النصر والظّفَر . أيّها الناس إنه قُذِف في قلبي أنّ مَنْ كان على حرام فرغِب عنه ابتغاء ماعند الله غفر الله له ذنبه ، ومَنْ صلّى عَلَى محمد [2] صلّى الله عليه وملائكته

---

(١) أنساب الأشراف ١ : ٣١٧ .

(٢) ا ، والواقدي : « ومن صلّى عليّ » .

عشرا ، ومَنْ أحسنَ؛ من مسلم أو كافر وقع أجرُه على الله فى عاجل دنياه أو فى آجلِ آخرته، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة ، إلا صبيًا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا ، ومَن استغنى عنها استغنى الله عنه ، والله غنىٌّ حميد . ما أعلم من عمل يقرّبكم إلى الله إلّا وقد أمرتُــكم به ، ولا أعلم من عمل يقرّبكم إلى النار إلّا وقد نهيتــكم عنه ، وإنه قد نَفَثَ الرُّوح الأمين فى رُوعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفىَ أقصى رزقها ، لا ينقص منه شىء وإنْ أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربَّــكم ، وأجملوا فى طلب الرزق ، ولا يحملنّــكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربّــكم ، فإنه لا يُقدَر على ما عنــده إلا بطاعته ، قد بيّن لــكم الحلال والحرام ، غير أنّ بينهما شُبَهًا من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلّا مَنْ عصم ، فمن تركها حفظ عِرْضه ودينه ، ومن وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمَى أوشك أن يقع فيه ، وليس مَلِكٌ إلّا وله حمًى ، ألا وإنّ حمى الله محارمه ، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده، والسلام عليــكم .

قال الواقدىّ : حدّثنى ابنُ أبى سَبْرة ، عن خالد بن رَبَاح ، عن المطّلب بن عبد الله ، قال : أوّل مَنْ أنشب الحرب بينهم أبو عامر ، طلع فى خمسين من قومه ، معه عبيد قريش فنادى أبو عامر ــ واسمه عبد عمرو ــ يا للأَوس : أنا أبو عامر ، قالوا : لا مرحبا بك، ولا أهلا؛ يافاسق ! فقال : لقــد أصاب قومى بعدى شرّ . قال : ومعه عبيد أهل مكة ، فتراموا؟ بالحجارة هم والمسلمون ، حتى تراضخوا بها ساعة إلى أن ولّى أبو عامر وأصحابه ؛ ويقال: إن العبيد لم يقاتلوا ، وإنهم أمروهم بحفظ عسكرهم .

قال الواقدىّ : وجعل نساء المشركين قبل أن يلتقىَ الجمعان أمام صفوف المشركين يضربْنَ بالأكْبَار (١) والدِّفاف والغرابيل (٢) ، ثمّ يرجعن فيكنّ إلى مؤخّر الصّف؛ حتى

(١) الأكبار : جمع كبر ، محركة ، وهو الطبل ، معرب .

(٢) الغرابيل : جمع غربال ، وهو هنا الدف .

إذا دنوا من المسلمين تأخّر النساء ، فقمن خلف الصّفوف ، وجعل كلّما ولّى رجل حرّضنه ، وذكّرنه قتلى بدر .

وقال الواقديّ : وكان قُزْمان من المنافقين ، وكان قد تخلّف عن أُحُد ، فلما أصبح عيّره نساء بني ظَفَر ، فقلن : ياقُزْمان ، قد خرج الرجال وبقيت ! استحي ياقُزْمان ، ألا تستحيي مما صنعت ! ما أنت إلا امرأة ، خرج قومك وبقيت في الدار ! فأحفظنه ، فدخل بيته ، فأخرج قوسه وجعبته وسيفه ـ وكان يعرف بالشجاعة ـ وخرج يعدو ، حتّى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يسوّي صفوف المسلمين ، فجاء من خلف الصفّ ، حتى انتهى إلى الصفّ الأول ، فكان فيه ، وكان أوّل مَنْ رمى بسهم من المسلمين ، فجعل يرسل نَبْلاً كأنّها الرماح ، وإنّه ليكتّ كتيت[1] الجمل ثم صار إلى السيف ، ففعل الأفاعيل ، حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ذكره قال : من أهل النار . قال : فلما انكشف المسلمون ، كسر جفن سيفه وجعل يقول : الموتُ أحسن من الفرار ! ياللأوْس ! قاتلوا على الأحساب ، واصنعوا مثل ما أصنع . قال : فيدخل بالسيف وسط المشركين ، حتى يقال : قد قتل ، ثم يطلع فيقول : أنا الغلام الظّفَريّ ، حتى قَتَل منهم سبعة ، وأصابته الجراحة ، وكثرت فيه ، فوقع ، فمرّ به قَتادة بن النعمان ، فقال له : أبا الغيداق ، قال قزمان : لبّيك ! قال : هنيئاً لك الشهادة ! قال قزمان : إنّي والله ما قاتلتُ ياأبا عمرو على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ ، أن تسير قريش إلينا فتطأ سعَفنا ، قال : فآذته الجراحة فقتل نفسه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : « إنّ الله يؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر[2] » .

---

(١) الكتيت : صياح الجمل .

(٢) في ابن هشام ٣ : ٣٧ عن ابن إسحاق : « حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجل أَتِيّ لا يدرى ممن هو ؛ يقال له قزمان ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر له : « إنه لمن أهل النار » ، قال : « فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفر . قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم ياقزمان فأبشر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت ، قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته ، فقتل به نفسه » .

قال الواقدىّ : وتقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله إلى الرّماة ، فقال : احموا لنا ظهورَنا ، فإنا نخاف أن نؤتَى مِنْ ورائنا ، والزموا مكانَكم ، لا تبرحوا منه ، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم ، فلا تفارقوا مكانَكم ؛ وإن رأيتمونا نقتَل ؛ فلا تعينونا ، ولا تدفعوا عنّا . اللهمّ إنى أشهدك عليهم ، ارشقُوا[1] خيلهم بالنّبل فإن الخيل لا تقدم على النّبل ، وكان للمشركين مجنّبتان : ميمنة عليها خالد بن الوليد ، وميسرة عليها عِكْرمة بن أبى جهل .

قال الواقدىّ : وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه ميمنة وميسرة ، ودفع اللّواء الأعظم إلى مصعب بن عُمَير ، ودفع لواء الأوس بن أُسَيْد بن حُضَير ، ولواء الخزرج إلى سعد ابن عبادة ــ وقيل ـ إلى الحُباب بن المنذر ــ فجعلت الرماة تحمى ظهور المسلمين ، وترشق خيلَ المشركين بالنّبل، فولّت هاربة ، قال بعض المسلمين[2] : والله لقد رمَقْتُ نبلنا يومئذ ، ما رأيت سهما واحدا ممّا يرمى به خيلهم يقع فى الأرض ، إلّا فى فرس أوفى رجل ؛ ودنا القوم بعضهم من بعض ، وقدّموا طلحة بن أبى طلحة صاحب لوائهم ، وصفّوا صفوفهم ، وأقاموا النّساء خلف الرجال يضربن بين أكتافهم بالأكبر والدّفوف ، وهند وصواحبها يحرِّضْن ويذمّرن[3] الرجال ، ويذكرن مَنْ أصيب ببدر ، ويقلن :

نحنُ بنات طارقْ   نمشى على النّمارقْ

إنْ تُقبلوا نعانِقْ   أو تدبِرُوا نفارِقْ

* فراقَ غيْرِ وامِقْ *

قال الواقدىّ : وبرز طلحة ، فصاح : مَنْ يبارز ؟ فقال علىٌّ عليه السلام له : هل لك فى مبارزتى ؟ قال : نعم ، فبرزا بين الصّفّين ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس تحت

---

(١) أرشق الرامى : رمى وجها ، أى أطلق السهم على المكان المواجه له .

(٢) الواقدى : « الرماة » .

(٣) يذمرن الرجال : يحضونهم على القتال .

الرّاية ، عليه دِرْعان ومغفر و بيضته ، فالتقيا ، فبدره عليٌّ عليه السلام[1] بضربة على رأسه ، فمضى السيف حتى فلق هامته إلى أن انتهى إلى لحيته فوقع ، وانصرف علي عليه السلام ، فقيل له: هلاّ دففّت[2] عليه ! قال : إنه لما صرع استقبلني بعورته ؛ فعطفتني عليه الرّحم ؛ وقد علمت أن الله سيقتله ؛ هو كبش الكتيبة .

قال الواقديّ : وروي أنّ طلحة حمل على عليّ عليه السلام ، فضربه بالسيف ، فاتقاه بالدّرقة ، فلم يصنع شيئا ، وحمل عليّ عليه السلام وعلى طلحة درع ومغفر ، فضربه بالسيف ، فقطع ساقيه ، ثم أراد أن يدفف عليه ؛ فسأله طلحة بالرّحم ألا يفعل ؛ فتركه ولم يذفّف عليه .

قال الواقديّ : ويقال: إنّ عليا عليه السلام دفف عليه ؛ ويقال : إنّ بعض المسلمين مرّ به في المعركة فدفف عليه . قال : فلما قتل طلحة سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكبّر تكبيرا عاليا وكبّر المسلمون ؛ ثم شدّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على كتائب المشركين ؛ فجعلوا يضربون وجوههم ، حتى انتقضت صفوفهم ، ولم يقتل إلا طلحة ابن أبي طلحة وحده .

قال الواقديّ : ثم حمل لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان بن أبي طلحة ، وهو أبو شيبة ، فارتجز وقال :

إنّ عَلَى ربّ اللواء حقًّا أن تُخضب الصَّعْدة أو تندقّا

فتقدّم باللواء والنسوة خلفه ، يحرّضن ويضربن بالدفوف ، فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب رحمه الله ، فضربه بالسيف على كاهله ، فقطع يده وكتفه ، حتى انتهى إلى

---

(١) ب : « فبدره » تحريف ، والصواب ما في ا ، والواقدي .
(٢) دفف عليه : أجهز

مُؤَزَّرِه عبدًا سَحَرُه[1] ، ورجع ، فقال : أنا ابن ساقي الحجيج ! ثم حمل اللواء أخوهما أبو سعد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته ـ وكان دارعا ، وعليه مغفر لا رفرف عليه[2] ، وعلى رأسه بيضة ـ فدلع لسانه[3] إدلاعَ الكلب .

قال الواقديّ : وقد روى أنّ أبا سعد لما حمل اللواء ، قام النساء خلفه يقلن :

ضربًا بني عبدِ الدّارْ ضَرْبًا حُماةَ الأدْبارْ

* ضربا بكلّ بتّارْ *

قال سعد بن أبي وقاص : فأحمل عليه فقطع يدَه اليمنى ، فأخذ اللواء باليد اليسرى ، فأضربه على يده اليسرى ؛ فقطعتها ، فأخذ اللواء بذراعيه جميعا وضمّه إلى صدره ، وحنى عليه ظهرَه . قال سعد : فأدخلُ سِيَةَ القوس بين الدّرع والمغفر ، فأقنع[4] المغفر ، فأرمي به وراء ظهره ، ثم ضربته حتى قتلته ، وأخذت أسلبُه درعه ، فنهض إليّ سُبيع بن عوف ونفر معه فمنعوني ، سلبه وكان سلبُه أجود سلب رجل من المشركين : درع فضفاضة ، ومغفر وسيف جيّد ، ولكن حيل بيني وبينه .

قال الواقديّ : وهذا أثبتُ القولين .

* * *

قلت : شتّان بين عليّ وسعد ! هذا يجاحش على السَّلَبِ ويتأسّف على فواته ، وذلك يقتل عمرو بن عبد ودّ يوم الخندق ، وهو فارس قريش وصنديدها ومبارزه ، فيعرض عن سلبه ، فيقال له : كيف تركت سلبَه وهو أنفس سلب ؟ فيقول : كرهت أن أبزّ السَّبِيَّ ثيابه ، فكأنّ حبيبا عناه بقوله :

---

(١) السحر هنا : الرئة .

(٢) الواقدي : « [illegible] » .

(٣) أدلع لسانه : أخرجه .

(٤) الواقديّ : « فأقلع » .

إنّ الأسودَ أسودُ الغابِ همَّتُها يوم الكريهة في المسلوب لا السَّلَبِ[1]

* * *

قال الواقديّ : ثم حمل لواء المشركين بعد أبي سعد بن أبي طلحة مسافع بن أبي طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله ، فحمل إلى أمه سلافة بنت سعد بن الشهيد ، وهي مع النساء بأحُد ، فقالت : من أصابك ؟ قال : لا أدري ، سمعته يقول : خُذها وأنا ابن الأقلح ، فقالت : أقلحيّ والله ! أي هو من رهطي ـ وكانت من الأوس .

قال الواقديّ : وروِيَ أنّ عاصماً لما رماه ، قال له : خذها وأنا ابن كسرة ، وكانوا يقال لهم في الجاهلية : بنو كسر الذهب ، فقال لأمه : لا أدري ، إلا أني سمعته يقول : خذها وأنا ابن كسرة ، فقالت سلافة : أوسيّ والله ! كسرى ، أي أنه منّا فيومئذ نذرت سلافة أن تشرب في قحف رأس عاصم بن ثابت الخمر ، وجعلت لمن جاءها به مائة من الإبل .

* * *

قلت : فلما قتله المشركون في يوم الرجيع أرادوا أن يأخذوا رأسه ، فيحملوه إلى سلافة فحمته الدَّبْر[2] يومه ذلك ، فلما جاء الليل ظنوا أنّ الدَّبْر لا تحميه ليلا ، جاء الوادي بسيل عظيم ، فذهب برأسه وبدنه . اتفق المؤرخون على ذلك .

* * *

قال الواقديّ : ثم حمل اللواء بعد الحارث أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة ، فقتله الزُّبير بن العوّام ، ثم حمله أخوه الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة ، فقتله طلحة بن عبيد الله ، ثم حمله أرطاة بن عبد شرحبيل ، فقتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ثم حمله شريح بن

---

(١) ديوانه ١ : ٧١ ، وروايته « إن الأسود أسود غيل »
(٢) الدبر : جماعة النحل والزنابير

قاسطا[1] ، فقتل لا يُدرى مَنْ قتله ، ثم حمله صُؤاب ، غلام بنى عبد الدار ، فاختلف فى قاتله فقيل : قتله على بن أبى طالب عليه السلام ، وقيل : سعد بن أبى وقاص ، وقيل : قُزمان ، وهو أثبت الأقوال .

قال الواقدىّ : انتهى قُزمان إلى صُؤاب ، فحمل عليه ، فقطع يده اليمنى ، فاحتمل اللواء باليسرى فقطع اليسرى ، فاحتضن اللواء بذراعيه وعَضُديه ، وحنَى عليه ظهره ، وقال : يابنى عبد الدّار ، هل اعتذرت ؟ فحمل عليه قُزْمان فقتله .

قال الواقدىّ : وقالوا : ما ظفّر الله تعالى نبيّه فى موطن قطّ ما ظفّره وأصحابه يوم أُحُد ، حتى عصوا الرسول ، وتنازعوا فى الأمر ، لقد قتل أصحاب اللواء وانكشف المشركون منهزمين لا يلوون ، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدِّفاف والفرح .

قال الواقدىّ : وقد روى كثير من الصحابة ممّن شهد أُحُداً ، قال كلّ واحد منهم : والله إنى لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمات ، ما دون أخذهنّ شىء لمن أراده ! ولكن لا مردّ لقضاء الله . قالوا : وكان خالد بن الوليد كلّما أتى من قِبَل ميسرة النبى صلى الله عليه وآله ليجوز حتى يأتيهم من قِبَل السفح ؛ تردّه الرماة حتى فعل وفعلوا ذلك مرارا ، ولكن المسلمين أُتُوا من قبل الرّماة ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أوعز إليهم فقال : قوموا على مصافّكم هذه فاحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، وإن رأيتمونا نُقتَلُ فلا تنصرونا . فلمّا انهزم المشركون ، وتبعهم المسلمون يضعون السّلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم عن العسكر ، ووقعوا ينتهبونه . قال بعض الرماة لبعض : لم تقيمون هاهنا فى غير شىء ! قد هزم الله العدوّ ؛ وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم ، فادخلوا عسكر المشركين ، فاغنموا مع إخوانكم ، فقال بعضهم : ألم تعلموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكم : « احموا ظهورنا ، وإن غنمنا فلا تشركونا ! » ،

(١) الواقدى : « درع »

فقال الآخرون : لم يُرِدْ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم هذا ، وقد أذلّ الله المشركين وهزمهم . فادخلوا العسكر ، فانتهبوا مع إخوانكم . فلمّا اختلفوا خطبهم أميرُهم عبد الله ابن جُبَير ، وكان يومئذ معلمًا بثياب بيض ، فحمد الله وأمرهم بطاعة رسوله ، وألّا يخالف أمره ، فعصوه ، وانطلقوا فلم يبقَ معه إلّا نُفَيْرٌ ما يبلغون العشرة ، منهم الحارث بن أنس ابن رافع ، يقول : يا قوم ، اذكروا عهد نبيّكم إليكم ، وأطيعوا أميركم . فأبوا ، وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون وخلّوا الجَبَل[1] ، وانتقضت صفوف المشركين ؛ واستدارت رحالهم ، ودارت[2] الريح ــ وكانت إلى أن انتقض صفّهم صَبًا ، فصارت دَبُورًا ــ فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلّة أهله ، فكرّ بالخيل ، وتبعه عكرمة بالخيل ، فانطلقا إلى موضع الرماة ، فحملوا عليهم ؛ فراماهم القوم حتى أصيبوا ، ورمى عبد الله ابن جُبَير حتى فنيت نَبْله ، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر ؛ ثمّ كسر جفن سيفه ؛ فقاتل حتى قُتل ، وأفلت جُعَيل بن سراقة وأبو بُرْدة بن نيار بعد أن شاهدا قتل عبد الله ابن جُبَير ، وكان آخر من انصرف من الجبل ، فلحقا بالمسلمين .

قال الواقديّ : فروى رافع بن خديج ، قال : لما قتل خالد الرماة أقبل بالخيل وعكرمة ابن أبي جهل يتلوه ، فخالطنا وقد انتقضت صفوفنا ، ونادى إبليس ــ وتصوّر في صورة جُعَيل بن سراقة : إنّ محمدًا قد قُتل ، ثلاث صرخات ، فابتلى يومئذ جُعَيل بن سراقة ببليّة عظيمة حين تصوّر إبليس في صورته ، وإنّ جُعَيلًا ليقاتل مع المسلمين أشدّ القتال ، وإنّه إلى جنب أبي بُرْدة بن نيار وخوّات بن جُبَير . قال رافع بن خديج : فوالله ما رأينا دولة كانت أسرع من دولة المشركين علينا ، وأقبل المسلمون على جُعَيل بن سراقة يريدون قتله ، يقولون : هذا الذي صاح أنّ محمدًا قد قُتل ، فشهد له خوّات بن جُبير وأبو بُرْدة ، أنّه كان إلى جنبهما حين صاح الصائح ، وأنّ الصائح غيره .

(١) الواقدي : « عينين » ، وهو الجبل . (٢) الواقدي : « وهبت » .

قال الواقدىّ : فروى رافع ، قال : أُتينا من قِبَل أنفسنا ، ومعصية نبيّنا ، واختلط المسلمون ، وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضا ، وما يشعرون بما يصنعون من الدَّهَش والعَجَل ، وقد جرح يومئذ أُسَيد بن حُضَير جرحين، ضربه أحدهما أبو بردة بن نِيَار ، وما يدرى ، يقول : خذها وأنا الغلام الأنصارىّ ، وكرّ أبو زعنة فى حَوْمة القتال : فضرب أبا بردة ضربتين، مايشعر أنه هو، يقول: خذها وأنا أبو زَعْنة ، حتى عرفه بعد ، فكان إذا لقيه ، قال : انظر ماصنعت بى ، فيقول أبو زَعْنة : وأنت فقد ضربت أُسَيد بن حضير ولا تشعر ! ولـكن هذا الجرح فى سبيل الله ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : هو فى سبيل الله ياأبا بُردة ، لك أجره ، حتى كأنك ضربك أحد المشركين ، ومَنْ قُتِل فهو شهيد .

قال الواقدىّ : وكان الشيخان : حُسَيل بن جابر ورفاعة بن وَقْش شيخين كبيرين ، قد رفعا فى الآطام مع النساء ، فقال أحدهما لصاحبه : لا أبالك ! ما نستبقى من أنفسنا ! فوالله ما نحن إلّا هامة اليوم أو غد ، وما بقى من أجلنا قدر ظِمْء[1] دابة ، فلو أخذنا أسيافنا فلحقنا برسول الله صلى الله عليه وآله لعلّ الله يرزقنا الشهادة ! قال: فلحقا برسول الله صلى الله عليه وآله ، فأمّا رفاعة فقتله المشركون ، وأما حُسَيل بن جابر فالتقت عليه سيوفُ المسلمين ، وهم لا يعرفونه حين اختلطوا ، وابنه حذيفة يقول : أبى أبى ! حتى قتل ، فقال حذيفة : يغفر الله لـكم وهو أرحم الراحمين! ماصنعتم ! فزاده به عند رسول الله صلى الله عليه وآله خيراً ، وأمر رسول الله بديته أن تخرج ، ويقال : إنّ الذى أصابه عتبة بن مسعود ، فتصدّق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين .

قال الواقدىّ : وأقبل يومئذ الحُباب بن المنذر بن الجموح يصيح : يا آل سلمة ! فأقبلوا

---

(١) يقال : ما بقى منه إلا ظمء حمة ؛ أى لم يبق من عمره إلا اليسير .

عُنُقًا(1) واحدًا: لبّيكَ داعيَ الله، لبّيكَ داعيَ الله! فيضرب يومئذ جبّار بن صخر ضربةً في رأسه مثقلة وما يدري، حتى أظهروا الشّعار بينهم، فجعلوا يصيحون: أمِتْ أمِتْ! فكفّ بعضُهم عن بعض.

قال الواقديّ: وكان بسطاس مولى صفوان بن أميّة ممّن حضر أحدًا مع المشركين، ثم أسلم بعدُ، وحسن إسلامه، فكان يحدّث، قال: كنت ممّن خلف في العسكر يومئذ، ولم يقاتل معهم عبد إلّا وحشيّ وصؤاب غلام بني عبد الدار، فصاح أبو سفيان: يا معشر قريش، خلّوا(2) غلمانكم على متاعكم يكونوا هم الذين يقومون على رحالكم، فجمعنا بعضها إلى بعض، وعقلنا الإبل، وانطلق القوم على تعبئتهم ميمنة وميسرة وألبسنا الرحال الأنطاع، ودنا القوم بعضهم من بعض، فاقتتلوا ساعة، وإذا أصحابنا منهزمون، فدخل المسلمون معسكرنا ونحن في الرحال، فأحدقوا(3) بنا، فكنت فيمن أسرُوا، وانتهبوا العسكر أقبح انتهاب، حتى إنّ رجلًا منهم قال: أين مالُ صفوان بن أميّة؟ فقلت: ما حمل إلّا نفقة في الرحل، فخرج يسوقني حتى أخرجتُها من العَيْبة خمسين ومائة مثقال ذهب، وقد ولّى أصحابنا وأيسنا منهم، وانحاش النساء، فهنّ في حُجُرهن سَلَمٌ لمن أرادهنّ، وصار النهب في أيدي المسلمين.

قال بسطاس: فإنّا لعلى ما نحن عليه من الاستسلام، ونظرتُ إلى الجبل، فإذا خيل مقبلة تركض، فدخلوا العسكر، فلم يكن أحد يردّهم، قد ضيّعت الثغور التي كان بها الرماة، وجاءوا إلى النهب والرماة ينتهبون، وأنا أنظر إليهم متأبّطي قسيّهم وجعابهم، كلّ واحد منهم في يديه أو حضنه شيء قد أخذه، فلما دخلت خيلنا دخلت على قوم غارّين آمنين، فوضعوا فيهم السيوف، فقتلوهم قتلًا ذريعًا، وتفرّق المسلمون في كلّ وجه،

---

(1) العنق: الجماعة من الناس. (2) في الواقدي: «دعوا».
(3) في الواقدي: «فدخل أصحاب محمد في رحالنا فأحدقوا بنا».

وتركوا ما انتهبوا، وأجلوا عن عسكرنا، ورجعت متاع بعد، لم نفقد منه شيئاً، وحووا أسرانا، ووجدنا الذهب فى المعركة، ولقد رأيت يومئذ رجلاً من المسلمين ضمّ صفوان ابن أمية إليه ضمّةً ظننت أنه سيموت، حتى أدركته وبه رمق، فوجأت[1] ذلك المسلم بخنجر معى، فوقع، فسألت عنه، فقيل: رجل من بنى ساعدة. ثم هدانى الله بعد للإسلام.

قال الواقدى: فحدثنى ابن أبى سبرة، عن إسحاق بن عبد الله، عن عمر بن الحكم، قال: ما علمنا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أغاروا على النهب فأخذوا ما أخذوا من الذهب بقى معه من ذلك شىء رجع به حيث غشينا المشركون، واختلطوا، إلّا رجلين: أحدهم عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، جاء بمنطقة وجدها فى العسكر، فيها خمسون ديناراً، فشدّها على حقويه تحت ثيابه، وجاء عبّاد بن بشر بصرّة فيها ثلاثة عشر مثقالاً ألقاها فى جيب قميصه، وفوقها الدرع وقد حزم وسطه، فأتيا بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يخمّسه ونفّلهما إياه.

قال الواقدىّ: وروى يعقوب بن أبى صعصعة، عن موسى بن ضمرة، عن أبيه، قال: لما صاح الشيطان أزبّ[2] العقبة: إنّ محمداً قد قتل، لما أراد الله عزّ وجلّ من ذلك، سُقط فى أيدى المسلمين، وتفرّقوا فى كلّ وجه، وأصعدوا فى الجبل، فكان أوّل مَنْ بشّرهم بكون رسول الله صلى الله عليه وآله سالماً كعبُ بن مالك. قال كعب: عرفته، فجعلت أصيح: هذا رسول الله، وهو يشير بإصبعه على فيه أن اسكت.

قال الواقدىّ: وروت عميرة بنت عبيد الله بن كعب بن مالك، عن أبيها، قالت: قال أبى: لما انكشف الناس كنت أوّل مَنْ عرف رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) وجأته: أى ضربته.
(٢) أزبّ العقبة: اسم شيطان معروف ذكر فى حديث العقبة. انظر القاموس.

وبشّرت به المسلمين حيًّا سويًّا ، عرفت عينيه من تحت المِغفر ، فناديت : يامعشرَ الأنصار ! أبشروا ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأشار إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن اصمت . قال . ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله بكعب ، فلبس لأمته ، وألبس كعبا لأمة نفسه ، وقاتل كعب يومئذ قتالا شديدا ، وجرح سبعة عشر جرحا .

قال الواقديّ : وحدّثني ابنُ أبي سبرة ، عن خالد بن رباح ، عن الأعرج ، قال : لما صاح الشيطان إنّ محمدا قد قُتِل ، قال أبو سفيان بن حرب : يامعشرَ قريش ، أيّكم قتل محمدا ؟ قال ابن قمئة : أنا قتلته . قال : نسوّرك[1] كما تفعل الأعاجم بأبطالها ، وجعل أبو سفيان يطوفُ بأبي عامر الفاسق في المعركة : هل يرى محمدا بين القتلى ! فمرّ بخارجة بن زيد بن أبي زُهير ، فقال : يا أبا سفيان ، هل تدري مَنْ هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا خارجة بن زيد ، هذا أسيد بني الحارث بن الخزرج ؛ ومرّ بعباس بن عبادة بن نَضْلة إلى جنبه ، قال : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا ابن قوقل ؛ هذا الشريف في بيت الشرف ، ثم مرّ بذكوان بن عبد قيس ، فقال : وهذا من ساداتهم ، ثم مرّ بابنه حنظلة بن أبي عامر ، فوقف عليه ، فقال أبو سفيان : مَنْ هذا ؟ قال : هذا أعزّ مَنْ هاهنا عليّ ، هذا ابني حنظلة . قال أبو سفيان : ما نرى مصرع محمد ! ولو كان قتل لرأيناه ، كذب ابن قمئة ! ولقي خالد بن الوليد ، فقال : هل تبيّن عندك قتل محمد ؟ قال . لا ، رأيته أقبل في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل ، فقال أبو سفيان : هذا حقّ ، كذب ابن قمئة ، زعم أنه قتله .

* * *

قلت : قرأت على النّقيب أبي يزيد رحمه الله هذه القراءة من كتاب الواقديّ ، وقلت له : كيف جرى لهؤلاء في هذه الواقعة ؟ فإني أستعظم ما حُكي ! فقال : وفيم ذلك ! ما تستعظمه ؟ تحوّل قلب المسلمين من بعد قتل أصحاب الألوية على قلب المشركين ، وتكسيره

(١) سوّرك : ألبسك السوار ، وهذه عادة كانت تفعله الأعاجم بملوكهم .

فلو ثبتت مجنّبتا رسول الله اللتان فيهما أسيد بن حُضَير والحُباب بن المنذر بإزاء مجنّبتي المشركين ، لم ينكسر عسكر الإسلام ؛ ولكن مجنّبتا المسلمين أطبقت إطباقا واحدا على قَلْب المشركين ، مضافا إلى قلب المسلمين ، فصار عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله قلبًا واحدا ، وكتيبة واحدة ، فحطمه قلب قريش حَطْمة شديدة ، فلمّا رأت مجنبتا قريش أنّه ليس بإزائها أحدٌ ، استدارت المجنّبتان من وراء عسكر المسلمين ، وصمد كثير منهم للرّماة الذين كانوا يحمون ظهر المسلمين ، فقتلوهم عن آخرهم ، لأنهم لم يكونوا ممّن يقومون لخالد وعكرمة ، وهما في ألفَيْ رجل ، وإنما كانوا خمسين رجلا ، لاسيّما وقد ترك كثير منهم مركزه وشرَه إلى الغنيمة ، فأكبَّ على النّهب .

قال رحمه الله : والذي كسر المسلمين يومئذ ، وقال كان مثال خالد بن الوليد ، وكان فارسا شجاعا ، ومعه خيل كثيرة ، ورجال أبطال موتورون ، واستدار خَلْف الجبل ؛ فدخل من الثّغرة التي كان الرّماة عليها ، فأتاه من وراء المسلمين ؛ وتراجع قلب المشركين بعد الهزيمة ، فصار المسلمون بينهم في مثل الحلْقة المستديرة ، واختلط النّاس ، فلم يعرف المسلمون بعضُهم بعضا ، وضرب الرجل منهم أخاه وأباه بالسّيف وهو لا يعرفه لشدّة النّقْع والغبار ، ولما اعتراهم من الدّهَش والعَجَلة والخوف ؛ فكانت الدّبْرة عليهم ، بعد أن كانت لهم ، ومثل هذا يجرى دائما في الحرب .

فقلت له رحمه الله : فلمّا انكشف المسلمون ، وفرّ منهم مَنْ فرّ ، ما كانت حال رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : ثبت في نفر يسير من أصحابه يحامون عنه .

فقلت : ثم ماذا ، قال : ثم ثابت إليه الأنصار ، وردّت إليه عُنُقا واحدا بعد فرارهم وتفرّقهم ، وامتاز المسلمون عن المشركين وكانوا ناحية ، ثم التحمت الحرب ، واصطدم الفَيْلقان (١)

---

(١) الفيلق : الكتيبة العظيمة من الجيش .

قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : لم يزل المسلمون يحامُون عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمشركون يتكاثرون عليهم ، ويقتلون فيهم حتى لم يبقَ من النهار إلّا القليل ، والدّولة للمشركين .

قلت : ثمّ ماذا ؟ قال : ثمّ علم الذين بقوا من المسلمين أنّه لا طاقة لهم بالمشركين ، فأصعدوا فى الجبل فاعتصموا به .

فقلت له : فرسول الله صلى الله عليه وآله ما الذى صنع ؟ فقال : صعّد فى الجبال .

قلت له : أفيجوز أن يقال : إنه فرّ ؟ فقال : إنّما يكون الفرار ممّن أمعن فى الهرب فى الصحراء والبيداء ، فأمّا من الجبل مطلٌّ عليه وهو فى صحبه ؛ فلمّا رأى ما لا يطيقه أصعد فى الجبل ؛ فإنّه لا يسمّى فارًّا ، ثم سكت رحمه الله ساعة ، ثم قال : هكذا وقعت الحال ؛ فإن شئتَ أن تسمّى ذلك فرارًا فسمّه ، فقد خرج من مكة يوم الهجرة فارًّا من المشركين ، ولا وصمةَ عليه فى ذلك .

فقلت له : قد روى الواقدىّ عن بعض الصحابة ، قال : لم يبرحْ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ذلك اليوم شبراً واحداً ، حتى تحاجزت الفئتان ؛ فقال : دعْ صاحب هذه الرواية فليقل ما شاء ، فالصحيح ما ذكرته لك ، ثم قال : كيف يقال : لم يزلْ واقفاً حتى تحاجزت الفئتان ؟ وإنما تحاجزوا بعد أن ناداه أبو سفيان ، وهو فى أعلى الجبال بما ناداه ، فلما عرف أنّه حىّ وأنّه فى أعلى الجبال ، وأن الخيل لا تستطيع الصُّعود إليه ، وأنّ القوم إن صعدوا إليه رجّالة لم يثقوا بالظّفَر به ؛ لأنّ معه أكثر أصحابه ، وهم مستميتون إن صعِد القوم إليهم ، وأنهم لا يقتلون منهم واحدا حتى يقتلوا منهم اثنين أو ثلاثة ، لأنهم لا سبيل لهم إلى الهرَب ، لكونهم محصورين فى دَرْوٍ واحد ، فالرجل منهم يحامى عن خَيْط رقبته ـ كفّوا عن الصعود وقنعوا بما وصلوا إليه من قتل مَنْ قتلوه فى الحرب ، وأمّلوا

يوما ثانيا يكون لهم فيه الظَّفر الكلّىّ بالنبىّ صلى الله عليه وآله ، فرجوا عنهم وطلبوا مكّة .

وروى الواقدىّ عن أبى سَبْرة؛ عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة ، عن أبى الحويرث ، عن نافع بن جُبير ، قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أُحُداً ، فنظرت إلى النَّبل يأتى من كلّ ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وآله فى وسطها كلّ ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيتُ عبدَ الله بن شهاب الزهرىّ ، يقول يومئذ : دلّونِى على محمّد ، فلا نجوتُ إن نجا ! وإنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله إلى جنبه ، ما معه أحد ، ثم جاوزه ، ولقى عبد الله بن شهاب صفوان بن أمية ، فقال له صفوان : تَرِحت[1] ! هلا ضربت محمدا ، فقطعت هذه الشأفة ، فقد أمكنك الله منه ! قال ابن شهاب : وهل رأيتَه ؟ قال : نعم أنتَ إلى جنبه ، قال : والله ما رأيته ، أحلف بالله إنّه منّا ممنوع ، خرجنا أربعة تعاهدنا وتعاقدنا على قتله ، فلم نخلص إلى ذلك .

قال الواقدىّ : فروى نافع بن أبى نافع ـ واسم أبى نافع عبد الله بن معبد ، وكان أبوه معبد أخا البراء بن معرور لأمّه ـ قال : لمّا انكشف المسلمون ذلك اليوم نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وما معه أحد إلا نُفَير قد أخذ قرابه من أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فانطلقوا به إلى الشِّعْب ، وما للمسلمين لواء قائم ، ولا فئة ، ولا جمع ، وإنّ كتائب المشركين لتحوشهم مقبلة ومُدبرة فى الوادى ، يلتقون ويفترقون ما يرون أحدا يردّهم .

قال الواقدىّ : وحدثنى إبراهيم بن محمد بن شُرحبيل العبدرىّ ، عن أبيه ، قال : حمل مصعب اللّواء ، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قَمِيئة ، وهو فارس فضرب يد مصعب فقطعها ، فقال مصعب : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ وأخذ اللواء بيده اليسرى ، وحنَى عليه ، فضربه فقطع اليسرى ، فضمّه بعضديه إلى صدره ،

---

(١) ا : « ترحت » .

وهو يقول : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه ، واندق الرمح ، ووقع مُصْعَب وسقط اللواء ، وابتدره رجلان من بني عبد الدار سويبط بن حَرْملة وأبو الرُّوم ، فأخذه أبو الرُّوم ، فلم يزل بيده حتى دخل به المدينة ، حين انصرف المسلمون .

قال الواقديّ : وقالوا : إنّ رسولَ الله لما لحمه القتال ، وخلص إليه وذبّ عنه مصعب بن عمير وأبو دُجانة ، حتى كَثُرت به الجراحة ، جعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «مَنْ رجلٌ يشري نفسه ؟» فوثب فئة من الأنصار خمسة ، منهم عُمارة بن زياد بن السَّكن ، فقاتل حتى أُثبت ، وفاءت فئة من المسلمين حتى أجهضوا أعداء الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعُمارة بن زياد : ادنُ منّي ، حتى وسّده رسول الله صلى الله عليه وآله قدمه ، وإنّ به لأربعة عشر جُرحاً حتى مات ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يذمُر الناس ويحضّهم على القتال ، وكان رجال من المشركين قد أذلقوا[1] المسلمين بالرمي : منهم حِبّان بن العَرِقة ، وأبو أسامة الجُشَميّ ، فجعل النبي صلى الله عليه وآله يقول لسعد : «ارم فداك أبي وأمّي !» فرمى حِبّان بن العرقة بسهم فأصاب ذَيل أمّ أيمن ، وكانت جاءت يومئذ تسقي الجرحى ، فقلصها ، وانكشف ذيلها عنها ، فاستغرب حبّان بن العرقة ضحكاً ، وشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فدفع إلى سعد بن أبي وقاص سهماً لا نصل له ، وقال : ارم به ، فرمى فوضع السهم في ثغرة نحر حبّان ، فوقع مستلقياً ، وبدت عورته . قال سعد : فرأيت النبي صلى الله عليه وآله ضحك يومئذ حتى بدت نواجذه ، وقال : استقاد لها سعد ، أجاب الله دعوتك ، وسدّد رميتك ، ورمى يومئذ مالك بن زهير الجُشميّ أخو أبي أسامة الجُشَميّ المسلمين رمياً شديداً ، وكان هو وحِبّان بن العرقة قد أسرعا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأكثرا فيهم القتل يستتران بالصخر ، ويرميان ،

(١) أذلقوهم : أوجعوهم .

فبيناهم على ذلك أبصر سعد بن أبي وقاص مالك بن زهير يرمي من وراء صخرة قد رمى ، وأطلع رأسه ، فيرميه سعد ، فأصاب السهمُ عينه ، حتى خرج من قفاه ، فنزى[1] في السماء قامة ، ثم رجع فسقط ، فقتله الله عزّ وجل .

قال الواقديّ : ورمى رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن قوسه يومئذ حتى صارت شظايا ، فأخذها قتادة بن النعمان ، وكانت عنده ، وأُصيبت يومئذ عين قَتادة حتى وقعت على وَجْنَته . قال قتادة : فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : يا رسولَ الله ، إن تحتي امرأة شابة جميلة ، أحبها وتحبني ، وأنا أخشى أن تقذر مكان عينيّ ، فأخذها رسولُ الله صلى الله عليه وآله فردّها واستوت بها ، وعادت كما كانت ، فلم تضرب عليه ساعة من ليل ولا نهار ، وكان يقول بعد أن أسنّ : هي أقوى عينيّ وكانت أحسنهما .

قال الواقديّ : وباشر رسولُ الله صلى الله عليه وآله القتال بنفسه ، فرمى بالنبل حتى فنيت نبله ، وانكسرت سِيَة قوسه ، وقبل ذلك انقطع وتره ، وبقيتْ في يده قطعة تكون شبراً في سِيَة القوس ، فأخذ القوس عُكّاشة بن محصن يوتره له ، فقال : يا رسولَ الله ، لا يبلغ الوتر ، فقال : مدّه يبلغ . قال عُكّاشة : فوالذي بعثه بالحق لمددته حتى بلغ ، وطويت منه ليتين أو ثلاثة على سِيَة القوس ، ثم أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فما زال يرامي القوم ، وأبو طلحة أمامه يستره مترّساً عنه ، حتى نظرت إلى سِيَة قوسه قد تحطّمت ، فأخذها قتادة بن النعمان .

قال الواقديّ : وكان أبو طلحة يوم أحد قد نَثَل كِنانته[2] بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ، وكان رامياً ، وكان صيّتاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لَصوتُ أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلاً ، وكان في كنانته خمسون سهماً ، فنثرها بين يديه

(١) نزى : وثب .　　　(٢) نثل كنانته : أخرج ما فيها .

رسول الله صلى الله عليه وآله ، وجعل يصيح : نفسي دون نفسك يارسول الله ! فلم يزل يرمي بها سهماً سهماً ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يطلع رأسه من خلف أبي طلحة بين أذنيه ومنكبيه ، ينظر إلى مواقع النَّبْل حتى فنيت نبله ، وهو يقول : نحري دون نحرك ! جعلني الله فداك ! قالوا : إنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله ، لَيأخذُ العود من الأرض ، فيقول : ارم ياأبا طلحة ، فيرمي به سهماً جيِّداً .

قال الواقدي : وكان الرُّماة المذكورون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة ، منهم سعد بن أبي وقاص ، وأبو طلحة ، وعاصم بن ثابت ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمقداد بن عمرو ، وزيد بن حارثة ، وحاطب بن أبي بَلْتعة ، وعُتْبة بن غَزْوان ، وخِراش ابن الصِّمَّة ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وبِشْر بن البراء بن معرور ، وأبو نائلة سِلْكان ابن سلامة ، وقتادة بن النعمان .

قال الواقدي : ورمى أبو رهم الغفاري بسهم فأصاب نحره ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فبصق عليه ، فبرأ ، فكان أبو رهم يسمى المنحور .

* * *

وروى أبو عمرو محمد بن عبد الواحد الزاهد اللغوي ، غلام ثعلب ، ورواه أيضاً محمد ابن حبيب في أماليه ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله لما فرّ معظم أصحابه عنه يوم أُحُد ، كثرت عليه كتائب المشركين ، وقصدته كتيبة من بني كنانة ، ثم من بني عبد مناة بن كنانة ، فيها بنو سفيان بن عُوَيف ؛ وهم خالد بن سفيان ، وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان ، وغراب بن سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي اكفني هذه الكتيبة ، فحمل عليها وإنها لَتقارب خمسين فارساً ؛ وهو عليه السلام راجل فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرّق عنه ثم تجتمع[1] عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة ، وتمام العشرة منها ، ممن لا يُعرف أسماؤهم ، فقال جبرئيل

(١) ا : « يجتمع » .

عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله : يا محمد ، إن هذه المواساة ، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وما يمنعه وهو منّى وأنا منه ! فقال جبرئيل عليه السلام : وأنا منكما . قال : وسمع ذلك اليوم صوت من قِبَل السماء ، لا يُرى شخص الصارخ به ينادي مراراً :

لا سيف إلا ذو الفقا ر ولا فتى إلا علي

فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عنه ، فقال : هذا جبرئيل .

* * *

قلت : وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين وهو من الأخبار المشهورة ، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن إسحق ، ورأيت بعضها خالياً عنه ، وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينة رحمه الله عن هذا الخبر ، فقال : خبر صحيح ، فقلت : فما بال الصّحاح لم تشتمل عليه ؟ قال : أو كلما كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح ؟ كم قد أهمل جامعوا الصّحاح من الأخبار الصحيحة !

قال الواقديّ : وأقبل عثمانُ بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّ يحضر[1] فرساً له أبلق ، يريد رسول الله صلى الله عليه وآله ، عليه لأمة كاملة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله متوجهٌ إلى الشعب وهو يصيح : لا نجوتُ إن نجوتَ ! فيقفُ رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق للمسلمين ، فوقع الفرس لوجهه ، وسقط عثمان عنه ، وخرج الفرس عائراً ، فيأخذه بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويمشي إليه الحارث بن الصمّة ، فاضطربا ساعة بالسيفين ، ثم يضرب الحارث رجله ، وكانت درعُه مشمرة فبرك ، وذفّف[2] عليه ، وأخذ الحارث

(١) يحضر فرساً : يجريه ، والحضر : ضرب من الجري .
(٢) ذفف عليه : أجهز .

يومئذ سلبه : درعاً جيداً ، ومغفراً ، وسيفاً جيداً ، ولم يسمع بأحد من المشركين سلب يومئذ غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلى قتالهما ، فسأل عن الرجل ، قيل : عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، قال : الحمد لله الذي أحانه[1] وقد كان عبد الله بن جحش أسره من قبل ببطن نخلة ، حتى قدم به على رسول الله صلى الله عليه وآله فافتدى ورجع إلى قريش ، وغزا معهم أحداً ، فقتل هنالك ، ويرى مصرع عثمان عبيد ابن حاجز العامري أحدُ بني عامر بن لؤيّ ، فأقبل يعدو كأنه سبع ، فيضرب حارث بن الصمة ضربة على عاتقه ، فوقع الحارث جريحاً حتى احتمله أصحابه ، ويقبل أبو دجانة على عبيد بن حاجز ، فتناوشا ساعة من نهار ، وكلّ واحد منهما يتّقي بالدرقة سيف صاحبه ، ثم حمل عليه أبو دُجانة فاحتضنه ، ثم جلد به الأرض ، وذبحه بالسيف كما تذبح الشاة ، ثم انصرف ، فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الواقديّ : ويروى أن سهل بن حُنيف ، جعل ينضح بالنبل عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : نبّلوا سهلاً[2] فإنه سهل ، ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي الدرداء ، والناس منهزمون في كلّ وجه ، فقال : نعم الفارس عُويمر غير أنه لم يشهد أحُـداً !

قال الواقديّ : وروى الحارث بن عبيد الله بن كعب بن مالك ، قال : حدثني من نظر إلى أبي سَبْرة بن الحارث بن علقمة ، ولقي أحد المشركين ، فاختلفا ضربات ، كلّ ذلك يروغ أحدهما عن الآخر ، قال : فنظر الناس إليهما كأنهما سبعان ضاريان يقفان مرّة ويقتتلان أخرى ، ثم تعانقا ، فوقعا إلى الأرض جميعاً ، فعلاه أبو سَبْرة فذبحه بسيفه كما تذبح الشاة ، ونهض عنه فيقبل خالد بن الوليد وهو على فرس أدهم أغرّ محجل يجرّ قناة طويلة ، فطعن أبا سبرة من خلفه ، فنظرت إلى سنان الرمح خرج من صدره ،

(١) أحانه : أهلكه .

(٢) نبلوا سهلا : أي أعطوه النبل .

ووقع أبو سبرة ميتاً ، وانصرف خالد بن الوليد ، يقول : أنا أبو سليمان !

قال الواقدىّ : وقاتل طلحة بن عبيد الله يومئذ عن النبىّ صلى الله عليه وآله قتالا شديداً ، وكان طلحة يقول : لقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث انهزم أصحابه ، وكرّ المشركون ، فأحدقوا بالنبى صلى الله عليه وآله من كلّ ناحية ، فما أدرى أقوم من بين يديه أو من ورائه ؟ أم عن يمينه أم شماله ؟ فأذبّ بالسيف عنه هاهنا وهاهنا حتى انكشفوا ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ يقول لطلحة : « لقد أوجب » وروى : « لقد أنحب » أى قضى نذره .

قال الواقدىّ : وروى أنّ سعد بن أبى وقاص ذكر طلحة فقال : رحمه الله ! إنه كان أعظمنا غناء عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أُحُد ، قيل : كيف يا أبا إسحاق ؟ قال : لزم النبى صلى الله عليه وآله وكنا نتفرق عنه ، ثم نثوب إليه ، لقد رأيته يدورُ حول النبى صلى الله عليه وآله يُتَرِّس بنفسه .

قال الواقدىّ : وسئِل طلحة : يا أبا محمد ، ما أصاب إصبعك ؟ قال : رمى مالك بن زهير الجشمىّ بسهم يريدُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — وكان لا تخطىء رميته — فاتقيتُ بيدى عن وجهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصاب خِنصَرِى فشُلّ .

قال الواقدىّ وقالوا : إنّ طلحة قال حين رمى : حَسِّ [1] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو قال : « بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون [إليه] [2] من أحبّ أن ينظر إلى رجل يمشى فى الدنيا وهو من أهل الجنة ، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله ، طلحة ممن قضى نحبه [3]

(١) حس ، بالبناء على الكسر : كلمة من يمضه ما يؤلمه ، ومنه قولهم : « ضربه فما قال حس » .
(٢) أنساب الأشراف ١ : ٣١٨ .
(٣) فى اللسان : « وطلحة ممن قضى نحبه » النحب : النذر ، كأنه ألزم نفسه أن يصدق الأعداء فى الحرب فوفى به ولم يفسخ ، وقيل : هو من النحب الموت ، كأنه يلزم نفسه أن يقاتل حتى يموت » .

قال الواقديّ: وكان طلحة يحدّث يقول: لمّا جال المسلمون تلك الجولة، ثم تراجعوا أقبل رجل من بني عامر بن لؤيّ يدعى شيبة بن مالك بن المضرّب، يجرّ رمحه، وهو على فرس أغرّ كميت مدجّجا في الحديد، يصيح: أنا أبو ذات الودع، دلّوني على محمد، فأضرب عرقوب فرسه فاكتسعت[1] [به][2] ثم أتناول رمحه، فوالله ما أخطأت به عن حدقته، فخار كما يخور الثور، فما برحت به واضعا رجلي على خدّه حتى أزرته شَعُوب[3].

قال الواقديّ: وكان طلحة قد أصابته في رأسه المصلّبة، ضربه رجل من المشركين ضربتين، ضربة وهو مقبل، وضربة وهو معرض عنه، وكان قد نزف منها الدم، قال أبو بكر: جئت النبي صلّى الله عليه وسلم يوم أُحُد، فقال: عليك بابن عمّك، فأتى طلحة بن عبيد الله، وقد نزف الدم، فجعلت أنضحُ في وجهه الماء، وهو مغشيّ عليه، ثم أفاق، فقال: ما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وآله؟ فقلت: خيرا، هو أرسلني إليك، فقال: الحمد لله، كلّ مصيبة بعده جلَل.

قال الواقديّ: وكان ضرار بن الخطاب الفهريّ يقول: نظرتُ إلى طلحة بن عبيد الله قد حلق رأسه عند المروة في عُمرة، فنظرت إلى المصلّبة في رأسه، وكان ضرار يقول: أنا والله ضربتُه، هو استقبلني فضربته، ثم أكرّ عليه، وقد أعرض، فأضربه ضربة أخرى.

(١) كذا في ا واللسان، وفي ب والواقدي: «فتسكعت»، وفي اللسان: «وفي حديث طلحة يوم أحد: «فضربت عرقوب فرسه فاكتسعت به، أي سقطت».

(٢) من اللسان

(٣) في اللسان: «وفي حديث طلحة: حتى أزرته شعوب»، أي أوردته المنية فزارها، شعوب من أسماء المنية.

قال الواقديّ : ولما كان يوم الجمل ، وقتل عليّ عليه السلام مَنْ قتل من الناس ، ودخل البصرة ، جاءه رجل من العرب ، فتكلّم بين يديه ، فنال من طلحة ، فزبره عليّ عليه السلام ، وقال : إنك لم تشهد يوم أُحُد ، وعِظَم غنائه عن الإسلام ، مع مكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فانكسر الرجلُ وسكت ، فقال له قائل من القوم : وما كان غناؤه وبلاؤه يرحمه الله يوم أُحُد ؟ فقال علي عليه السلام : نعم ، يرحمه الله ، لقد رأيته وإنّه ليترّس بنفسه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنّ السيوف لتغشاه ، والنَّبْل من كلّ ناحية ؛ وما هو إلا جُنّة لرسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ، فقال رجل : لقد كان يوم أُحُد يوماً قتل فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأصابت رسول الله صلى الله عليه وآله فيه الجراحة ، فقال علي عليه السلام : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ليت أني غودرت مع أصحابي بنُحْص[1] الجبل ، ثم قال علي عليه السلام : لقد رأيتني يومئذ وإنّي لأذبّهم في ناحية ، وإن أبا دُجانة لفي ناحية يذبّ طائفة منهم ؛ حتى فرّج الله ذلك كلّه ، ولقد رأيتني وانفردت منهم يومئذ فرقة خَشْناء[2] ، فيها عكرمة بن أبي جهل فدخلت وسطهم بالسيف ، فضربت به ، واشتملوا عليّ حتى أفضيت إلى آخرهم ، ثم كررت فيهم ثانية ، حتى رجعت من حيث جئت ، ولكنّ الأجل استأخر ، ويقضي الله أمرا كان مفعولا .

قال الواقديّ : وحدّثني جابر بن سُليم عن عثمان بن صفوان ، عن عُمارة بن خزيمة ، قال : حدّثني مَنْ نظر إلى الحُباب بن المنذر بن الجموح ، وإنّه ليحُوشهم[3] يومئذ كما تحاش الغنم ! ولقد اشتملوا عليه حتى قيل : قد قتل ، ثم برز والسيف في يده ، وافترقوا عنه ، وجعل يحمل على فرقة منهم ، وإنّهم ليهربون منه إلى جَمْع منهم ،

(١) ب : « نحص » ، وهي ساقطة من ا ، والواقدي ، وفيه : قال ابن أبي الحديد : « نحص الجبل أسفله » .
(٢) فرقة خشناء ، أي كثيرة السلاح . (٣) يحوشهم ، أي يجمعهم .

وصار الحُباب إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وكان الحُباب يومئذ معلمًا بعصابة خضراء في مِغْفَره

قال الواقديّ : وطلع يومئذ عبد الرحمن بن أبي بكر على فرس مدجّجًا لا يُرى منه إلا عيناه ، فقال : مَنْ يبارز ؟ أنا عبد الرحمن بن عتيق ! فنهض إليه أبو بكر ، وقال : أنا أبارزه ، وجرّد سيفه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : شِمْ سيفَك ، وارجع إلى مكانك ، ومتّعنا بنفسك .

قال الواقديّ : وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله : ماوجدتُ لشمّاس بن عثمان شبهًا إلا الجُنّة ، يعني مما يقاتل عن رسول الله يومئذ ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم لا يأخذ يمينا ولا شمالا إلّا رأى شماس بن عثمان في ذلك الوجه ، يذبّ بسيفه عنه ، حتى غشي رسولَ الله صلى الله عليه وآله ، فترّس[1] بنفسه دونه ، حتى قُتل ، فذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما وجدت لشماس شبهًا إلّا الجُنّة » .

قال الواقديّ : ولمّا ولى المسلمون حين عطف عليهم خالد بن الوليد مِنْ خلفهم ، كان أوّل مَنْ أقبل من المسلمين بعد التّولية قيس بن محرث مع طائفة من الأنصار ، وقد كانوا بلغوا بني حارثة فرجعوا سراعًا فصادفوا المشركين في كَثرتهم ، فدخلوا في حَوْمتهم ، فما أفلت منهم رجل حتى قُتلوا كلّهم ، ولقد ضارَبهم قيس بن مُحْرِث ، فامتنع بسيفه حتى قتل منهم نفرا ، فما قتلوه إلاّ بالرّماح ، نظموه ، ولقد وجد به أربع عشرة طعنة جائفة[2] وعشر ضربات بالسيف .

قال الواقديّ : وكان عباس بن عبادة بن نَضْلة المعروف بابن قَوْقل ، وخارجة بن

---

(١) ترس بنفسه ، أي جعل نفسه له كالترس
(٢) الطعنة الجائفة : التي تبلغ الجوف ، وفي الواقدي : « قد جافته »

زيد بن أبى زهير، وأوس بن أرقم بن زيد، وعبّاس رافع صوتَه يقول: يامعشرَ المسلمين، الله ونبيّكم! هذا الذى أصابكم بمعصية نبيّكم؛ وعدكم(١) النصر فما صبرتم. ثم نزع مِغفره عن رأسه، وخلع دِرْعه وقال لخارجة بن زيد: هل لك فى دِرْعى ومِغفَرى؟ قال خارجة: لا، أنا أريد الذى تريد، فخالطوا القوم جميعا، وعبّاس يقول: ماعذرُنا عند ربّنا إن أصيب نبيّنا ومنّا عينٌ تطرف! قال: فيقول(٢) خارجة: لاعذرَ لنا والله عند ربّنا ولا حُجّة، فأمّا عباس فقتله سفيان بن عبد شمس السُّلَمِىّ، ولقد ضربه عباس ضربتين، فجرحه جرحين عظيمين، فارتُثّ يومئذ جريحا، فمكث جريحا سنة، ثم استبلّ. وأخذتْ خارجة ابن زيد الرماح، فجرح بضعة عشر جرحا، فمرّ به صفوان بن أميّة، فعرفه فقال: هذا من أكابر أصحاب محمد، وبه رَمَق، فأجهز عليه. وقتل أوس بن أرقم، وقال صفوان: مَنْ رأى خبيب بن يساف؟ وهو يطلبه فلا يقدر عليه، ومثّل يومئذ بخارجة، وقال: هذا ممّن أغرى بأبى يوم بدر ـ يعنى أميّة بن خلف ـ وقال: الآن شفيتُ نفسى حين قتلت الأماثل من أصحاب محمد، قتلت ابن قوقل، وقتلت ابن أبى زهير، وقتلت أوس ابن أرقم.

قال الواقدىّ: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم يومئذ: مَنْ يأخذ هذا السيف بحقّه؟ قالوا: وما حقّه يارسول الله؟ قال: يضرب به العدوّ، فقال عمر: أنا يارسول الله، فأعرض عنه، ثم عرضه رسول الله صلى الله عليه وسلّم بذلك الشَّرط، فقام الزُّبير، فقال: أنا، فأعرض عنه، حتى وجد(٣) عمر والزبير فى أنفسهما، ثم عرضه الثالثة، فقام أبو دُجانة، وقال: أنا يارسول الله آخذه بحقّه، فدفعه إليه، فصدق حين لقى به العدوّ، وأعطى السيف حقّه، فقال أحدُ الرجلين ـ إمّا عمر بن الخطاب أو الزّبير: والله لأجعلنّ هذا الرجل الذى أعطاه السيف ومنعنيه من شأنى، قال: فاتّبعته، فوالله مارأيت أحدا قاتل أفضل من

(١) ا: «بوعدكم». (٢) الواقدى: «يقول». (٣) أى غضبا.

قتاله ، لقد رأيتُه يضرب به حتى إذا كلّ عليه وخاف ألا يُحيك[1] عمَد به إلى الحجارة ، فشحذه ، ثم يضرب به العدوّ ، حتى يردّه[2] كأنه مِنجل ، وكان حين أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله السيف مشى بين الصفّين ، واختال فى مشيته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حين رآه يمشى تلك المشية : إنّ هذه لَمِشْيَةٌ يبغضها الله تعالى إلا فى مثل هذا الموطن . قال : وكان أربعة من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وآله يعلمون فى الزحوف ، أحدهم أبو دُجانة ، كان يعصب رأسه بعصابة حمراء ، وكان قومه يعلمون أنه إذا اعتصب بها أحسن القتال ، وكان على عليه السلام يعلم بصوفة بيضاء ، وكان الزبير يعلم بعصابة صفراء ، وكان حمزة يعلم بريش نعامة .

قال الواقدىّ : وكان أبو دُجانة يحدّث يقول : إنى لأنظر يومئذ إلى امرأة تقذف الناس وتحوشهم حَوْشًا منكرا ، فرفعتُ عليها السيف ، وما أحسبها إلا رجلا ، حتى علمت أنها امرأة ، وكرهت أن أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة . والمرأة عمرة بنت الحارث .

قال الواقدىّ : وكان كعب بن مالك يقول : أصابنى الجراح يوم أُحد ، فلما رأيت المشركين يمثّلون بالمسلمين أشدّ المُثَل وأقبحه ، قمتُ فتنحّيت عن القتلى ، فإنى لفى موضعى أقبل خالد بن الأعلم العقيلىّ جامع اللأمة يحوش المسلمين ، يقول : استوسقوا[3] كما يستوسق جُرْب الغنم ، وهو مدجّج فى الحديد ، يصيح : يامعشرَ قريش ، لا تقتلوا محمدا ، ائسروه أسراً حتى نعرّفه ماصنع ! ويصمُد له قُزْمان فيضربه بالسيف ضربة على عاتقه رأيت منها سَحْره ، ثم أخذ سيفه وانصرف ، فطلع عليه من المشركين فارس ماأرى منه إلا عينيه ، فحمل عليه قُزمان فضربه ضربةً جزله اثنين ، وإذا هو الوليد بن العاص بن هشام المخزومىّ ، ثم يقول كعب : إنى لأنظر يومئذ وأقول : مارأيتُ مثل هذا الرجل أشجع

---

(١) لا يحيك : لا يؤثر . (٢) ا : « رده » . (٣) استوسقوا : اجتمعوا .

بالسيف . ثم حتم له بما ختم له به ! فيقال له : فما ختم له به ؟ فيقول : من أهل النار ، قتل نفسه يومئذ .

قال الواقدىّ : وروى أبو النمر الكنانى ، قال : أقبلت يوم أحُد وأنا من المشركين ، وقد انكشف المسلمون ، وقد حضرتُ فى عشرة من إخوتى ، فقتل منهم أربعة ؛ وكان الريح للمسلمين أوّل ما التقينا . فلقد رأيتُنى وانكشفنا مولّين ، وأقبل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على نهب العسكر ، حتى بلغت الجبل ، ثم كرّت خيلنا ، فقلت : والله ما كرّت الخيلُ إلا عن أمر رأته ، فكررنا على أقدامنا كأنّنا الخيل ، فنجد القوم قد أخذ بعضُهم بعضاً ، يقتتلون على غير صفوف ، ما يدرى بعضهم مَنْ يضرب ، وما للمسلمين لواء قائم ، ومع رجل من بنى عبد الدار لواء المشركين ، وأنا أسمع شعار أصحاب محمد بينهم : « أمِتْ أمِتْ » فأقول فى نفسى : ما « أمت » ؟ وإنّى لأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنّ أصحابه محدقون به ، وإنّ النّبل لتمرّ عن يمينه ويساره ، ويقع بين يديه ، ويخرج من ورائه ، ولقد رميت يومئذ بخمسين مرْماة ، فأصبت منها بأسهم بعض أصحابه ، ثم هدانى الله إلى الإسلام .

قال الواقدى : وكان عمرو بن ثابت بن وَقْش شاكّاً فى الإسلام ، وكان قومُه يكلّمونه فى الإسلام ، فيقول : لو أعلم ما تقولون حقا ما تأخرت عنه ، حتى إذا كان يوم أحُد بدا له الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم بأحُد ، وأخذ سيفه وأسلم ، وخرج حتى دخل فى القوم ، فقاتل حتى أثبت [1] ، فوجد فى القتلى جريحا ميّتا ، فدنوا منه وهو بآخر رَمَق ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ قال : الإسلام ، آمنت بالله ورسوله ، وأخذت سيفى وحضرت فرزقنى الله الشهادة ، ومات فى أيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّه لمن أهل الجنّة »

---

(١) أثبت ، أى جرح .

قال الواقدىّ : فكان أبو هُريرة يقول ، والناس حوله : أخبرونى برجل يدخل الجنّة لم يصلِّ لله تعالى سجدة؟ فيسكت الناس، فيقول أبو هريرة : هو أخو بنى عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش .

قال الواقدىّ : وكان مخيرق اليهودىّ من أحبار يهود ، فقال يومَ السَّبت ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بأُحُد . يامعشرَ يهود ، والله إنّكم لتعلمون أنّ محمّداً نبىّ ، وأنّ نصره عليكم حقّ . فقالوا . ويحك ! اليوم يوم السبت، فقال . لا سبت ، ثم أخذ سلاحه وحضر مع النبى صلى الله عليه وسلّم ، فأُصيب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « مخيرق خير يهود » .

قال الواقدىّ : وكان مخيرق ، قال حين خرج إلى أُحُد : إن أصبت فأموالى لمحمّد يضعُها حيث أراه الله فيه ، فهى عامة صدقات النبىّ صلّى الله عليه وسلم .

قال الواقدىّ : وكان حاطب بن أمية منافقاً ، وكان ابنه يزيد بن حاطب رجلَ صِدْق شهد أُحُداً مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فارْتُثَّ [١] جريحا ، فرجع به قومه إلى منزله ، قال . يقول أبوه وهو يرى أهلَ الدار يبكون عنده : أنتم والله صنعتم هذا به ، قالوا : كيف ؟ قال : أغررتموه من نفسه حتى خرج فقتل ، ثم صرتم معه إلى شىء آخر تعِدُونه جنّة ، يدخل فيها جنّة من حَرْمل ، قالوا : قاتلك الله ! قال هو ذاك ، ولم يقرّ بالإسلام [٢] .

قال الواقدىّ : وكان قزمان عَسِيفاً [٣] من بنى ظَفَر ، لايدرى ممّن هو ، وكان لهم محبًّا ،

(١) ارتث : حمل من المعركة جريحاً وبه رمق

(٢) الخبر فى ابن هشام ٣ : ٣٧ عن عاصم بن عمر بن قتادة : « أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب ابن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد ، فأتى به إلى قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبشر يا ابن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا (أى كبر) فى الجاهلية ، فنجم يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شىء تبشرونه ؟ أبجنة من حرمل ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه !

(٣) عسيفاً ، أى أجيراً .

وكان مقلاًّ ولا ولد له ولا زوجة ، وكان شجاعا يُعرف بذلك فى حروبهم التى كانت تكون بينهم ، فشهد أحداً ، وقاتل قتالا شديدا ، فقتل ستة أو سبعة ، فأصابته الجراح فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم : إنّ قزمان قد أصابته الجراح ، فهو شهيد ، فقال : بل من أهل النار ، فجاءوا إلى قزمان ، فقالوا : هنيئا لك أبا الغيداق الشهادة ! فقال : بمَ تبشّرونى ! والله ماقاتلنا إلّا على الأحساب ، قالوا : بشّرناك بالجنة ، قال جنّة والله من حَرْمل ، إنّا والله ماقاتلنا على جنّة ولا على نار ، إنما قاتلنا على أحسابنا ، ثمّ أخرج سهما من كنانته ، فجعل يتوجّأ به نفسه ، فلما أبطأ عليه المِشْقَص ، أخذ السيف ، فاتّكأ عليه ، حتى خرج من ظهره ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وآله فقال : « هو من أهل النار » .

قال الواقدىّ : وكان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج ، فلمّا كان يوم أُحُد ، وكان له بنون أربعة يشهدون مع النبىّ صلى الله عليه وسلّم المشاهد أمثال الأسد ، أراد قومُه أن يحبسوه ، وقالوا : أنت رجل أعرَج ، ولا حرج عليك ، وقد ذهب بنوك مع النبى صلى الله عليه وسلّم قال : بخٍ ! يذهبون إلى الجنّة وأجلس أنا عندكم ! فقالت هند بنت عمرو بن حرام امرأته : كأنّى أنظر إليه مولّيًا قد أخذ دَرَقته ، وهو يقول : اللهمّ لا تردّنى إلى أهلى ، فخرج ولحقه بعضُ قومه يكلّمونه فى القعود ، فأبى وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : يارسولَ الله ، إنّ قومى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه والخروج معك ، والله إنّى لأرجو أن أطأ بعَرْجتى هذه فى الجنة ، فقال له : أمّا أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك ، فأبى ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلّم لقومه وبنيه : لا عليكم أن تمنعوه ، لعلّ الله يرزقه الشهادة ، فخلّوا عنه . فقتل يومئذ شهيدا . وكان أبو طلحة يحدّث ، يقول : نظرت إلى عمرو بن الجموح حين انكشف المسلمون ، ثم ثابوا وهو فى الرّعيل الأوّل ، لكأنّى أنظر إلى ضَلَعه وهو يعرَج فى مشيته ، وهو يقول : أنا والله مشتاق إلى الجنّة ، ثم أنظر إلى ابنه يعدُو فى أثره ، حتى قُتلا جميعا .

قال الواقديّ ، وكانت عائشة خرجت في نسوة تستروح الخبر ، ولم يكن قد ضُرِب الحجاب يومئذ ، حتى كانت بمنقطع الحرّة وهي هابطة من بني حارثة إلى الوادي ، لقيتْ هنداً بنت عمرو بن حرام ، أخت عبد الله بن عمرو بن حرام ، تسوق بعيراً لها ، عليه زوجها عمرو بن الجموح ، وابنها خلّاد بن عمرو بن الجموح ، وأخوها عبدُ الله بن عمرو بن حرام[1] أبو جابر بن عبدالله ، فقالت لها عائشة : عندكِ الخبر ، فما وراءك ؟ فقالت هند : خير ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلّم فصالح ، وكلّ مُصيبة بعده جَلَل ، واتّخذ الله من المؤمنين شهداء : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً ﴾ .

ـ قلت : هكذا وردت الرواية ، وعندي أنها لم تقل كلّ ذلك ، ولعلها قالت : « وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ » ، لا غير ، وإلا فكيف يواطئ كلامُها آية من كلام الله تعالى أُنزلت بعد الخندق والخندق بعد أُحُد ! هذا من البعيد جداً ـ

قال : فقالتْ لها عائشة : فمَن هؤلاء ؟ قالت : أخي وابني وزوجي قتلى ، قالت : فأين تذهبين بهم ؟ قالت : إلى المدينة أقبرُهم بها « حَلْ حَلْ » تزجُر بعيرها ، فبرك البعير ، فقالت عائشة : لثقل ما حُمِل ، قالت هند : ما ذاك به ، لربّما حمل ما يحمله البعيران ، ولكني أراه لغير ذلك ، فزجرته فقام ، فلمّا وجهت به إلى المدينة برك ، فوجّهته راجعة إلى أُحُد ، فأسرع ، فرجعت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلّم فأخبرته بذلك ، فقال : إنّ الجمل لمأمور ، هل قال عمرو شيئاً ؟ قالت : نعم ، إنه لما وجّه إلى أُحُد استقبل القبلة ، ثم قال : اللّهمّ لا تردّني إلى أهلي ، وارزقني الشهادة ، فقال صلى الله عليه وسلم : فلذلك الجمل لا يمضي ، إنّ منكم يامعشرَ الأنصار من لو أقسم على الله لأبرّه ، منهم عمرو بن الجموح ، يا هندُ ، مازالت الملائكة مظلّة على أخيك من لدن قُتِل إلى الساعة ، ينظرون أين يدفن ! ثم مكث رسول الله صلى الله عليه وسلّم في قبرهم ، ثم قال : ياهند ، قد ترافقوا في الجنّة

(١) الواقدي : « حرام » .

جميعا : عمرو بن الجموح بعلك ، وخلّاد ابنُك،وعبد الله أخوك . فقالت هند : يارسول الله ، فادع الله لى عسى أن يجعلنى معهم !

قال الواقدىّ : وكان جابر بن عبد الله ، يقول : اصطبح ناسٌ يوم أُحُد الخمرَ ، منهم أبى ، فقتلوا شهداء .

قال الواقدىّ : وكان جابرٌ يقول: أوّل قتيل من المسلمين يوم أُحُد أبى ، قتله سفيان ابن عبد شمس أبو الأعور السُّلَمىّ ، فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ الهزيمة .

قال الواقدىّ : وكان جابر يحدّث ، ويقول : استشهد أبى ، وجعلتْ عمّتى تبكى ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ما يبكيها ! ما زالت الملائكة تظلّ عليه بأجنحتها حتى دُفن .

قال الواقدىّ : وقال عُبيد الله بن عمرو بن حرام : رأيتُ فى النوم قبل يوم أُحُد بأيام مبشّرَ بن عبد المنذر ، أحد الشهداء ببدر ، يقول لى : أنت قادم علينا فى أيام ! فقلت : وأين أنت ؟ قال : فى الجنة نسرح منها حيث نشاء ، فقلت له : ألم تقتل يوم بدر ؟ قال : بلى ، ثم أحييت ، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذه الشهادة ياجابر » .

قال الواقدىّ : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم أُحُد : ادفنوا عبد الله بن عمرو ابن حرام وعمرو بن الجموح فى قبر واحد ، ويقال : إنّهما وجدا وقد مُثّل بهما كلَّ مُثْلة قطعت آرابهما[1] عضوا عضوا ، فلا تعرف أبدانهما ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلّم : « ادفنوهما فى قبر واحد » ، ويقال : إنما أمر بدفنهما فى قبر واحد ، لما كان بينهما من

(١) الآراب : جمع إرب ، بالكسر والسكون ، وهو العضو .

الصفاء ، فقال : ادفنوا هذين المتحابَّين فى الدنيا فى قبر واحد .

وكان عبد الله بن عمرو بن حرام رجلًا أحمر أصلع ، ليس بالطويل ؛ وكان عمرو ابن الجموح طويلا ، فعرفا ودخل السَّيل تحت عنهما ، وكان قبرهما مما يلى السَّيل ، فحفر عنهما ، وعليهما نمرتان وعبد الله قد أصابه جرح فى وجهه ، فيدُه على وجهه[1] ، فأميطت يده عن جرحه ، فثعب[2] الدم ، فردت إلى مكانها فسكن الدّم .

قال الواقدىّ : وكان جابر بن عبد الله يقول : رأيت أبى فى حفرته ، وكأنّه نائم ، وما تغيّر من حاله قليل ولا كثير ؛ فقيل له : أفرأيت أكفانه؟ قال : إنما كُفِّن فى نمرة[3] خُمِّر بها وجهُه ، وعلى رجليه الحَرْمل فوجدنا النَّمِرة كما هى ، والحرمل على رجليه كهيئته ، وبين ذلك وبين وقت دفنه ست وأربعون سنة ، فشاورهم جابر فى أن يطيّبه بمسك ، فأبى ذلك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا : لا تحدثوا فيهم شيئا .

قال : ويقال إنّ معاوية لما أراد أن يُجرِىَ العين التى أحدثها بالمدينة ، وهى كظامة نادى مناديه بالمدينة : من كان له قتيل بأُحُد فليشهد . فخرج النّاس إلى قتلاهم فوجدوهم رطابا يتثنّون ، فأصابت المسحاةُ رِجْلَ رجلٍ منهم ، فثعبت دما ، فقال أبو سعيد الخُدرِىّ : لا يُنكَر بعد هذا منكر أبدا .

قال : ووُجد عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح فى قبر واحد ، ووُجد خارجة ابن زيد بن أبى زهير وسعد بن الربيع فى قبر واحد ، فأمّا قبرُ عبد الله وعمرو فحوِّل ، وذلك أنّ القناة كانت تمرّ على قبرهما ، وأمّا قبر خارجة وسعد فترك ، وذلك لأنّ مكانه كان معتزلا ، وسُوِّىَ عليهما التراب ، ولقد كانوا يحفرون التراب ، فكلّما حفروا قُتْرة من تُراب ، فاح عليهم المسك .

(١) ا : « جرحه » .

(٢) ثعب الدم : سال

(٣) النمرة : بردة من صوف .

قال : وقالوا : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لجابر : ياجابر ، ألا أبشّرك ؟ فقال : بلى ، بأبى وأمّى ! قال : فإنّ الله أحيى أباك ، ثم كلّمه كلاما ، فقال له : تمنّ على ربّك ماشئت ! فقال : أتمنّى أن أرجع فأقتل مع نبيك ، ثم أحيا فأقتل مع نبيك، فقال: إنّى قد قضيت أنّهم لايرجعون .

قال الواقدىّ : وكانت نسيبة بنت كعب أمّ عمارة بن غزيّة بن عمرو قد شهدت أحُداً ، وزوجها[1] غزيّة وابناها عمارة بن غزيّة وعبدالله بن زيد ، وخرجت ومعها شنّ[2] لها فى أوّل النهار تريد تسقى الجرحى ، فقاتلت يومئذ وأبلتْ بلاء حسنا ، فجرحت اثنى عشر جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة سيف ، فكانت أمّ سعد بنت سعد بن الربيع تحدّث ، فتقول : دخلتُ عليها ، فقلت لها : ياخالة ، حدّثينى خبرك ، فقالت : خرجت أوّل النهار إلى أحُد ، وأنا أنظر مايصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى أصحابه والدّولة والريح للمسلمين ، فلمّا انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فجعلت أباشر القتال ، وأذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالسّيف ، وأرمى بالقوس ، حتى خلصت إلى الجراح ، ورأيت على عاتقها جُرحا أجوفَ له غور ، فقلت : ياأمّ عُمارة ، مَنْ أصابك بهذا؟ قالت : أقبل ابن قميئة ، وقد ولّى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح : دلّونى على محمدّ ، لا نجوتُ إنْ نجا ! فاعترض له مُصعب بن عمير وناس معه ، فكنت فيهم ، فضربنى هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنّ عدو الله كان عليه درعان ، فقلت لها : يدك ما أصابها ؟ قالت : أصيبتْ يوم اليمامة ، لمّا جعلت الأعراب تنهزم بالنّاس ، نادت الأنصار: أخلصونا ، فأخلصت الأنصار ، فكنت معهم ، حتى انتهينا إلى حديقة الموت ، فاقتتلنا عليها ساعة ، حتى قُتل أبو دُجانة على باب الحديقة ، ودخلتها

(١) كذا فى ا والواقدى ، وفى ب : « وتزوجها » .
(٢) الشن : القربة الخلق الصغيرة ، يكون فيها الماء أبرد من غيرها .

وأنا أريد عدوّ الله مُسيلمة ، فيعرض لى رجل ، فضرب يدى ، فقطعها ، فوالله ما كانت ناهية ، ولا عرّجت عليها ، حتى وقفت على الخبيث مقتولاً ، وابنى عبد الله بن زيد المازنىّ يمسحُ سيفه بثيابه ، فقلت : أقتلته ؟ قال : نعم ، فسجدتُ شكراً لله عزّ وجلّ وانصرفت .

قال الواقدىّ : وكان ضمْرة بن سعيد يحدّث عن جدّته ، وكانت قد شهدت أُحُداً تسقى الماء ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ : لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خيرٌ من مُقام فلان وفلان . وكان يراها يومئذ تقاتل أشدّ القتال ، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها ، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا .

* * *

قلت : ليت الراوى لم يكنِ هذه الكناية ، وكان يذكرهما باسمهما حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهة ! ومن أمانة المحدّث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئا ، فما باله كتم اسم هذين الرجلين .

قال : فلما حضرت نسيبه[1] الوفاة ، كنت فيمن غسلها فعددت جراحها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشر ؛ وكانت تقول : إنى لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عاتقها – وكان أعظم جراحها ، لقد داوته سنة – ثم نادى منادى النبىّ صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء أُحُد : إلى حمراء الأسد ! فشدّت عليها ثيابها ، فما استطاعت من نزف الدّم ، ولقد مكثنا ليلتنا نكمّد الجراح ، حتى أصبحنا ، فلما رجع رسولُ الله من حمْراء الأسد ، لم يصلْ إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازنىّ يسأل عنها ، فرجع إليه فأخبره بسلامتها ، فسرّ بذلك .

قال الواقدىّ : وحدثنى عبد الجبار بن عُمارة بن غزيّة ، قال : قالت أمّ عُمارة

(١) الواقدى : « فلما حضرتها » .

لقد رأيتُني وانكشف النّاس عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم فما بقيَ إلا نُفَيْرٌ ما يتمّون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذبّ عنه، والناس يمرّون عنه منهزمين، فرآني ولا تُرْس معي، ورأى رجلا مولّيا معه تُرْس، فقال: ياصاحبَ التُّرس، ألق ترسك إلى مَنْ يقاتل. فألقى ترسه فأخذته، فجعلت أترّس به على النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، ولو كانوا رَجّالة مثلنا أصبناهم، فيقبل رجل على فرس، فضربني وترّست له، فلم يصنع سيفه شيئا، وولّى وأضرب عُرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح: يابن عُمارة، أمّك أمّك! قالت: فعاونني عليه حتى أوْرَدْتُهُ شَعُوب[1]

قال الواقديّ: وحدّثني ابنُ أبي سَبْرة، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن عبد الله بن زيد المازنيّ، قال: جُرحت يومئذ جرحا في عضدي اليسرى، ضربني رجل كأنه الرَّقْل ولم يعرّج عليّ، ومضى عنّي، وجعل الدم لا يرقأ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: اعصب جُرْحك، فتقبل أمّي إليّ، ومعها عصائب في حَقْويْها قد أعدّتها للجراح، فربطت جرحي والنبي صلى الله عليه وسلّم واقف ينظر، ثم قالت: انهض بنيّ، فضارب القوم، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: ومن يطيق ما تطيقين يا أمّ عُمارة! قالت: وأقبل الرّجل الذّي ضربني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا ضارب ابنك، فاعترضت أمّي له، فضربت ساقه، فبرك، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلّم تبسم حتى بدت نواجذُه، ثم قال: استقدت يا أمّ عُمارة. ثم أقبلنا نعلوه[2] بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذي ظفّرك وأقرّ عينك من عدوّك، وأراك ثأرك بعينك!

---

(١) شعوب: اسم المنية.

(٢) ب: «نعله»، والصواب ما أثبته من ا والواقدي.

قال : الواقدىّ وروى موسى بن ضمرة بن سعيد ، عن أبيه قال : أُتى عمر بن الخطاب فى أيام خلافته بمُروط[1] كان فيهـا مِرْط واسع جيّد فقال بعضهم : إنّ هذا المرْط بثمن كذا ، فلو أرسلتَ به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفيّة بنت أبى عبيد ، وذلك حدثان[2] مادخلت على ابن عمر ، فقال : بل أبعث به إلى مَنْ هو أحقّ منها ، أمّ عمارة نسيبة بنت كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحُد يقول : ما التفت يميناً وشمالاً إلاّ وأنا أراها تقاتل دونى .

قال الواقدىّ : وروى مرْوان بن سعيد بن مُعلّى ، قال : قيل لأمّ عُمارة : ياأمّ عمارة ، هل كنّ نساء قريش يومئذ يقاتلنَ مع أزواجهنّ ؟ فقالت : أعوذ بالله ، لا والله مارأيتُ امرأة منهنّ رمتْ بسهم ولا حَجَر ، ولكن رأيتُ معهنّ الدِّفاف والأكبار يضربن ويذكّرن القوم قتلى بدر ، ومعهنّ مكاحل ومراود ، فكلّما ولّى رجل أو تكعكع ناولته إحداهنّ مرودا ومكحلة ، ويقلن : إنما أنت امرأة ، ولقد رأيتهنّ ولّين منهزمات مشمّرات ، ولها عنهن الرّجال أصحاب الخيل ، ونجوا على متون خيلهم ، وجعلْنَ يتبعنَ الرّجال على أقدامهنّ ، فجعلن يسقطن فى الطريق ، ولقد رأيت هندا بنت عتبة ، وكانت امرأة ثقيلة ، ولها خلق ، قاعدة خاشيةً من الخيل ، ما بها مشى ، ومعها امرأة أخرى ، حتى كثر القوم علينا ، فأصابوا منّا ما أصابوا ، فعند الله نحتسب ما أصابنا يومئذ من قِبَل الرماة ومعصيتهم لرسول[3] الله صلى الله عليه وسلم .

قال الواقدىّ : وحدثنى ابنُ أبى سَبْرة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله ، قال : سمعتُ عبد الله بن زيد بن عاصم ، يقول : شهدتُ أحُداً

(١) المرط ، بالكسر : كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به ، وربمـا تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به والجمع مروط .

(٢) حدثان الأمر : ابتداؤه .

(٣) ا : « الرسول » .

مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فلمّا تفرّق الناس عنه ، دنوت منه ، وأمى تذبّ عنه ، فقال : يابن عُمارة ، قلت : نعم ، قال : ارمِ ! فرميتُ بين يديه رجلا من المشركين بحجر ، وهو على فرس ، فأصبت عين الفرس ، فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة ، حتى نضّدت عليه منها وقْرا ، والنبى صلى الله عليه وسلّم ينظر إلىّ ويتبسم ، ونظر إلى جرح أمى على عاتقها ، فقال : أمّك أمّك ! اعصب جُرحها ، بارك الله عليكم من أهل بيت ! لمقامُ أمّك خيرٌ من مقام فلان وفلان ، ومقام ربيبك ـ يعنى زوج أمه ـ خيرٌ من مقام فلان ، رحمكم الله من أهل بيت ! فقالت أمى : ادع لنا الله يارسول الله أن نرافقك فى الجنّة ، فقال : « اللهم اجعلهم رُفقائى فى الجنّة » ؛ قالت : فما أبالى ما أصابنى من الدنيا .

قال الواقدىّ : وكان حنظلة بن أبى عامر تزوّج جميلة بنت عبد الله بن أبىّ بن سَلول ، فأدخلت عليه فى الليلة التى فى صبيحتها قتال أُحُد ، وكان قد استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت عندها ، فأذن له ، فلمّا صلّى الصبح غدا يريد النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلزمته جميلة ، فعاد فكان معها ، فأجنب منها ، ثم أراد الخروج ، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها ، فأشهدتهم أنه قد دخل بها ، فقيل لها بعد : لِمَ أشهدتِ عليه ؟ قالت : رأيتُ كأنّ السماء فُرِجتْ ، فدخل فيها ، ثم أطبقت . فقلت هذه الشهادة ، فأشهدت عليه أنّه قد دخل بى ، فعلقت منه بعبد الله بن حنظلة ، ثم تزوجها ثابت بن قيس بعد ، فولدت له محمد بن ثابت بن قيس وأخذ حنظلة بن أبى عامر سلاحه ، فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلّم بأُحُد ، وهو يسوّى الصفوف ، فلما انكشف المشركون ، اعترض حنظلة لأبى سفيان بن حرب ، فضرب عُرقوب فرسه ، فاكتسعت الفرس ، ووقع أبو سفيان إلى الأرض ، فجعل يصيح : يامعشر قريش ، أنا أبو سفيان بن حرب ! وحنظلة يريد ذبحه بالسيف ، فأسمع الصوت رجالا لا يلتفتون إليه من الهزيمة ، حتى عاينه الأسود بن شعوب ، فحمل على حنظلة بالرمح ،

فأنفذه، ومشى حنظلة إليه في الرمح حتى ضربه ثانية فقتله، وهرب أبو سفيان يعدُو على قدميه، فلحق ببعض قريش، فنزل عن صدر فرسه، وردف وراءه أبا سفيان، فذلك قول أبي سفيان يذكر صبره ووقوفه وأنه لم يفرّ، وذكره محمد بن إسحاق[١] :

ولو شئتُ نجّتني كُميتٌ طِمِرّةٌ ... ولم أحمل النعماء لابن شعُوب[٢]

ومازال مُهرى مزجر الكلب فيهمُ ... لدن غُدوةً حتى دنت لغُروب[٣]

أقاتلهم وأدّعي يا لَغالبٍ ... وأدفعهم عني بركن صليب[٤]

فبكّي ولا تَرعَيْ مقالة عاذلٍ ... ولا تسأمي من عَبرةٍ ونحيب

أباك وإخوانا له قد تتابعوا[٥] ... وحقّ لهم من حسرةٍ بنصيب

وسلّى الذي قد كان في النفس أنني ... قتلتُ من النجار كلّ نجيب

ومن هاشم قَرْمًا كريمًا ومُصعبًا ... وكان لدى الهيجاء غير هيوب[٦]

ولو أنني لم أشفِ نفسيَ منهمُ ... لكانت شجا في الصدر ذات ندوب[٧]

فآبوا وقدْ أودى الجلابيبُ منهم ... بهم خدبٌ من واجمٍ وكئيب[٨]

أصابهم من لم يكن لدمائهمْ ... كِفاءً ولا في سِنْخِهم بضريب[٩]

قال الواقدي: مرّ أبو عامر الراهب على حنظلة ابنه وهو مقتول إلى جنب

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٢١ ، ٢٢

(٢) الطمرة: الفرس السريعة الوثب، وفي الأصول: «النعمان» تحريف.

(٣) ابن هشام: «منهم»، ومزجر الكلب، يريد أنه قريب، والضمير في «دنت» يعود إلى الشمس.

(٤) صليب: شديد قوي. (٥) ابن هشام. «وحقوا له».

(٦) القرم في الأصل: الفحل المكرم من الإبل، وعنى به هاهنا حمزة بن عبد المطلب. والمصعب: الفحل من الإبل أيضاً.

(٧) الندوب: آثار الجروح.

(٨) الجلابيب: الجماعات. وفي ابن هشام:

* بِهِمْ خَدَبٌ من مُعْطِبٍ وكَئيبِ *

(٩) في ابن هشام: «ولا في خطة بضريب».

حمزة بن عبدالمطلب، وعبد الله بن جحش؛ فقال: إن كنت لأحذرك هذا الرجل ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من قبل هذا المصرع، والله إن كنت لبرًّا بالوالد، شريف الخلق في حياتك، وإنْ مماتك لمع سراة أصحابك وأشرافهم، إنْ جزى الله هذا القتيل ـ يعني حمزة ـ خيرا، أو جزى أحدا من أصحاب محمد خيرا، فيجزيك، ثم نادى: يامعشرَ قريش، حنظلة لا يمثَّل به، وإن كان خالفني وخالفكم، فلم يألُ لنفسه فيما يرى خيرا، فمثّل بالناس وترك حنظلة فلم يمثّل به.

وكانت هندُ بنت عُتْبة أوّلَ مَنْ مثّل بأصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم، وأمرت النساء بالمثل، وبجدع الأنوف والآذان، فلم تبق امرأة إلا عليها معضدان[1] ومَسَكتان[2] وخدمتان[3] إلا حنظلة لم يمثّل به. وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إني رأيتُ الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضّة»؛ قال أبو أُسَيْد الساعديّ: فذهبنا فنظرنا إليه، فإذا رأسه يقطر ماء، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فأرسل إلى امرأته فسألها، فأخبرته أنّه خرج وهو جُنُب.

قال الواقديّ: وأقبل وَهْب بن قابوس المُزنيّ، ومعه ابن أخيه الحارث بن عُقْبة بن قابوس بغنم لهما من جبل مُزَينة، فوجدا المدينة خِلْواً، فسألا: أين الناس؟ قالوا: بأُحُد، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين من قُرَيش، فقال: لا نبتغي أثراً بعد عين، فخرجا حتى أتيا النبيّ صلى الله عليه وسلم بأُحُد، فيجدان القوم يقتتلون، والدّولة لرسول الله صلى الله عليه وسلّم وأصحابه، فأغارا مع المسلمين في النَّهْب، وجاءت الخيل من ورائهم خالد بن الوليد وعِكْرمة بن أبي جهل، فاختلط الناس، فقاتلا أشدّ القتال، فانفرقت فرقة من المشركين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن لهذه الفرقة؟ فقال وهب بن قابوس: أنا يارسول الله، فقام فرماهم بالنَّبْل حتى انصرفوا، ثم رجع فانفرقت فرقة

---

(١) المعضد: الدملج، وهو حلي يلبس في المعصم.

(٢) المسكة: الأسورة من القرون والعاج. (٣) الخدمة: الخلخال.

أخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن لهذه الكتيبة ؟ فقال المُزنىّ : أنا يارسول الله ، فقام فذبّها بالسيف حتى ولّت ، ثم رجع فطلعت كتيبة أخرى ، فقال النبي صلى الله عليه : مَن يقوم لهؤلاء ؟ فقال المزنىّ : أنا يا رسولَ الله ، فقال : قم وأبشِرْ بالجنّة . فقام المزنىّ مسرورا يقول : والله لا أقيل ولا أستقيل ، فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسّيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه والمسلمون ، حتى خرج من أقصى الكتيبة ؛ ورسول الله صلى الله عليه يقول : اللهمّ ارحمه ، ثم يرجع فيهم ، فما زال كذلك وهم محدِقُون به ، حتى اشتملت عليه أسيافهم ورماحهم ، فقتلوه فوجد به يومئذ عشرون طعنة بالرماح ، كلّها قد خلصت إلى مقتل ، ومُثّل به أقبحَ المثل يومئذ . ثم قام ابنُ أخيه ، فقاتل كنحو قتاله ، حتى قُتِل ، فكان عمر بن الخطاب يقول : إنّ أحبّ ميتة أموتُ عليها لما مات عليها المزنىّ .

قال الواقدىّ . وكان بلال بن الحارث المزنىّ يحدّث يقول : شهدنا القادسيّة مع سعد بن أبي وقّاص ، فلمّا فتح الله علينا ، وقسمت بيننا غنائمنا ، أسقط فتى من آل قاموس من مُزَينة ، فجئت سعدا حين فرغ من نومه ، فقال : بلال ! قلت . بلال ، قال : مرحباً بك ، مَنْ هذا معك ؟ قلت . رجل من قومى ، قال : ما أنتَ يا فتى من المزنى الذى قتِل يوم أُحُد ! قال : ابنُ أخيه . قال سعد : مرحبا وأهلا ، أنعم الله بك عينا ! لقد شهدتُ من ذلك الرجل يوم أُحُد مشهداً ما شهدتُ من أحدٍ قطّ ، لقد رأيتُنا وقد أحدق المشركون بنا من كلّ ناحية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلّم وسطنا ، والكتائب تطلع من كلّ ناحية ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يرمى ببصره فى الناس يتوسّمهم ، ويقول : مَنْ لهذه الكتيبة ؟ كلّ ذلك يقول المُزَنىّ : أنا يا رسول الله ، كلّ ذلك يردّ الكتيبة ، فما أنسى آخر مرة قام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم

وأبشر بالجنّة ، فقام وقت على أثره ، يعلم الله أنى أطلب مثل ما يطلب يومئذ من الشهادة ، فخضنا حَوْمتهم ، حتى رجعنا فيهم الثانية ، فأصابوه رحمه الله ، ووددت والله أنى كنتُ أصبت يومئذ معه ، ولكن أجل [1] استأخر ، ثم دعا من ساعته بسهمه فأعطاه وقبّله ، وقال : اختر فى المقام عندنا أو الرجوع إلى أهلك ، فقال بلال : إنه يستحبّ الرجوع ، فرجع .

قال الواقدىّ : وقال سعد بن أبى وقاص : أشهدُ رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على المُزَنى ، وهو مقتول ، وهو يقول : رضى الله عنك ، فإنى عنك راض ! ثم رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله قام على قدميه ، وقد ناله عليه السلام من ألم الجراح ما ناله ، وإنى لأعلم أنّ القيام يشقّ عليه على قبره ، حتى وضع فى لحده وعليه بُرْدة ، لها أعلام حُمْر ، فمدّ رسول الله صلى الله عليه وآله البردة على رأسه ، فخمّره وأدرجه فيها طولاً ، فبلغت نصف ساقيه ، فأمرنا فجمعنا الحَرْمل ، فجعلناه على رجليه وهو فى لحده ، ثم انصرف فما حال أحبّ إلىّ من أن أموت عليها وألقى الله عليها من حال المُزَنى .

قال الواقدىّ : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم أُحُد قد خاصم إليه يتيم من الأنصار أبا لبابة بن عبد المنذر فى عِذْق بينهما ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلّم لأبى لُبابة ، فجزع اليتيم على العِذْق ، فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم العِذْق إلى أبى لُبابة لليتيم ، فأبى أن يدفعه إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول لأبى لبابة : ادفعه إليه ولك عِذْقٌ فى الجنّة ، فأبى أبو لبابة ، وقال ثابت [2] بن أبى الدّحداحة : يارسول الله ! أرأيت إن أعطيتُ اليتيمَ عِذْقه من مالى ! قال : لك به عِذْق فى الجنة ، فذهب ثابت بن الدحداحة ، فاشترى من أبى لبابة ذلك العِذْق بحديقة نخل ، ثم رد العِذْق إلى الغلام ،

(١) الواقدى : « أجلى استأخر » .
(٢) كذا فى الاستيعاب ١ : ٢٠٣

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ربَّ عذق مذلّل[1] لابن الدحداحة فى الجنة » ، فكانت تُرجى له الشهادة بذلك القول ، فقتل يوم أُحُد .

قال الواقدىّ : ويقبل ضرار بن الخطاب فارسا يجرّ قناةً له طويلة ، فيطعن عمرو بن معاذ ، فأنفذه ، ويمشى عمرو إليه حتى غُلب ، فوقع لوجهه ، قال : يقول ضرار : لا تعدمنّ رجلا زوّجك من الحور العين ، وكان يقول : زوّجت يوم أُحُد عشرة من أصحاب محمد الحُور العين .

قال الواقدىّ : فسألت شيوخَ الحديث : هل قتل عشرة ؟ قالوا : ما بلغنا أنه قتل إلاّ ثلاثة ، ولقد ضرب يومئذ عمر بن الخطاب حين جال المسلمون تلك الجولة بالقناة ، وقال : يابن الخطاب ، إنها نعمة مشكورة ، ما كنت لأقتلك .

قال الواقدىّ : وكان ضرار يحدث بعد ، ويذكر وقعة أحد ، ويذكر الأنصار فيترحّم عليهم ، ويذكر غَناءهم فى الإسلام ، وشجاعتَهم وإقدامهم على الموت ، ثم يقول : لقد قتل أشرافُ قومى ببدر ، فأقول : مَنْ قتل أبا الحكم ؟ فيقال[2] : ابن عفراء . من قتل أمية بن خلف ؟ فيقال : خُبيب بن يساف . من قتل عُقْبة بن أبى معيط ؟ فيقال : عاصم بن ثابت . من قتل فلان بن فلان ؟ فيسمى لى من الأنصار ، من أسرَ سهيل بن عمرو ؟ فيقال : مالك بن الدخشم . فلما خرجنا إلى أحد ، وأنا أقول : إن قاموا فى صياصيهم فهى منيعة لا سبيل لنا إليهم نقيم أياما ثم ننصرف ، وإن خرجوا إلينا من صياصيهم أصبنا منهم ، فإنّ معنا عدداً أكثر من عددهم ، ونحن قوم موتورون ؟ خرجنا بالظُّعن يذكّرننا قتلى بدر ، ومعنا كُراع ولا كُراع معهم ، وسلاحنا أكثر من سلاحهم ، فقُضىَ لهم أن خرجوا ، فالتقينا ، فو الله ما قمنا لهم حتى هزمنا وانكشفنا مولّين ، فقلت

---

(١) العذق بالفتح : النخلة . وبالكسر : العرجون بما فيه من الشماريخ ، وقد ورد فى متن الحديث فى اللسان « عذق » .
(٢) الواقدى : « فقال » .

فى نفسى : هذه أشدّ من وقعة بدر ، وجعلت أقول لخالد بن الوليد : كرّ على القوم ، فيقول : وترى وجها نكرّ فيه ! حتى نظرت إلى الجبل الذى كان عليه الرّماة خاليا ، فقلت : يا أبا سليمان ، انظر وراءك ، فعطف عنان فرسه ، وكررنا معه ، فانتهينا إلى الجبل ، فلم نجد عليه أحداً له بال، وجدنا نُفَيْرًا فاصطلمناهم ، ثم دخلنا العسكر ، والقوم غارّون ينتهبون عسكرنا ، فأقحمنا الخيل عليهم ، فتطايروا فى كلّ وجه ، ووضعنا السيوف فيهم حيث شئنا ، وجعلت أطلب الأكابر من الأوس والخزرج قتلة الأحبّة ، فلا أرى أحدا ، هربوا فما كان حلَب ناقة حتى تداعت الأنصار بينها ، فأقبلت فخالطونا ونحن فرسان ، فصبرنا لهم ، وصبروا لنا ، وبذلوا أنفسهم حتى عقَرُوا فرسى ، وترجلت ، فقتلت منهم عشرة ؛ ولقيت من رجُل منهم الموتَ الناقع ، حتى وجدت ريح الدم ، وهو معانق ما يفارقنى ، حتى أخذته الرماح من كل ناحية ، فوقع ، فالحمد لله الذى أكرمهم بيدى ، ولم يهنى بأيديهم .

قال الواقدىّ : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد : مَنْ له علم بذكوان ابن عبد قيس ؟ فقال علىّ عليه السلام : أنا رأيت يارسولَ الله فارسا يركُض فى أثره حتى لحقه ، وهو يقول : لا نجوتُ إن نجوتَ ! فحمل عليه فرسه وذكوان راجل ، فضربه وهو يقول : خذها وأنا ابن علاج ! فقتله ، فأهويت إلى الفارس ، فضربت رجله بالسيف ، حتى قطعتها من نصف الفخِذ ، ثم طرحته عن فرسه فذفّفت عليه ، وإذا هو أبو الحكم بن أخنس بن شريق بن علاج بن عمرو بن وهب الثّقفىّ .

قال الواقدىّ : وقال علىّ عليه السلام لما كان يوم أحُد وجال الناس تلك الجولة : أقبل أميّة بن أبى حذيفة بن المغيرة ، وهو دارع مقنّع فى الحديد مايرى منه إلّا عيناه ، وهو يقول : يوم بيوم بدر ! فيعرض له رجل من المسلمين ، فقتله أميّة ، قال على عليه السلام : وأصمِد له ، فأضربه بالسّيف على هامته ، وعليه بيضة ، وتحت البيضة مِغْفر ، فنبا سيفى ،

وكنت رجلا قصيرا ، ويضربني بسيفه ، فأتقي بالدرقة ، فلحج سيفه ، فأضربه ، وكان درعه مشمّرة ، فأقطع رجليه ، ووقع وجعل يعالج سيفه ، حتى خلّصه من الدرقة ، وجعل يناوشني وهو بارك حتى نظرت إلى فتق تحت إبطه فأحُشّ فيه بالسيف ، فمال فمات ، وانصرفت .

قال الواقدي : وفي يوم أُحُد انتمى رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، فقال : « أنا ابن العواتك » ، وقال أيضا :

أنا النبيّ لا كذبْ أنا ابن عبد المطّلبْ

قال الواقدي : بينا عمر بن الخطاب يومئذ في رهطٍ من المسلمين قعود ، مرّ بهم أنس بن النضر بن ضمضم عمّ أنس بن مالك ، فقال : ما يقعدكم ؟ قالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم قام ، فجالد بسيفه حتى قتِل ، فقال عمر بن الخطاب : إني لأرجو أن يبعثه الله أمّةً وحده يوم القيامة ، وُجِد به سبعون ضربةً في وجهه ما عرِف حتى عرفته أخته .

قال الواقدي : وقالوا : إنّ مالك بن الدخشم مرّ على خارجة بن زيد بن زهير يومئذ وهو قاعد ، وفي حُشْوته [1] ثلاثة عشر جرحا كلّها قد خلصت إلى مقتل ، فقال له مالك : أما علمتَ أنّ محمدا قد قتل ! قال خارجة : فإن كان محمّد قد قتِل ، فإن الله حيّ لا يُقتل ولا يموت ؟ وإنّ محمّدا قد بلّغ رسالة ربّه ، فاذهب أنت فقاتل عن دينك .

قال : ومرّ مالك بن الدخشم أيضا على سَعْد بن الربيع ، وبه اثنا عشر جرحا كلّها قد خلصت إلى مقتل ، فقال : أعلمت أن محمدا قد قتل ! فقال سعد : أشهد أنّ محمدا قد بلّغ رسالة ربّه ، فقاتِلْ أنت عن دينك ، فإنّ الله حيٌّ لا يموت .

---

(١) حشوة البطن : أمعاؤه .

قال محمد بن إسحاق: وحدّثني محمد بن عبد الله بن عبدالرحمن بن أبي صَعْصعة المازني، أخو بني النّجّار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ: مَنْ رجلٌ ينظر ما فعل سعد بن الربيع، أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر يا رسول الله ما فعل، فنظر فوجده جريحاً في القتلى، وبه رَمَق، فقال له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن أنظر في الأحياء أنت أم في الأموات، قال: أنا في الأموات فأبلغْ رسولَ الله صلى الله عليه وآله منّي السلام، وقل له: إن سعد بن الرّبيع يقول: جزاكَ الله خيراً عنّا ماجزى نبيّاً عن أمّته وأبلغ قومَكَ السلام عنّي، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: لا عذرَ لكم عند الله أن يخلص إلى نبيّكم ومنكم عين تطرِف، قال: ثم لم أبرح عنده حتى مات، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: اللهمّ ارضَ عن سعد بن الربيع.

قال الواقديّ: وحدّثني عبد الله بن عمار، عن الحارث بن الفُضَيل الخطميّ، قال: أقبل ثابت بن الدّحداحة يومئذ والمسلمون أوزاع، قد سقط في أيديهم، فجعل يصيح: يا معشرَ الأنصار، إليّ إليّ أنا ثابت بن الدحداحة! إن كان محمد قد قُتِل، فإنّ الله حيّ لا يموت! قاتلوا عن دينكم، فإنّ الله مظهركم وناصركم! فنهض إليه نفر من الأنصار، فجعل يحمل بمَنْ معه من المسلمين، وقد وقفت لهم كتيبة خشناء[1] فيها رؤساؤهم: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، وجعلوا يناوشونهم، ثم حمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فطعنه، فأنفذه فوقع ميتاً، وقتل مَنْ كان معه من الأنصار، فيقال: إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين في ذلك اليوم.

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى يذكر يوم أُحُد:

ألا ذرفتْ من مُقلتيكَ دُموعُ   وقدبانَ في حبل الشَّبابِ قطوعُ[2]

---

(١) كتيبة خشناء: كثيرة السلاح.
(٢) سيرة ابن هشام ٣: ١٠٤ – ١٠٦، وفيه: «بان من حبل الشباب».

وشطّ بمن تهوى المزارُ وفرّقتْ ... نوى الحيّ دارٌ بالحبيب فجُوعُ

وليس لما ولّى على ذى حرارة[1] ... وإن طال تذرافُ الدموعِ رجوعُ

فدعْ ذا ولكن هلْ أتى أمّ مالكٍ ... أحاديثُ قومى والحديث يشيعُ

ومُجنبنا جُرْداً إلى أهل يثربٍ ... عناجيج منها متلدٌ ونزيع[2]

عشيّة سرنا من كَداء يقودُنا ... ضرورُ الأعادى للصديق نفوع[3]

نشدّ علينا كلّ زغفٍ كأنها ... غديرٌ بضوح الجانبين نقيعُ[4]

فلمّا رأونا خالطتهم مهابةٌ ... وعاينهم أمرٌ هناك فظيعُ

وودّوا لو انّ الأرض ينشقّ ظهرُها ... بهم، وصبورُ القوم ثمّ جزوعُ

وقد عُرّيت بيضٌ كأنّ وميضها ... حريقٌ وشيكٌ فى الأباء سريع[5]

بأيماننا نعلو بها كلّ هامةٍ ... ومنها سمامٌ للعدوّ ذريعُ

فغادرن قتلى الأوس عاصبةً بهم ... ضباعٌ وطيرٌ فوقهنّ وقوعُ

وجمعُ بنى النجار فى كلّ تلعةٍ ... بأبدانهم من وقعهنّ نجيعُ

ولولا علوّ الشعب غادرن أحمداً ... ولكن علا والسمهرىّ شروعُ[6]

كما غادرتْ فى الكرّ حمزة ثاوياً ... وفى صدره ماضى الشباة وقيعُ[7]

وقال ابن الزِّبَعرى أيضاً من قصيدة مشهورة، وهى :

---

(١) ابن هشام : « على ذى حرارة » .

(٢) جنبت الفرس : إذا قدتها ولم تركبها . والجرد : جمع أجرد ، وهو القصير من الخيل . والعناجيج : الطوال الأعناق ، واحدها عنجوج . [illegible] ابن هشام .

(٣) ابن هشام : « سرنا فى لهام » .

(٤) النقيع : الماء البارد العذب .

(٥) الوميض : الضوء . والأباء : جمع أباءة ، وهى أجمة القصب .

(٦) الشعب : الطريق فى الجبل . والسمهرى : الرمح . وشروع : مائل إلى الطعن .

(٧) شباة كل شىء : حده . ووقيع : محدد .

يا غرابَ البينِ أسمعتَ فقُلْ ... إنما تندبُ أمراً قد فعلْ[1]

إنّ للخيرِ وللشرِّ مدًى ... وسواءٌ قبرُ مثرٍ ومُقِلْ[2]

كلُّ عيشٍ ونعيمٍ زائلٌ ... وبناتُ الدهرِ يلعبنَ بكلْ

أبلغا حسّانَ عنّي آيةً ... فقريضُ الشعرِ يشفي ذا الغُلَلْ

كم ترى بالجرِّ من جمجمةٍ ... وأكفٍّ قد أُتِرَّتْ ورِجِلْ[3]

وسرابيلَ حسانٍ سُرِّيَتْ ... عن كُماةٍ غُودِرُوا في المُنتزَلْ[4]

كَمْ قتلنا من كريمٍ سيّدٍ ... ماجدِ الجدّينِ مقدامٍ بطَلْ

صادقِ النجدةِ قرمٍ بارعٍ ... غيرِ ملطاطٍ لدى وقعِ الأسلْ[5]

فسلِ المِهْراسَ من ساكنُه ... من كراديسَ وهامٍ كالحجَلْ[6]

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزعَ الخزرجِ من وقعِ الأسَلْ

حينَ حكّتْ بقُباءٍ بَرْكَها ... واستحرَّ القتلُ في عبدِ الأشَلْ[7]

ثمّ خفّوا عندَ ذاكم رُقَّصاً ... رقصَ الحفّانِ تعدو في الجبلْ[8]

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٩٧ – ٩٨ ، وروايته :

* إنما تنطقُ شيئاً قد فُعِلْ *

(٢) ابن هشام : * وكِلا ذلك وَجْهٌ وقَبَلْ *

(٣) ابن هشام : «بالجر» ، أي [illegible]

(٤) المنزل : موضع النزال .

(٥) رواية ابن هشام :

* غيرِ ملتاثٍ لدى وقعِ الأسَلْ *

(٦) المهراس : ماء بجبل أحد ، والكراديس جمع كردوسة ، وهي [illegible] ، والحجل : [illegible] حجم الحمام ، ورواية ابن هشام :

* بينَ أقحافٍ وهامٍ كالحَجَلْ *

(٧) البرك : الصدر . واستحر القتل : اشتد ، وعبد الأشل : أراد عبد الأشهل ، فحذف الهاء .

(٨) الرقص : ضرب من المشي السريع ، والحفان : صغار النعام .

فقتلنا النصف من ساداتهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لا ألوم النفس إلا أننا ... لو كررنا لفعلنا المفتعل
بسيوف الهند تعلو هامهم ... تبرد الغيظ ويشفين الغلل (١)

قلت : كثير من الناس يعتقدون أن هذا البيت ليزيد بن معاوية ، وهو قوله :« ليت أشياخى » ، وقال من أكره التصريح باسمه : هذا البيت ليزيد ، فقلت : له إنما قاله يزيد متمثلا لما حمل إليه رأس الحسين عليه السلام ، وهو لابن الزبعرى ، فلم تسكن نفسه إلى ذلك ، حتى أوضحته له ، فقلت : ألا تراه يقول : « جزع الخزرج من وقع الأسل » ، والحسين عليه السلام لم تحارب عنه الخزرج ، وكان يليق أن يقول : « جزع بنى هاشم من وقع الأسل » ؛ فقال بعض من كان حاضرا : لعله قاله فى يوم الحرة ! فقلت : المنقول أنه أنشده لما حمل إليه رأس الحسين عليه السلام ؛ والمنقول أنه شعر ابن الزبعرى ، ولا يجوز أن يترك المنقول إلى ماليس بمنقول .

وعلى ذكر هذا الشعر فإنى حضرت وأنا غلام بالنظامية ببغداد فى بيت عبد القادر ابن داود الواسطى المعروف بالمحب ، خازن دار الكتب بها وعنده فى البيت باتكين الرومى الذى ولى إربل أخيرا وعنده أيضا جعفر بن مكى الحاجب ، فجرى ذكر يوم أحد وشعر ابن الزبعرى هذا وغيره ، وأن المسلمين اعتصموا بالجبل ، فأصعدوا فيه ، وإن الليل حال أيضا بين المشركين وبينهم ، فأنشد ابن مكى بيتين لأبى تمام متمثلا .

لولا الظلام وقلة علقوا بها ... باتت رقابهم بغير قلال (٢)

---

(١) رواية ابن هشام :

* عللا تعلوهم بعد نهل *

(٢) ديوانه ٣ : ١٣٩ ، من قصيدة يمدح فيها المعتصم ، ويذكر فتح الحرمية . وقلة الجبل : أعلاه ، وجمعه قلل وقلال .

فليشكروا جُنْحَ الظَّلام ودِرْوَداً   فهمُ لِدِرْوَدَ والظـلامُ مُوالِي[1]

فقال بانـكين : لاتقل هذا ؛ ولـكن قل : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حتى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] ، وكان بانـكين مسلماً ، وكان جعفر سامحه الله مغموصاً عليه فى دينه .

(تم الجزء الرابع عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد

ويليه الجزء الخامس عشر)

---

(١) درود بكسر أوله وسكون ثانية وفتح الواو وآخره دال مهملة : اسم جبل .

(٢) سورة آل عمران ١٥٢

فهرس الموضوعات

باب الكتب والرسائل

صفحة